كتب تاريخية

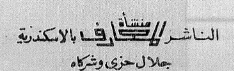
معالم التاريخ الحضاري والسياسي
في مصر الفرعونية

دكتورة

نبيلة محمد عبد الحليم

أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم
رئيس قسم العلوم الاجتماعية
كلية التربية - جامعة الإسكندرية





الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزي وشركاه

معـــالم التاريخ الحضـــارى والسياســـى
فى مصـــــر الفرعونيــــة

معالم التاريخ الحضاري والسياسي

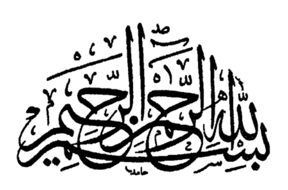
في مصر الفرعونية

دكتورة

نبيلة محمد عبد الحليم

أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم
رئيس قسم العلوم الاجتماعية
كلية التربية - جامعة الإسكندرية

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزي وشركاه



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــــــــد

ان الدراسة الموضوعية المتكاملة لتاريخ وحضارة مصر القديمة يعتبر من الاهمية بمكان ، نظرا لمـــا تضمنته هذه الدراسة من محاولة القاء بعض الضوء التاريخى على تلك المظاهر الحضارية والتاريخيـــة التى مـــر بها الفكر الانسانى فى تلك المرحلـــة المبكرة • وتتطلب تلك الدراسة ضرورة الالمـــام بالكثير من التجارب الانسانيـــة ومراحـــل تطورها ، حتى يمكن تلمس الصورة الشاملة لهذه الحضارة الموغلة فى القدم منذ بدايتها وخلال مراحل أستقرارها وضعفها • وتأسيسا على ذلك فقد جاء هذا الكتاب مكملا لصفحات تاريخ مصـــر القديمة التى قدمتها فى كتابى « مصر القديمة ــ تاريخهـــا وحضارتها » • ولقـــد تناولت بالشرح بعض الموضوعات المرتبطة بمظاهر الحضارة المصريـــة القديمة ، سواءا منها ما يتعلق بنشأة الحضارة ونظام الملكية المصرية القديمة ، أو ما يشير الى علاقات مصر الخارجية فى العصر الفرعونى • وبالاضافة الى ذلك فقـــد ألقيت بعض الضـــوء التاريخى على الحياة الاجتماعية عند المصريين القدماء ، وعن بعض مظاهر الحياة الفنيـــة والعمارة الدينية • كما اشتمل الكتاب على موضـــوع تطـــور الوعى القانونى فى مصر القديمة ، وأخيرا تناولت جزءا خاصـــا لأهمية الموقع الاثرى لمدينة الاسكندرية •

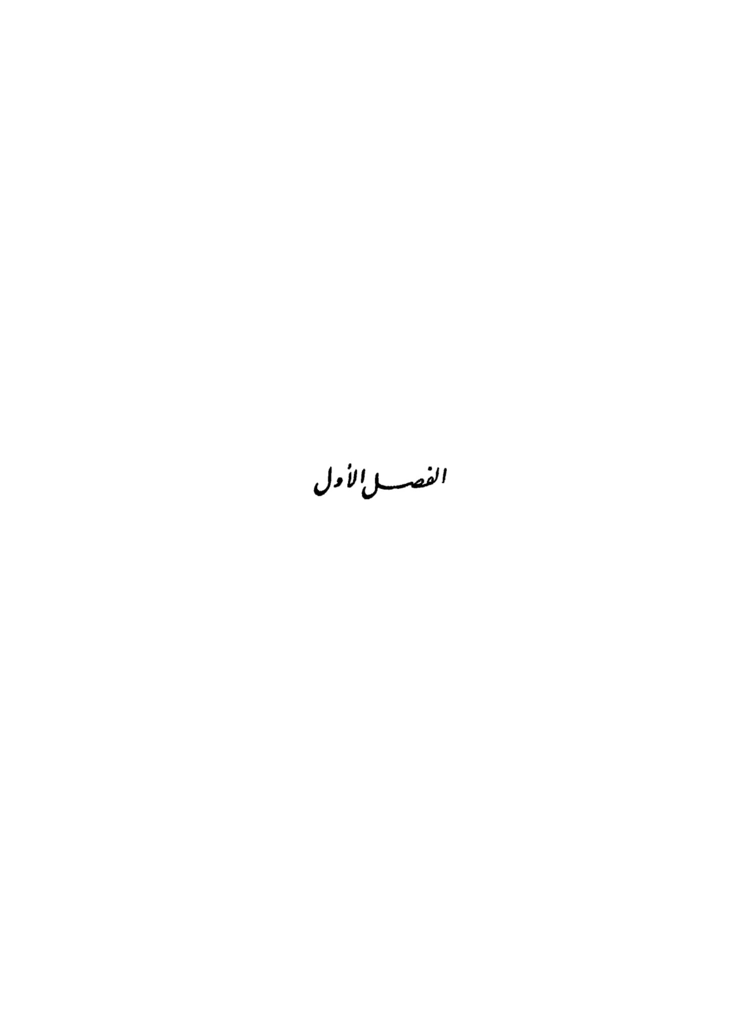
ولقد توخيت تبسيط الحقائق التاريخية وشرحها بفهم أعمق .
ومن أجل ذلك فضلت أن أتناول طائفة من الموضوعات المختارة حتى تجيء
أكثر دقة ووضوحا .

ان ما قدمته فى هذا الكتاب يعتمد اعتمادا كليـا على المصـادر
الاولى ، حيث أتيحت لى فرصة الاطـلاع على الوثائق الخاصة بتلك
الموضوعات سواءا من مكتبة متحف الاشموليان بأكسفورد ، أو المتحف
البريطانى بلندن ، أو متحف المتروبوليتان بنيويـورك ، حيث سنحت
لى الظروف أن أزور تلك المراكز العلمية مما يسر امدادى بمعرفة كافية
من الحقائق عن تلك الحقبة التاريخية .

وأرجـو أن أكون قد وفقت فى كتابة فصول كتابى هذا حتى
ينتفع به الدارسون .

والله ولى التوفيق .

دكتورة
نبيلـة محمد عبد الحليم



الفصل الأول

نشـــأة الحضـــارة وقيام الملكية فى مصر القديمة

أخذ الانسان المصرى القديم يتدرج فى الحضارة منذ فترة طويلة حتى وصل الى تحقيق كثير من الاختراعـــات التى ساعدته على توفير الاطمئنان والامن لنفسه ، وساعدته كذلك فى التغلب على كثير مـــن الصعاب والاخطار التى حاقت به • وليست قصة أصـــل الحضـــارة الانسانية ثم مولدها وتطورها الا سلسلة متعاقبة بدأت فى أقاليم الشرق الادنى القديم ، حيث ساعد اعتدال الجو وملاءمة مناطقـــه المختلفـــة لحياة الاستقرار ومكنت انسان تلك المرحلة المبكرة من الوصـــول الى بعض أسباب التقدم ، ولا سيما فى بعض مراحل الحضارة ، وبالأخص عندما ترك ذلك الانسان وراءه حياته كجامع للطعام ، وأخذ يستقر فى جماعـــات على مقربـــة من مـــوارد المياه يـــزرع الارض ويستأنس الحيـــوان •

وترتبط نشأة المجتمع وتاريخه فى أرض مصر ارتباطا وثيقـــا بعوامل البيئة الجغرافية • فلقد قامت فى وادى النيل الاسفل حضارة من أقـــدم حضارات العالم • فالانســـان والبيئة يرتبط كل منهمـــا بالآخر ارتباطا وثيقا • والحضـــارة ما هى الا نتيجة مباشرة لتفاعل جهود الانسان ومؤثرات البيئة تفـــاعلا تتطور مظاهره من عصر لآخر ، حيث يستفيد الانسان من البيئة ويسخرها بامكانياته لصالحه •

ولقد امتاز تاريخ المجتمع فى أرض مصر بظاهرتين أساسيتين هما القدم والدوام • فأما عن القدم ، فان ارض مصر فى اجماع الباحثين من أقدم مواطن الحضارة التاريخية ان لم تكن أقدمها فى كثير من ضروب المدنية بل ان بعض عناصرها الاولى ترجع الى عصور قديمة قبل فجر التاريخ ، فهى تمتد الى العصر المعروف بعصور ما قبل التاريخ •

وأما عن الظاهرة الثانية وهى الدوام ، فان التاريخ الفرعونى يعتبر أطول التواريخ • وقد استطاعت مصر القديمة أكثر من مـــرة أن ترتفع بمستواها وأن تجدد تاريخها ، كما استطاعت برغم مراحل التطور المختلفة التى مرت بها أن تحتفظ بمرور الوقت بطابع حضارتها العام • وفى الامكان ملاحظة أنه بالرغم من تلك المراحل التطورية التى مـــرت بها الحياة السياسية فى مصر من وقت لآخـــر ، الا أن الحياة الزراعية التى بدأت فى هذه الارض الخصبة مع بداية مهنة الزراعـــة قرب نهاية الالف السادس ق•م• قد استمرت دون انقطاع ، واستمر معها استيطان الانسان المصرى القديم على جوانب النهر خلال بقية عصر ما قبل التاريخ ، ثم خلال عصر الأسرات •

ولعل مما ساعـــد على نمو الحضارة المصريـــة القديمة ، كثرة انتاج الغذاء وزيادة عدد السكان فى مصر ، حيث المناخ المعتدل والانتاج الكثير • ونشأت بجانب مهنة الزراعة حرفة التجارة معتمدة على المركز المتوسط الذى تحتله مصر بين حـــوض البحر المتوسط من ناحيـــة ، وبين آسيا من ناحية اخرى • وقامت كذلك مهنة الرعى معتمد علـــى كثرة الحشائش • وبدأت الصناعة المتقنـــة معتمـــدة على وفرة المواد الاولية • ولم يكن فى الاستطاعة الوصول الى هذا المستوى الحضارى

بدون تنظيم سياسى وبدون قيام حكومات تكفل الطمأنينة للانســان المصرى القديم وتهتم بالعلوم والفنون • وكان لابد من وجود طريقة للتعليم والتخاطب غير المباشر فبدأت الكتابة •

وعلى ذلك ففى الامكان القول بأن الحضارة يمكن تعريفهــا بأنها هى الانتاج العقلى للانسان بصفة عامة ، ولكنها تنسب عــادة الى الجماعة التى تتميز علىغيرها فى هذا الانتاجالعقلى منحيث التنظيم السياسى والاقتصــادى والاجتماعى • ويظهر هــذا التنظيم فى مدى نشـــاط الانسان المصرى القديم فى امكانية استغلال البيئة الطبيعية ومـــدى تفوق المصريين فى الفن واعتقادهم فى المعتقدات الدينية •

وهناك ثلاثة عوامل يقاس بها التقدم الحضارى فى أى اقليم • هــذه العوامل هى الابداع والسبق والتفوق • والاقليم الذى تجتمع فيه هذه الصفات يكون أكثر حضارة من غيره • فأما الابداع فمعناه الوصول بمقومات الحضارة فوق المستوى المعتاد ، فقد ينقل اقليم ما احدى مقومات الحضارة من اقليم الى آخر ولكنه يرتفع بها فى وطنها الجديد عن مستواها فى وطنها الاصلى ، ويصل بها الى حد من التفوق أو الابداع لم تكن قد وصلت اليه من قبل • فأمــا السبق ، فمعنـــاه وصول الاقليم الى مـــدى مقومات الحضارة قبل غيره من الاقاليم • كاختراع الكتابة والزراعة • وأما التفوق فمعناه نشأة احـــدى مقومات الحضـــارة فى اقليمين مختلفين دون أن ينقل أحدهما عن الآخر ، ولكن أحد الاقليمين يسبق الآخر فى هذه الظاهرة الحضارية •

وقد اتخذ انسان منطقة الشرق الادنى القديم طابعا مميزا فى تنظيمه السياسى ، حيث تمكن من تشكيل نظام حكم معين لكل اقليم

فى تلك المنطقة بناء على ظروف معينة • وكان نظام الملكية بصفة خاصة هو الحكم السائد أثناء العصر التاريخى • وقد تمكن الملوك المصريون من حمل الصفة الالهية فى مصر الفرعونية باستثناء فترات معينة • وتعود الاصول الاولى لنظام الملكية الى المرحلة التى سبقت العصر التاريخى مما ترك أثره الواضح فى تشكيل هذا النظام ، حيث تمكن انسان تلك المرحلة من اقرار المبادىء وبلورة القيم والأفكار التى اكتسبها وصنعها طوال عصور ما قبل التاريخ •

وقد اعتمد نظام الملكية على عدة عناصر حاسمة من بينها انعوامل البيئية والاقتصادية والدينية والسياسية . حيث تشكل عادة المفاهيم والقيم الانسانية بطريقة متجانسة مع تلك المقومات • وكان الهدف المشترك للانسان المصرى القديم أن يصل الى الامان والاطمئنان على حاضره ومصيره • ولا شك أن أول معالم نظام الملكية المصرية ، هو أن مصر كان يحكمها أساسا اله يضمن للبلاد الامن والاستقرار • ولذلك كان الملك شخصية مميزة عن كافة البشر فى جميع الظواهر •

ـ ويمكن القول بتواجد فكرة ناشئة عن نظام الملكية قبل قيام المملكة المتحدة الاولى ، وسرعان ما نمت تلك الفكرة ودعمها التوحيد السياسى والانتصار العسكرى • ويمكن القول أن طبيعة الغزو العسكرى قد تجبر المهزومين على الخضوع للمنتصرين ، وقد تخلق من زعيم المنتصرين حاكما مطلقا ، ولكن ليس من المحتم أن تخلق منه الها يؤمن الناس به حتى ولو أجبروا على ذلك فى فترة الغزو أو فى أعقابه لفترة محدودة • ان العامل السياسى الذى يجعل من الصعاب التى لاقاها مؤسسوا الوحدة دافعا لتبرير سلطة الحاكم ، لا يمكن أن

يفسر استمرار الايمان بهذه العقيدة طوال العصر الفرعونى • لأنه لو كان المصريون القدماء قد رءوا فى ملكهم الها يحكم بشرا ، لما احتاجت الوحدة الى كل هذه الحروب الطويلة التى استغرقت زهاء ثلاثة قرون كاملة • ولذا فان مصر قد أخذت بايجاد فكرة حكومة قوية يرأسها حاكم واحد هو الملك • ولكن هذا الحاكم كان انسانا من البشر هيأته انتصاراته وخبرته فى تسيير شئون البلاد •

ويرى ويلسون أن المجتمع المصرى القديم كان مهيأ لتقبل نظام الملكية عندما تم نضج مصر السياسى ، وأن الاعتقاد فى نظام الملكية قد تبلور فى عصر بداية الأسرات حيث اعتبر عصر الاسرتين الاولى والثانية بمثابة مرحلة تدعيم للوحدة السياسية • ولقد استقرت المفاهيم المتمثلة فى نظام الملكية المصرية عندما جاءت الاسرة الثالثة • وبمجىء الاسرة الرابعة اكتملت هذه المفاهيم • ويقدم ويلسون[1] تفسيرا آخر يبرر به تقبل الانسان المصرى القديم لنظام الملكية تتلخص فلسفته فى محاولة اقناع الجانب المهزوم فى حروب الوحدة وهم أهل الشمال ، بأن مصر لا يحكمها رجل من الصعيد ، انما الذى يحكمها اله ينتمى الى أسرة الآلهة وتتمثل فيه القوى التى تهيمن وتسود كل من القطرين• وعلى ذلك فان الملك باعتباره تجسيدا للاله حور ، يتجمع فيه الالهتين نخبت ربة مصر العليا ، وواجت ربة مصر السفلى • ويهدف هذا التفسير الى أن ينفى الملك عن نفسه صفة البشر ، وصفة انتسابه الى أى من قطرى مصر المتنافستين حتى يستطيع أن يوطد حكمه على اقليمين طالت بينهما الحروب •

1) Wilson, J. A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, P. 46.

وفى الاستطاعة القول بأن ايمان المصريين القدماء بنظام الملكية ، كان فى الواقع سببا فى الابقاء على وحدة شطرى البلاد الذين كان لكل منهما حضارتـــه الخاصـــة ، ولكنهما ظلا بفضل التمسك بهذا النظام متماسكين متعاونين . وتدعيما لذلك كان الفرعون يلقب بألقاب تحمـــل صفة الازدواج ومن ذلك لقب ملك مصر العليا ومصر السفلى (اللقب النيسوبيتى) . ويعنى هذا اللقب أن الملك قد جمع فى شخصه جزأى مصر مستخدما الرمزين الخاصين بكل من مصر العليا والسفلى . وكثيرا ما كان يتبع هذا اللقب صفة أخرى تحوى نفس الفكرة وهو ســـيد الارضين . ولم يكن هذا اللقب يشير فى الواقع الى أن الارض التى كان يحكمها الفرعون مقسمة ، بقدر ما كان يعنى تأكيد وحدة البلاد .

ونستطيع مما سبق التعرض له أن نستنتج أن الحاكم المصرى القديم ، قد تمكن بسياسته الداخليـــة السلمية والحربية ، من تحقيق الاستقرار السياسى أو الوحـــدة السياسية مما يجعله يرقى فى نظر المجتمع المصرى القديم الى مرتبة القوى الالهية ، التى تتحكم فى حياة الانسان على سطح الارض .

وقد اختلف العلماء فى موضوع كيفية اعتناق الانسان المصرى القديم لعقيدة الملكية المصرية، أو بالأحرى نشأة تلك العقيدة السياسية والدينية . وكذلك هل كانت تلك النشأة محلية أو وافدة من الخارج . وعلى الرغم من عدم توفر الادلة الكافية لمحاولة تفهم الاساس التاريخى لكيفية نشأة نظام الملكية المصريـــة فى مصر القديمة ، الا أنـــه يمكن التعرف على بعض العوامل التى قد تبرر تقبل المجتمع المصرى القديم لذلك النظـــام .

أثر العوامل البيئية والاقتصادية على قيام نظام الملكية

بدأت حياة الانسان المصرى القديم فى مجتمع زراعى مستقر تجمعت فيه منذ البداية خصائص طبيعية معينة ، وجعلت منه وحـــدة ماديـــة وفكريـــة ذات طابع خاص . ومن أهم تلك الخصائص ظاهرة الدورية ، أو بالاحرى ذلك الانتظام المتكرر فى الظواهر البيئية والكونية، مما دفـــع الانســـان الكائن فى ذلك المجتمع الى تأكيد استمرار وانتظام تلك الظواهر ، وبالتالى الاعتقاد فى وجود قوى الهية من ورائهـــا . وقد تأكد ذلك أيضا لأن الاقتصاد الرئيسى فى المجتمع المصرى القديم هو الاقتصاد الزراعى الذى يعتمد أولا وأخيرا على تلك الظواهر البيئية والكونية . وعلى هذا الاساس كان من الطبيعى أن يتجه المفكر المصرى القديم سواء كان فى مجال الفكر الدينى أو الفكر السياسى ، الى ابتكار نوع من التنظيم يجمع فى أصوله وفحواه بين تلك الظواهر الطبيعية والقوى الالهية المتحكمة فيها من ناحية ، وبين المجتمع الانسانى وممثليه من الحكام من ناحية أخرى . ونتيجة لذلك توثقت الصلة منذ البداية بين القوى الالهية والقوى الانسانية .

ولقد اتجه الانسان المصرى القديم الى ادراك تلك الحقائق ، كما أحس بخبرته التى اكتسبها من تجاربه الطويلة خلال عصور مـــا قبل التاريخ بأهمية بقاء واستمرار تلك العوامل التى تساعد على جلب

الامان والاستقرار سواء فى حاضره أو مستقبله . وفى الاستطاعة محاولة الربط بين موقع مصر الجغرافى وبيئة مصر القديمة من ناحية ، وبين المفاهيم المصرية القديمة المتمثلة فى عقيدة الملكية المصرية القديمة من ناحية أخرى ، مما قد يكون له أساس فى تفسير اقتناع الانسان المصرى القديم بمركز الفرعون . كما أن جغرافية مصر قد هيأت الاستعداد لقبول ألوهية الملك . والواقع أن موقع مصر الجغرافى الذى يشرف على البحر الابيض المتوسط ويقع بين صحراوين كبيرين قد كفل حماية أبوابها الشمالية والغربية والشرقية ــ وأيضا الجنادل فى نهر النيل كانت تخلق عائقا ملاحيا يصعب اختراقه . ومن أجل ذلك تزايد احساس الانسان المصرى القديم بنوع من الامن الجغرافى ازاء التهديد الخارجى . وفى اطار هذه العزلة النسبية عن جيران بلاده ، كان الانسان المصرى يركز على وادى النيل الادنى وهو مصر كوحدة جغرافية مكونة من اقليمى الشمال والجنوب . ولقد ساعد هذا الوضع الجغرافى الخاص بمصر على احساس المصرى القديم بالطمأنينة ، فقد أحس بأن وطنه جزء من الكون . وعلى هذا الاساس ربط مجتمعه مع مجتمع القوى الكونية . وتحقيقا لذلك رفع مستوى حكامه الى مرتبة الآلهة .

ومن ناحية أخرى ، فقد ساعدت الظواهر الطبيعية الاخرى على بلورة القيم التى سادت العصر الفرعونى . فحياة النبات والانسان والحيوان والانهار والجزر قد اعطت الانسان المصرى القديم صورة ملموسة دفعته الى ضرورة الاعتقاد بارتباط حياته ومستقبله بالقوى الكونية المسيطرة على هذا العالم ، وبضرورة وجود وساطة بين الانسان القاطن فى هذه البيئة المنتظمة ، وبين تلك القوى الالهية لضمان

استقرار حياته الدنيوية والأخروية . وقد اتجه الانسان المصرى القديم الى الايمان بسلطة الملك على أساس أنـه أحق من يقوم بدور الوساطة لدى القوى الالهية .

وعلى ذلك يكون الانسان المصرى القديم قد تأثر تأثرا واقعيا بكافة الظواهر فى مجتمعه الزراعى ، ولمس أن هذه الظواهر سـواء كونية أو بشرية أو حيوانية أو نباتية جزء من حياته ، وأنها جميعـا تبدأ منذ بداية خلق الكون من أصل واحد[1] . وليس معنى ذلك أنه خلط كافة تلك الظواهر ولم يستطع أن يفرق بين كل ما يتعلق بكل ظاهرة على حدة ، فلكل منها مجالها الخاص . ولكن ما كان يشعر به الانسان المصرى القديم بحكم عمله الاساسى وهو الزراعة ، هو الارتباط المباشر مع الظواهر الطبيعية والقوى المتحكمة فيها . ومن هنا لم يكن تحميله حاكمه بعض صفات تلك القوى وهى الصفة الالهية تحميلا اصطناعيا ، وانما كان تحميلا تعود عليه بحكم واقع حياته الزراعية .

اما بالنسبة للعوامل الاقتصادية وأثرها فى قيام نظام الملكية المصرية القديمة ، فانه يمكن القول بأن الانسان المصرى القديم كـان يبحث بصورة مضطردة عن الاطمئنان والاستقرار واستمرارهما طوال حياته وحتى بعد مماته . وقد نشأ ذلك الاحساس منذ العصر الحجرى الحديث ، واستمر خلال العصور التاريخية التالية فى العصر الفرعوني . وقد بدأ ذلك فى ذهنه نتيجة حاجته الماسة الى الاستقرار بعد بعض التجارب البيئية المهددة لكيانه الاقتصادى والاجتماعى وذلك كنتيجة

1) Wilson, J., Ibid., PP. 46—47.

طبيعية لعدم تمكنه من التحكم فى القوى المائية الوافدة من الجنوب • ثم تطور ذلك الشعور ووصل الى مرتبة الاعتقاد والايمان بنظام معين يكفل له تحقيق ذلك الامن فى المجتمع وهو نظام الملكية المصرية القديمة ، الذى يمكن اعتباره جانبا من أهم الجوانب الهادفة الى توفير ذلك الامان والاطمئنان فى حياة الانسان المصرى القديم •

وعلى ذلك ففى الامكان القول بأن المجتمع المصرى القديم ربما تقبل مبدأ الملكية المصرية على أساس أن ذلك النظام كان يتكفل بضمان توفير الامن الاقتصادى سواء للأفراد أو المجتمع مع غيره من مظاهر الاستقرار فى المجتمع • ولقد كان الانسان المصرى القديم يعتقد فى امكانية توسط الفراعنة بعد حملهم الصفة الالهية لدى القوى الالهية لانقاذ المجتمع من محنة اقتصادية وتوفير الخير له ، كما حدث فى عهد الملك نترخت زوسر مؤسس الاسرة الثالثة ، الذى لعب دورا حاسما فى التغلب على المجاعة التى حدثت بسبب عدم فيضان النيل لمدة سبع سنوات مما حمل زوسر الى مخاطبة وزيره ايمحوتب ليمده بالنصيحة ، فأشار اليه أنه لا يمكن وقفها الا اذا حصل على رضى الاله خنوم* فذهب زوسر الى منطقة الشلال وأغدق العطايا • ولم يمض الا قليلا حتى نجت مصر مما حاق بها •

ويتجه ويلسون[٢] الى الاعتقاد بأهمية العامل الاقتصادى فى تقبل مبدأ الملكية المصرية القديمة ، ويشير الى تهرج نظام الملكية قرب

(*) هو صانع وخالق البشر ، ويشكل الانسان على عجلة الفخار ، ويسكن جزيرة الفنتين عند أسوان حيث يرسل مياه النهر من معبده فى الفنتين •

2) Wilson, J., Ibid., PP. 98—100.

نهاية الدولة القديمة ، عندما بدأ الملوك يحطمون اقتصاديات البلاد ٠ ولقد كان من نتيجة ذلك أن بدأت سلطة الفرعون تهتز ويضعف كيانها ، خاصة عندما تأثرت حظيرة الاقتصاد القومى نظرا لوطأة التشييدات المعمارية الضخمة ، وكنتيجة للعبء الناتج عن تخصيص هبات دائمة للصرف على أهرامات الملوك ، مع غيرها من العوامل الاخرى ٠

الأسس الدينيـة ونشـأة نظـام الملكيـة .

تتجه دراسة هذا الموضوع الى محاولة اثبـات تواجد أصـول دينية لتلك العقيدة . وفى الاستطاعة القول بأن الجانب الدينى يعتبر من المبررات القوية لاحتمال اعتقاد المجتمع المصرى القديم بوجـود الارتباط بين ملكهم وبين القوى الالهية المتحكمة فى كافـة جـوانب حياتهم . وتتوفر النصوص التاريخية والادلة ذات الطابع الاسطورى التى تعالج هذه الناحية . ومنها مـا يشير اليه نص حجر بالرمـو سطر ٩٠ « ملوك مصر العليا أو الآلهة [1]»

ويستدل من دراسـة هذا النص على أسـماء ملـوك الوجه القبلى الذين حكموا قبل بدايـة العصر التاريخى ، وكان المصريـون يعتبرونهم أنصاف الآلهة الذين جاءوا بعد الأسرات الالهية الحاكمة . ويستدل من ذلك على وجود الصلة الوثيقة بين حكام مصر وبين منحهم الصفة الالهية ، كما يؤكد مدى أقدمية اعتقاد المصريين القدماء بألوهية الحكـام .

أما بالنسبة للأدلة ذات الطابع الأسطورى ، فانه توجد بعـض الادلة الاسطورية التى ربما يكون لها أساسها التاريخى ، ومنهـا أن بردية تورين قد ذكرت أن حكام عصر ما قبل الأسرات لقبوا بالارواح

1) Breasted, J.H., A.R., Vol. 1, P. 57.

وبأنهم كانوا أتباعا لحور [٢] • ومن المعتقد أن حكام عصر ما قبل الأسرات الذين حفظت أسماؤهم على حجر بالرمو كان يشار اليهم أيضا أنهم أتباع حور • ويرى جاردنر[٣] أن هذه الصفات الدينية كانت تطلق على ملوك «ب» و «نخن» نظراً لصلتهما بعبادة الاله حور •

وفى الامكان القول بأن هذه الصفات المقدسه تشبه الى حد كبير تعبيرات مانيتون عن ملوك تلك المرحلة بأنهم أرواح الموتى أو أنصاف الآلهة [٤] ، وأنهم جاءوا تصورا بعد حكم أسرة من الآلهة • وقد ذكر مانيتون أن الاله بتاح (اله منف) قد جلس على العرش تسعة آلاف سنة ، بينما جلس أقل هؤلاء الآلهة على العرش ثلاثمائة وتسعة وخمسون سنة ، وأن مجموع مدة حكمهم بلغ احدى عشر ألفا وتسعمائة وخمسة وثمانون عاما • أما بالنسبة للحكام أنصاف الآلهة ، فقد حكم تسعة منهم ثمانمائة وستة وخمسون عاما ، كما حكم عاشرهم (وهو مجهول الاسم) مدة عامين فقط• وبذلك تكون مدة حكم أولئك الحكام ثمانمائة وثمانية وخمسون عاما ، وهم الذين عرفوا فيما بعد تحت اسم أتباع حور Followers of Horus لانضمامهم تحت لواء الاله حور فى صراعهم ضد أتباع الاله ست • ومن ناحية أخرى ، تذكر بردية تورين أسماء تسعة عشر ملكا حكموا الشمال لمدة تزيد عن ألفين ومائة سنة ، وذلك فى المرحلة التى أعقبت حكم الآلهة • وقد

2) Edwards, I.E.S., « The Early Dynastic Period in Egypt », (in) C.A.H., Vol. I. Cambridge, 1964, P. 4.

3) Gardiner, A.H., « The Royal Canon of Turin ». Oxford, 1959, PP. 3—21.

4) Baikie, J., « A History of Egypt », Vol. I, London, 1929, P. 54.

وصفت بردية تورين الحكام الذين سبقوا الاسرة الاولى على أنهم الارواح الهائمة «آخو Akuh » أو أتباع حور • ويعتقد بعض المؤرخين أن ملوك المملكة الجنوبية كان يطلق عليهم أيضا أتباع حور بمعنى أنهم كانوا يعتلون العرش تحت هيمنة الاله الصقر حور ، أو أنهم كانوا يتبعون الاله حور فى صراعه مع الاله ست • أما فرانكفورت فيتجه الى القول بأن تعبير أتباع حور يحمل معنى غير واضح بالنسبة لملوك هذا الزمن السحيق ، ويشير الى أن بردية تورين تضع أتباع حور قبل مؤسس الأسرة الاولى •

ويستدل مما سبق عن أقدمية الحكم الالهى فى مصر على محاولة تبرير ألوهية الملك بارجاعها الى أساطير تردد أن أسلاف هذا الملك كانوا آلهة ، حتى يتسنى اقناع الانسان المصرى القديم بأن الملك هو الوارث الشرعى للعرش ، وأنه يحمل بذلك الصفة المقدسة• ويتمشى مع ذلك الاتجاه الدينى ما نلمسه عن ظهور عناصر الوحدة الفكرية الدينية بين مملكتى الشمال والجنوب قبل الوحدة السياسية ، ويتضح ذلك فى اعتبار الاله حور الها رئيسيا لكل منهما • ويمكن الاستدلال على ذلك من تواجد الاسم الحورى بالاضافة الى الاسم الشخصى لملوك تلك المرحلة المبكرة •

ومن النصوص الهامة التى ترتبط بألوهية الحكام فى تلك المرحلة المبكرة ، نص حجر شاباكا[*] Shabaka Stone الذى يعالج موضوع

---

[*] شاباكا هو الفرعون الاثيوبى الذى حكم مصر فى الاسرة الخامسة والعشرين • وحجر شاباكا موجود فى المتحف البريطانى تحت رقم ٤٩٨ وقد قام بنشره شارب كما قام بدراسته وترجمته ويلسون•

ألوهية الحكام • وكان من أمر ذلك الحجر أن استخدمه القـــرويون قاعدة لطحن الغلال • وقد استمروا في ادارة حجر الطاحون مدة من الزمان دون أن يعرفوا شيئا مما كانوا يمحونه من النقوش • وقد محى نهاية النص من أثر الثقب الذى حفر فى وسط حجر الطاحون • ومنقوش على قمة الحجر اسم شاباكا ويلى هذا الاسم نقوش تقول أن شاباكا نقل تلك الكتابات من جديد على حجر سمى بحجر شاباكا ليبقى محفوظا على الدوام •

وبالرغم من أن هذا النص [٥] يعود الى عهد الملك شاباكا الأثيوبى الا أن قراءته اللغوية ترجع أصله الى هذه المرحلة المبكرة من تاريخ تطور نظام الملكية المصرية القديمة مما يتفق مع ما جاءت به الاساطير والقصص الدينى على أن مصر كانت فى هذا الوقت ملكا لآلهة مختلفة، وحتى يقتنع الانسان المصرى القديم بأن نظام الملكية المصرية القديمة انما هو امتداد واستمرار للحكم الالهى • وكان من نتيجة ذلك ان اقترب نظام الملكية من عقل الانسان المصرى القديم مما ساعد على زيادة التمسك بهذا النظام السياسى • ويشير النص الى أن الاله جب قسم مصر بين حور وست فجعل من ست ملكا للصعيد ، ومن حور ملكا على الدلتا • ثم رجع جب عن قراره ومنح مصر كلها لحور • وهكذا أصبح حور وريث جب وتوج فى منف كحاكم للصعيد والدلتا معا حيث وحدت الارضان • وترجع أهمية هذا النص الى ظاهرة التقارب فى الفكر المصرى القديم بين الحقائق التاريخية والحوادث الاسطورية • وبالاضافة الى ذلك فان ذلك النص يعكس الاساس الدينى لنظـــام

---

5) Wilson, J.A., « The Theology of Memphis » (in) A.N.E.T., P. 4.

الملكية، ونستنتج من ذلك ، أنه بعد قيام الوحدة السياسية تضاءل مركز ست بالنسبة الى حور ، حيث اعتبر الاخير الها للدولة المتحـــدة . وفى الامكان ارجاع تضاؤل مركز ست الى تلك الفترة التى حكمت مصر السفلى فيها مصر العليا وذلك على أساس أن حور كان الاله القومى للدلتا . فلما انتصرت الدلتا انتشرت عبـــادة حور فى الصعيد كذلك واتخذت مدينة نخـــن مقرا لها .. ونتيجة لذلك ، اعتبر حور ملكـــا أسطوريا لمصر المتحدة وانعكس هذا الحق على كل من يجلس على عرش مصر ، فأصبح حوريا يجلس على العرش الذى كان يجلس عليه أوزير مسبقا . وتعزز متون الاهرام هذا الاعتقاد .

تشير الفقرة ٦١٤ سطر ١٨١٤ أ ، ب :

« ... ياأوزير أنت ابن جب الاكبر ، وبكره ووريثه ... وهو الذى أعطاه ارثه أمام التاسوع الاله العظيم ... » .

ولابد أن نتبين السبب الذى من أجله اقترن اسم الملك بحور، ويفسر معظم العلماء هذا تفسيرا سياسيا ، فيعنى أن بيت منى يعبد الاله الصـــقر . ولقد كانت مدينة نخن مقرا لعبادة حور فى العصر الذى سبق منى، كما كان هناك آلهة محلية ولكنهم لم يكونوا على قدم المساواة من ناحية التقدير بواسطة المصريين . الا أن حور كان ينظر اليه بتقديس عن غيره من الآلهة وهم حوالى اثنا عشر أو أكثر من آلهة مصر العليا . هذا الاله حور ، اعتبر أنه الروح المقدسة لكل من يحكم مصر . ولقد عرفت عبادة الصقر فى أماكن كثيرة ولو أنه كان ينظر اليه كاله محلى مستقل فى أصله وطبيعته . ان الملك لم يكن ليحكـــم فقط، بل ان الملك صعد الى العرش. أو فى أسلوب أسطورى بأن حور قد خلف أوزير . ففى خلال التاريخ المصرى ، تعكس المتون أسلوبا

عجيبا للانجازات الحديثة ، لقــد توحدت الارض وانتهى الصراع ، وصعد الملك الى العرش ، لقد وصع الملك الحقيقة بدلا من الزيف. ولاشك أنه كانت هناك رابطة قوية بين الاب والابن فى لحظة التعاقب. فوحدة واستمرار القوى الالهية المقدسة ، تحقق ظاهرة مجىء وذهاب الحكام .

وقد نشأ أسم حور من لفظ الاعجاب الذى نطق به الاله أتوم حين رأى حور فقال «رائع» وكلمة رائع تنطق بالمصرية القديمة بيك bik وتختلط بكلمة بيك أى صقر ، لهذا سمى حور بالصقر .

وتوجد أسماء مختلفة لرموز الصقر منها هرو Hrw التى ربما تعنى الاله البعيد . فقد كان المصرى القديم يتخيل الشمس فى احدى صورها على هيئة الصقر أو كاله له رأس الصقر .

« ... هو حور الذى يبدو أن اسمه يعنى البعيد[6] ... » .

وقد سمى أحيانا حور الأفقين .

فقرة ٢٦٤ سطر ٣٤٨ج « ... حور الافقين أو حور اختى[7] ... ».

وكان هناك أيضا حور الطفل ابن ايزيس .

من فقرة ٣٧٨ سطر ٦٦٣د « ... حور الطفل الصغير ، اصبعه فى فمه ... » .

6) Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1969, P. 38.

7) Mercer, S.A.B., The Pyramid Texts in Translation and Commentary, New York, 1952, Vol. I, P. 87.

وسمى أيضا حورسايزيس وهو الذى ورد اسمه فى قصة أوزير المشهورة • ويتجه ارمان الى الاعتقاد أنه لم يكن فى مصر اله كبير الا وقد تمثل بحور أو تسمى باسمه •

ويقول هول Hall أن حور الادفوى اله السماء كان هو أقدم وأعظم آلهة مصر العليا منذ الاسرة الثالثة ، وهو الحامى للبيت الملكى • بينما يعتقد جاردنر بأن الموطن الاصلى للاله حور كان فى مدينة بهدت أو مدينة بحدت فى شمال الدلتا •

ويبقى بعد ذلك أن نتساءل عن حور الطفل ابن ايزيس وهل هو نفسه حور الادفوى اله السماء ؟ وفى هذا المجال يتجه فرانكفورت الى الاعتقاد بأنه من الخطأ أن نفرق بين حور الاله العظيم رب السماء وبين حور ابن ايزيس، ويعتبر الاثنين واحد • ويستدل على ذلك بنص من متون الاهرام فقرة ٣٠٣ سطر ٤٦٦ أ :

« ••• أنت حور ابن أوزير ، الاله الاكبر ، ابن حتحور(*) •• »•

وفى هذا المجال يشير فرانكفورت الى اقتران اسم الملك المصرى القديم بالاله حور• وكان الملك يعتبر تجسيدا لهذا الاله • فصفة حور

(*) اسم حتحور يعنى بيت حور الذى فى السماء . ويلاحظ ان أولى التمائم الدينية التى ظهرت منذ عصر البدارى هى التميمة على هيئة رأس حتحور . وكانت حتحور فى العصور البدائية منذ عصر البدارى وحتى دخول جماعات Group Culture هى التى كانت تقدس فى شمال افريقيا . أما حتحور التى وردت فى زوائد النقية فى تماثيل ملوك الاسرتين الاولى والثانية ، فترجع الى عقيدة حتحور الأم . ففى تلك المرحلة كان الملك ينظر اليه كابن الالهة حتحور أو توت. فالملك كان فى الاصل حور ، وحتحور هم أم لحور.

كالاله الاكبر تظهر كذلك مع أسماء ملوك الاسرتين الرابعة والخامسة مثل سنفرو وخوفو وساحورع. حتى بيبى الاول من الاسرة السادسة كتب على تابوته « الاله العظيم ، سيد الافق ، وكذلك حورس الأفق، سيد السماء » .

وفى منازلهم الابدية كان الموتى يتشرفون بالمثول بين يدى الاله العظيم اشارة الى الملك المتوفى . وكانوا يسجلون على مقابرهم نصوص كالآتى : « ان أى نبيل أو مسئول أو أى رجل يقوم بتحطيم حجر فى مقبرتى هذه ، سوف أقاضيه الى الاله الاكبر » .

وقد عرف أن مثل هذه المحاكمة كانت تجرى فى العالم الآخر . ومع هذا فان الاله العظيم هنا وهو الملك ، استمر بعد مماته القائد الذى اعتمد عليه أفراد الشعب عندما يلحقون به فى العالم الآخر . وعندما ضعفت سلطة الملكية فى الاضطرابات التى قضت على الدولة القديمة ، استبدلت الصفة الملكية من الاله العظيم بصفة أخرى هى الاله الطيب وذلك عند الاشارة فى النصوص الى الحاكم أثناء حكمه فى حياته . وفى النصوص الجنزية لم يعد الاله العظيم هو ذلك الملك المطلق ، ولكن أصبحت هذه الصفة تمثل الجانب الاسطورى لكل ملك متوفى ، أو بمعنى أصح « أوزير هو الاله العظيم اله الغرب » .

ومن الفقرات الهامة المؤكدة للصفة الالهيــة للملك ، ما جاء فى نصوص الاهرام من اشارات عديدة اليها وعلى سبيل المثال الفقرة رقم ١٦٩٣د القائلة موجهة للملك « ... لا تبتعد عن الآلهة ... » .

وفقرة أخرى من نصوص الاهرام موجهة للملك فى حيــاته فى

العالم الآخر رقم ١٤٧٩ «ب» تقول « ••• لأنك من المؤكد ترى بالنيابة عن الآلهة ، ولا يوجد أى اله يرى بالنيابة عنك ••• » •

ورغم أن هذه الفقرات من نصوص الاهرام تتعلق بالعالم الآخر، الا أنها تؤكد الصفة الالهية للملك فى حياته الدنيوية لأنها فى الواقع تعتبر استمرارا لنفس الصفة فى حياته الأخروية كذلك •

وتنبغى الاشارة الى بعض النصوص التى تدل على خلود الملك فى العالم الآخر ، والى اعتباره ضمن مجموعة الآلهة الذين لم يكن خلودهم موضع شك أو تساؤل وخاصة أوزير وابنه حور • وعلى سبيل المثال فقرات الاهرام أرقام ١٣٤ب ، ج ، ١٣٥أ ، ١٦٨أ • وترجع فى أصولها الى تلك المرحلة الاولى « ••• يا أوناس لقد وليت عنا ليس ميتا ، بل لقد وليت عنا وأنت حى •

لأنك تجلس على عرش أوزير ، فأنت تأمر الاحياء •

وصولجانك مكس (*) لتأمر أولئك الذين فى الاماكن السرية(**) ••• » •

وكذلك الفقرات التالية الموجهة للملك :

« ••• ان ذراعك كذراع أتوم ، ان كتفيك ككتفى أتوم ، أن جسدك كجسد أتوم ••• » •

ومن النصوص التى تؤكد خلود الملك الاله فى العالم الآخر ما جاء فى متون الاهرام ١٦٨أ :

(*) احدى علامات الملكية •

(**) فى الحياة الاخرى •

« ... شو ابنك هذا ، انه هو هنـــا ، أنه أوزير الذى جعلته يبقى وجعلته يحيا ... » .

وكان الانسان المصرى القديم يعتقد أن الملك الاله ليس بانسان. ويدعم هذا الاعتقاد الفقرات التالية من نصوص الاهرام رقم ٨٠٩ ب

« ... لأنك ليس لك آباء من بين البشر ، ولأنك ليس لك أمهات من بين البشر ... » .

وكان الانسان المصرى القديم يعتقد فى أن الملك الاله أقوى من مجموعة الآلهة التى كان يؤمن بها « انه تحوت أقوى الآلهة » .

وكان رسل الآلهة تعلن ظهور الملك الاله فى الحياة الاخرى الى سكان السماء وعلى سبيل المثال الفقرات الآتية :

فقرة ١٥٥أ « ... أوزير وايزيس أسرعا ، وأعلنا لآلهة الدلتا ولأشباحهم ... » .

وأيضا فقرة ١٥٧أ « ... أسرع ياتحوت ، واعلن لآلهة الغرب وأرواحهم ... » .

ويستدل من هذه النصوص عن مصير الملك فى الحياة الاخروية وانضمامه الى مجموعة الآلهة . كما توضح أيضا مدى اعتقاد المصرى القديم فى مُصير الملك لدرجة المبالغة فى بعض النصوص الى حد اعتبار الملك أقوى الآلهة كلها (٨) .

كما اعتقد ويلسون أنه كان للملك المتوفى فى الدولة القديمة «با»

8) Wilson, J.A., « The Culture of Ancient Egypt », U.S.A. 1975, P. 85.

بينما لم يكن للنبلاء هذا الحق ، فقد كانت البا فى أصلها الهية [٩] .
وعلى ذلك كانت البا تصلح للملك وليس للبشر الذين يحيوا حياة عادية .

أما بالنسبة للكا فقد كانت قاصرة على الملوك أو النبلاء . ومن المحتمل أن تكون كا النبيل هى الملك نفسه أو أحد الآلهة [١٠] . وفى هذا اشارة الى اعتقاد الانسان المصرى القديم بأن مصير النبيل كان مرتبطا برضاء أحد الآلهة أو برضاء الملك عليه . ونرى أن فكرة ويلسون عن الكا تحمل الكثير من المبالغة على أساس أن المصرى القديم منذ عصور ما قبل التاريخ ، درج على تزويد مقبرته بالعديد من الاوانى المليئة بالاكل ، وكذلك العديد من أدوات الزينة وغير ذلك ، وهذه كلها لابد وأن ارتبطت فى مخيلته باستعمال الكا .

---

9) Wilson, J.A., Ibid., P. 86.

10) Wilson, J.A., Ibid., P. 86.

انعكاس المؤثرات الخارجية على نشأة نظام الملكية

تنبغى الاشارة الى أن الجانب الافريقى فى الحضـــارة المصرية جانب واضح نلمسه فى الكثير من الظواهر الحضارية . وبالنظر الى ما خلفته عصور ما قبل الاسرات فى مصر ، يمكن ملاحظة صورة واضحة تشبه نظائرها فى أفريقيا . وتتمثل تلك الصـــورة فى وضـــع الحكام المحليين ، والتركيب الاجتمـــاعى لكلا المجتمعين المصرى والافريقى . وكذلك نظام وراثة العرش ، ومفهوم الاعياد الدينية ، وعادات الدفن.

ففى باجنده* Baganda على سبيل المثال، كان يعتلى العرش ملك مقدس . وعلى ذلك فانه يكون هناك تشابه واضح بين نظرة المصريين القدماء واعتقادهم فى ألوهية الحكام، وبين نظرة تلك الشعوب الافريقية البدائية الى رؤسائهم بأنهم مقدسون كذلك . ويعتبر الملك فى قبيلة الدنكا Dinka (**) نموذجا لهذا النوع من الحكام المقدسين حيث أنه كان يحمل من الصفات ما لا يحمله الانسان العادى ، وكان يعرف بصانع المطر وكان الاعتقاد أنه يستطيع التحكم فى المطر . ويلاحظ أنه توجد علاقة

(*) احدى جماعات البانتو الشرقيين وهم زنوج .

(**) جمـــاعات نيلية توجد فى الاقليم الذى تتوسطه بلدة واو فى حوض بحر الغزال ، كما توجد شعبة صغيرة منهم على الجانب الشرقى للنيل الابيض تمتد شمالا .

بين العامل الاقتصادى لنظام الملكية المصرية القديمة والحاكم المحلى أو رئيس القبيلة ، على أساس أن ذلك الاخير مسئول عن رفاهيــة المجتمع الذى يرأسه. بمعنى أنه طالما تمتع الحاكم بقوته ، فان هذا ينعكس بدوره على الطبيعة بذاتها فتتوفر المحاصيل وتكثر الامطار ، ويحل الامن والاستقرار بحيــاة المجتمع . ويعتبر ملك جوكون (*) Jukon نموذجا آخر لهذا النوع من الحكام حيث كان يلقب «بقمح غينيا» . وكان الاعتقاد السائد أنه يستطيع التحكم فى المطر والرياح ، وأنه اذا هبت الاعاصير وضعفت المحاصيل ، فان ذلك انمــا يعــود الى اهماله أو الى ضعف فى قواه نتيجة لتأثير بعض القوى الخفية .

وفى مجال الاعتقاد بألوهية الحكام فى المجتمعــات الافريقيــة الاولية ، كانت قبائل الشــلوك (**) Shilluk تؤمن بألوهيــة نياكانج Nayakang (أول ملك عليهم) . كما كانوا يعتقدون فى أنه يتجســد فى شخص كل حاكم من حكامهم ، وأنه أبدى لا يفنى يعيش بينهــم ليحميهم [1] . وعلى ذلك كان نياكانج يحتل فى نظر الشــلوك نفس المركز الذى كان يحتله الاله أوزير فى نظر المصريين القدماء . فقــد كانت نظرة الملكية الالهية المصرية تؤمن بالملك المصرى كتجسيد للاله حور (كما سبقت الاشارة الى ذلك) وأنه عندما ينتقل للعالم الآخر يصبح الها أعظم شأنا هو أوزير اله الموتى فى نظرهم . وعلى هذا

(*) قبائل زنجية وثنية تعيش فى غينيا وشمال نجيريا .
Seligman, C.G Races of Africa, PP. 85—86.

(**) جماعات نيلية يعيشون حول مجرى النيــل وروافده فى جنــوب السودان .

1) Frankfort, H., Op. Cit. ; P. 167.

الاساس تكون الملكية الافريقية القديمة قد نظرت الى نياكانج ملك قبائل الشلوك نظرتهم الى ملك اله ٠

كما توجد ظاهرة أخرى وهى اشراك ابن الملك أو أحد أقاربه فى الحكم وخاصة فى المراحل الاخيرة من توليه وظيفة الملكية، وذلك لضمان استمرار أسرة الملك فى وراثة العرش ٠ ويمكن ملاحظة بعـض أوجه الشبه بين مظاهر هذا النظام فى مصر القديمة من ناحية ، ومظاهـر نظام الملكية الافريقية من ناحية أخرى ٠ كما نلمس تشابها آخر فى اجراءات احتفالات اعتلاء العرش ٠ فبينما كان الملك فى قبائل الشلوك يكتسب القوى المقدسة عندما كان يتوج على كرسى العرش المقـدس الذى تحميه روح نياكانج ، كانت المناسبة الرئيسية فى مصر القديمة فى احتفالات اعتلاء العرش تجىء عندما يتوج الملك الجديد ويتسلم التيجان والشارات الملكية المقدسة ٠

أما فيما يتعلق ببعض الاعياد المتشابهة فى كل من المجتمعـات المصرية القديمة وبعض المجتمعات الافريقية القديمة ، فتنبغى الاشارة الى احتفال عيد الحب سد على سبيل المثال ٠ وهذا العيد يعتبر من أقدم الاحتفالات المصرية القديمة ٠ فقد كان من المفترض أن يقتـل الملك فى نهاية العام الثلاثين من حكمه ٠ وهى عادة وحشية من العصور القديمة كان الغرض منها قيام ملك له قوته الحيوية على الدوام التى يستطيع بها أن يدير شئون الحكم وهو فى عنفوان قوته ٠ ولابد أن هذه العادة قد زالت قبل عهد الملك نعرمر بزمن طويل وتحول الاحتفال الفعلى لقتل الملك الى احتفال رمزى يشير الى تجديد شبابه ٠ وأنه يمكن القول بأن هذا العيد يشبه بعض الاعياد التى كانت تحتفل بها

القبائل الافريقية ، مما يوحى بالاعتقاد بأن أصل هذه الاعياد افريقى النشأة .

ومن ناحية أخرى ، يرى بعض المؤرخين [٢] بأنه ليس من المستبعد أن تكون هذه الاعياد مصرية النشأة . ويتخذون دليلا على ذلك من الاحتفالات السنوية التى كانت تقام فى افريقيا الاستوائية حيث كان ملك البانيورو يقوم بتصويب سهم الى الاركان الاربعة للعالم . وقد كان هذا العيد يشبه تماما نظيره فى مصر القديمة وهو عيـد الحب سد الذى كان يقوم فيه الملك الفرعون بتصويب الاسهم الى الاركان الاربعة كذلك ، مما يحمل على الاعتقاد بأن هذا العيـد الافريقـى قد اشتق من نظيره المصرى .

وفى الواقع فان نظرة تلك الشعوب الى الحاكم كانت تقوم على أساس أنه كان يؤدى دور الوسيط بين القوى الالهية وبين المجتمـع الانسانى . وأن صلاحيته هذه كانت تستمر حتى بعد مماته . فحكام أوغنده[*] Uganda كانوا يستمرون بعد موتهم فى ابداء النصح والارشاد لشعوبهم من خلال وحى منزل . كما أن بعض القبائل الاخرى كانت تلتمس النصيحة عند مقابر حكامهم الذين ماتوا وخاصـة فى أوقات الشدة والحيرة وكانوا لا يقومون بدفن حكامهم قبل أن يستقر رأيهم على من يخلفهم. فالكزيبو[**] Kizibu يعترفون بوجود اله ولكنهم

---

2) Oliver, R., and Mathew, G., History of East Africa, Addis Ababa-Lusaka, 1967. PP. 88—89.

(*) جنوب السودان

(**) قبائل افريقية .

فى الواقع كانوا يعبدون روح أحد ملوكهم الاقدمين الذى كان يحكم عالم الموتى • ان مثل هذا الاعتقاد فى نظر هذه القبائل الافريقية ، يتسبه الى حد كبير ايمان المصريين القدماء فى خلود الملك الاله • وتوجد نظائر لهذا الاعتقاد كذلك فى بعض الشعوب الافريقية ذات الاصل الحامى مثل قبائل البانتو (*) Bantu الذين يؤمنون بخلود رؤسائهم فى تحديهم الموت (٣) •

وبالنسبة لظاهره التضحية البشرية Human Sacrifice يلزم القول بانه فى أوائل العصر التاريخى ، كان رجال الخدم والاتباع يدفنون فى قبور حول المقابر الملكية • فقد عثر على مقابر خاصه بالخدم وبعض أفراد الحاشية الملكية الذين قد دفنوا حول مقبرة الملك المصرى القديم ابتداء من الاسرة الاولى • ويعتقد بعض المؤرخين أن أفراد الحاشية كانوا يقتلون أنفسهم يوم موت الفرعون أو بعد ذلك • ويغلب أن ظاهرة التضحية البشرية فى مصر القديمة كمظهر من مظاهر الولاء نحو الفرعون قد مورست خلال الاسرة الاولى كما يتضح فى المقابر الملكية فى أبيدوس ، وبصفة خاصة فى مقبرة الملك جر • ولكن هذا التقليد قد توقف بعد ذلك (٤) ، وأصبح من الممكن اظهار الولاء

(*) جماعات زنجية عمرت وسط وجنوب افريقيا قبل وصول الحاميين الى القارة . ويرى سلجمان أن تسميتهم بالبانتو اللهجة التى يتكلمون بها . أى ان اساس التسمية لغوى .
Seligman, C.G., Op. Cit., PP. 20—21.

3) Frankfort, H., Op. Cit., P. 62.

4) Reisner. G.A., Excavations at Kerma, 1—111, Cambridge, 1924, PP. 141 ff.

والمشاركة نحو الفرعون بمجرد بناء منازل أبدية يدفن فيها أصحابها بعد وفاتهم الطبيعية حول مقبرة الملك • ويغلب أن ظاهرة التضـــحيه البشرية فى مصر القديمة فى الاسرة الاولى ، ترجع الى جذور افريقية الاصل •

وفى ضوء ما قدمناه من الظواهر الحضـــاريه المشتركه ، يمكن تفهم الاصول الافريقيه التى اثرت على نشاه الحضارة المصريه ، ولو أن المجتمعات الافريقيه الاوليه ظلت محتفظه بافكارها الأولى ، بينمـــا تطورت الحضارة المصريه القديمة حتى وصلت الى مرحـــلة تفوقهـــا فى الكمال • وبالرغم من الاهميه الخاصة لنظام الملكيه فى المجتمعات الافريقية والذى مازال كائنا حتى وقتنا الحاضر فى بعـــض المنـــاطق الافريقية الاستوائيه فى صورة قبلية ، الا أن بعض العلماء أمثـــال يونكـــر Junker (٥) يعتقد فى امكانية تواجد أصول مصرية للعادات الافريقية التى انتشرت بين الزنوج الذين عاشوا بجوار مصر فى الدولة القديمة • ويتجه سلجمان Seligman الى القول بأن كثير من العادات المشتركة بين المجتمعات المصرية والافريقية، انما تعود جذورها الاولى الى أصول مصرية انتشرت جنوبا • ولو أنه لا يعتقد بوجود أدلة قوية تميز بين هذه العادات وبين نظائرها الافريقية التى ترجع الى الحضارة الحامية فى شمال وشرق افريقيا • ويشير سلجمان كذلك الى أن عادات الدفن المتبعة فى وقتنا الحالى فى بعض قبائل الكونغـــو والسودان ، انما تعود أيضا الى أصول مصرية • كما أن قبائل الدنـــكا والنوير يقومون بعادات مماثلة كتلك التى كان يقوم بها المصريون القدماء(٦) •

---

5) Junker, H., « The First Appearance of the Negroes in History», (in) J.E.A., Vol. II, London, 1921, PP. 121—123.

6) Seligman, C.G., Egyptian Influence in Negro Africa, (in) Studies Presented to F.ll Griffith, London, 1932, P. 462.

ويضيف سلجمان[٧] ملاحظته لاستخدام ملوك أوغندة رمز النسر مما قد يكون تقليدا لاستخدام الفراعنه لرمز الصقر، وأن دلك قد يحمل على وجود صلات بين المجتمعات المصريه وتلك المجتمعات الافريقيه • أما فرانكفورت [٨] ، فانه يميل الى النظرية القائله بأن الحضارة المصريه القديمه قد بدأت على الاساس الحامى لشعوب شرق افريقيا • كما أنه يعتقد بوجود كثير من الادله على تواجد مؤثرات خارجية من البلاد الناطقه باللغات الحاميه فى شرق افريقيا • وعلى هذا فان فرانكفورت يعتقد بان الحضاره المصرية القديمة قد تاثرت بالاصول الافريقيه ، وأن نظام الملكيه الالهيه المصرية القديمة ، يشبه نظيره فى نظام الملكيه الافريقيه القديمة [٩] •

وعلى هذا الاساس ، يصعب البت نهائيا فى مدى اعتبار الاسس الاولى لنظام الملكيه الالهية افريقية أو محلية ، ولكن يغلب أنهـا فى جدورها الاولى افريقية ، ثم سرعان ما حملتها العنـاصر الحاميـه المتأثرة بالجوانب الافريقية الى مصر • وعلى ذلك نرى أن الاصـول الاولى فى نشأة الحضارة المصرية القديمـة بمقوماتهـا السياسـية والحضاريه بوجه عام كانت افريقية ، ثم اندمجت تلك الاصول مـع المؤثرات المحلية وتبلور ذلك عن الطابع المصرى • وعندما تطـورت الحضارة المصرية أثناء العصر التاريخى ، عادت فأثرت بالتالى بطريق مباشر أو غير مباشر فى المجتمعات الافريقية •

7) Seligman, C.G., Ibid., P. 457.
8) Frankfort, H.. Op. Cit., P. 16.
9) Frankfort, H. Ibid., P. 199.

نظام ارتقاء العرش فى مصر القديمة

ـ كان الجلوس على العرش فى مصر القديمة من المشـــاكل التى تناولها المؤرخون والاثريون عند دراستهم لتتابع الاسر والعصور . وفى الامكان معالجـــة هذه المشكلة من زاويتين رئيسيتين : الاولى ، هل كان نسب الملك للاله هو الاساس لتولى العرش ؟ أم كان الشرط اللازم لتولى العرش هو أن يكون الشخص من أم تجرى فى عروقها الدماء الملكية نقية تماما ؟ واذا لم يتوفر هذا الشرط ، فيجب أن يتزوج من سيدة من الاسر المالكة . ولاشك أنه كانت هناك من الاســباب التى جعلت هذا الشرط يتحكم فى أجلاس الملك على العرش . والنقطة الثانية ، نسب الملك الالهى على أساس النبوءة عندما ينتفى الشرط الاصلى وهو انتماء الملك الى أم ملكية أو زواجه من سيدة ملكية .

وفى هذا المجال تنبغى دراسة بعض جوانب الانتاج الحضارى فى مصر القديمة المتعلق بهـــذا الجانب . فبالنسبة لنشأة الحضـــارة المصرية القديمة ، يلزم القول بأن الانسان المصرى القديم قد شارك فى صنع الاصول الاولى للحضارة الانسانية فى كافة مجالاتها ســـواء المادية منها أو المعنوية . وقد بدأ هذا الدور فى مرحلة انتاج الطعام حيث تمكن من التوصل الى الزراعة وبناء القرى . ثم استمر فى تأدية هذا الدور حتى وصل الى مرحلة النضوج فى نهـــاية عصر ما قبـــل

التاريخ • ولقد استلزم نجاح الانسان المصرى القديم فى هذا الاتجاه وضع بعض المبادىء اللازمه لتنظيم مجتمعه فى النواحى الاقتصادية والاجتماعيه والسياسيه • ويصعب على المؤرخ التعرف على نوع التنظيم السياسى المبكر فى هذه المجتمعات الاوليه فى مرحلة العصر الحجرى الحديث ، وذلك لعدم وجود أدلة مكتوبه تبين تفاصيل هذا النوع من التنظيم • ولكنه يلاحظ أن بعض الاثار التى عثر عليها فى موقع حلوان العمرى تلقى بعض الضوء التاريخى على المجال السياسى فى ذلك العصر المبكر • فقد عثر على هيكل عظمى وبجوار يده صولجان يرمز للحاكم مما يعبر بوضوح عن حقيقه وجود مظهر أولى للرئاسة• فوجود رئيس يستلزم بالتالى وجود مرؤوسين[١] •

وقد تطور التنظيم السياسى فى عصر ما قبل الاسرات حيث وصل الى مرحلة تواجد الكيانات الصغيرة المتعددة المستقلة بحدودها وعواصمها وحكامها وآلهتها ورموزها الخاصة بها • وكان يقوم على رأس تلك الكيانات حكام ترتبط زعامتهم بمظاهر الطبيعة • فاذا مرض الحاكم أو تقدمت به السن فسوف يؤثر ذلك على مظاهر الطبيعه ، فيقل المطر وتضعف الماشية ويقل المحصول • واذا ما تغير هذا الزعيم فان صفات الحاكم الجديد وهو عادة يكون كشاب ملىء بالنشاط والفاعلية ، فيعم الخير فى هذه الحالة • وربما كانت هذه أولى الخطوات نحو قدسية الزعامة ، ولكنها لم تبلغ مرحلة التأليه فى تلك المرحلة المبكرة •

ولم ينفرد المجتمع المصرى القديم بظاهرة الارتباط بين الحكام وبين بعض القوى الالهيه ، حيث أن كل المجتمعات الاولية قد أخذت

---

(١) رشيد الناضورى ، جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا ، طبعة ثانية ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٢٩ .

بهذه العقيدة . ولعل عقيد الطوطمية Totemism كظاهرة اجتماعية فى المجتمعات البدائية تعتبر دليلا على أن الانسان الاول قد فرض على نفسه عقيدة تربط بين الحاكم وبين قوى الطبيعة .

فقد كانت مصر فى عهـــودها الأولى تتكون من جمـــاعات تربط بعضهـــا عن طريق انتسابها لطوطم يتخذ من النبـــات أو الحيوان ؛ يعتقدون أنه أصلهـــم ويتخذونه رمزا يدل عليهـــم . فالطوطمية فى حقيقة مفهومها كانت تعنى عبادة الاسلاف من غير البشر . والقبائل الاولية كان لها تفكير خاص يتصل بالآلهة والعبـــادات ويختلف كثيرا عما تعرفه الديانات ، ذلك لأن ما يعتقدون به لم يكن دينا وانما هو عبادة لقوى أو مظاهر مختلفة .

وبعد التطور الرتيب انعكس هذا الاعتقاد بدوره على القـــوى الالهيه . ولقد استقر الرأى استنادا على دلائل مختلفة على التفرقة بين بدايات هذه الآلهة وبين الطواطم[٢] ، اذ أن لهذه الكلمة مفهوما واضحا عند علماء الاجتماع . وربما كانت هذه الآلهة فى بدايتهـا معبودات قبلية لجماعات بشرية متعددة مستقرة، هى التى كونت فيما بعد المجتمع المصرى القديم . ولم تكن الشعارات التى اتخذتها الاقاليم الادارية فى مصر فيما بعد سوى امتداد للرموز المقدسة لتلك الوحدات من أشجار وحيوانات . وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار بعض الرموز مثل سوت (شعار مملكة مصر العليا) ، والنحلة (شعار مملكة مصر السفلى)[٣] من الطواطم التى يمكن التدليل على وجودها فى اقليمى

---

(٢) ج. يويوت ، مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، ومراجعة عبد المنعم ابو بكر ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٢ .

3) Gardiner, A., Egyptian Grammar Being an Introduction to the study of Hieroglyphs, London, 1969, P. 73.

مصر فى العصور المبكرة • ولقــد أتبت علماء الآثار وجود فروق فى درجة التطور الحضارى فى هذين الاقليمين ، اذ كانت السيادة الحضارية فى أول الامر للشمال •

وفى المجال الدينى ، سبقت الاشارة الى تتبع الاله حور اله مصر السفلى منافسه الاله ست اله مصر العليا ، مما يمكن اعتباره دليلا على محاوله تحقيق الوحدة النسماليه بين الشمال والجنوب ، والتى اعتبر أن الشمال قد بادر اليها • وبالرغم من ان هدا التوحيد الاول لا يعرف عنه الكثير سوى حدوثه ، الا أن البـــلاد عادت مرة أخرى وانقسمت الى مملكتين متنافستين على رأس كل منهما ملك من خدام حور ، وهم ملوك يضعهم المصريون القدماء فى مصاف أنصاف الآلهة• وكانت عاصمة الشمال فى غرب الدلتا ويضع قائدها على رأسه تاجا أحمر هو الشعار والزينة التى تتخذها الالهة نيت ربة سايس (صا ــ الحجر) ، والالهة الثعبان واجت ربة مدينـــة بوتو (تل الفراعين) • واتخذ ملوك الجنوب التاج الابيض شعار الالهة العقاب نخبت سيدة مدينة نخن • ولم يلبث ملوك الجنوب أن استولوا على مملكة بوتو فى الالف الثـــالث ق•م• وقد ورث ملـــوك الاسرات الاولى قوى فوق الطبيعة كانت تعزى فى الازمنة السحيقة الى رؤساء القبائل النيلية • وكان انتسابهم الطوطمى للاله حـــور ، واتخاذ التـــاج والصولجان وطقوس التتويج وحفلات اليوبيل الدورية ، كان كل ذلك يزودهم بقوة سحرية لازمة للمحافظة والابقاء على كيان المجتمع •

وبفضل هذا الامتياز الادبى ، عرفوا كيف يخضعون مواطنيهم خضوعا مباشرا للملك حيث كانت تلك المفاهيـــم فى مخيلتهم أثنـــاء

مرحلة تطـــور الطوطميه الى القدسيه • ولقد ساعدت على قدســـيه هؤلاء الزعماء بعض المظاهر مثل الرموز التى جعلت من يقبض عليها زعيما أو ملكا ، سواء كان ذلك التاج الابيض او التاج الاحمر أو عصا الرئاسه • وبالاضافه الى ما سبقت الاشارة اليه ، نشأت بعض المظاهر الاخرى التى ساعدت على تأكيد القدسية التى كانت تضفى على هؤلاء الحكام مثل انتساب الملك الى شمسو حور ، ممـا كان يكفى لاعطاء حق الجلوس على العرش • ولقد كانت هذه الحقيقـــه الاساسية فى العقيدة المصرية القديمة أساسا لفكرة الملكية الالهية • وكانت الطقوس الدينية تؤكد أن ملك مصر كان يعتبر تجسيدا للاله حور منذ الاسرة الاولى • وربما كانت تلك الظاهرة تدعو الى الاعتقاد بان حور قد تجسد منذ فجر التاريخ فى زعيم محلى ، واستطاع هذا الزعيم أن يقهر منافسيه ويصبح ملكا على مصر المتحدة • وهكـذا اعتبر حور ملكا اسطوريا بعد قيام الوحدة السياسية ، وانعكس هذا الحق على كل من يجلس على عرش مصر وأصبح ملكا حوريا [٤] •

ويستلزم دراسة موضوع انتساب الملك للاله ودوره فى أحقية العـــرش فى مصر القديمة تحليـــلا لتسلسل بعـــض الاسرات المصريه ولزوجاتهم • وتنبغى الاشارة الى أن معظم ملوك الاسرتين الاولى والثانية كانوا يتزوجون من أميرات من الشمال ، ثم تبع ذلك مرحلة بـــدأنا نستشعر فيهـــا أهمية انتساب الملك الى أم ملكية • فبالنسبة

---

(٤) صموئيل كريمر ، أساطير العالم القديم ، ترجمة أحمد عبد الحميد وعبد المنعم ابو بكر ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص٢٨ .

للحور نترخت زوسر مؤسس الاسرة الثالثة ، فيرجع بعض المؤرخين(٥) أنه قد فاز بالعرش عن طريق أمه نى ماعت حب التى ورد اسمها مكتوبا على بعض الاختام التى عثر عليها فى بيت خلاف (جنوب جرجا) . وذلك على أساس أن هذه السيدة كانت أولا زوجة لملك مصر السفلى وأنها أنجبت من هذا الملك ابنها زوسر . وأن زوجها قد لقى مصرعه خلال معاركه مع خع سخموى ملك الجنوب الذى تزوجها بعد انتصاراته على زوجها المقتول . ونتيجة لهذا أصبحت نى ماعت حب معترف بها كملكة لملكة مصر العليا والسفلى ، واستطاعت أن تورث ابنها زوسر الحق الشرعى ليجلس على عرش الجنوب وأن يؤسس أسرة ملكيـــة جديدة . وبذلك أصبح زوسر لأول مرة يحوى فى شخصه الصـــفة الالهية عن طريق بنوته لملك الشمال وبنوته للأم الملكية ، واستطاع زوسر بهذا أن يحكم مصر بعد الارتفاع بنفسه الى مصاف الآلهة . ومنذ ذلك الوقت أصبح الملك المصرى القديم يؤله ويعتبر بذلك تجسيدا للاله حور . وتحقيقا لعقيدة الملكية الالهية ، أضفى الملوك على نظام حياتهـــم الصفات الالهية وذلك بربط مظاهر حياتهم بالآلهة بغـــرض تعزيز الصفة الالهية للحكم الملكى وتأكيدا لانتسابهم لعالم الآلهة .

أما فيما يتعلق بالملك سنفرو ، فقد تزوج من الاميرة حتب حرس ومن المحتمل جدا أنها ابنة الملك خونى، وهى الاميرة التى كانت تحمل فى دمها حق وراثة العرش . وبذلك أصبح مركزه شرعيا فى البلاد .

---

(٥) ايتين دريوتون ، جاك فانديه ، مصر ، ترجمـــة عبـــاس بيومى ومراجعة شفيق غربال وعبد الحميد الدواخلى ، القاهرة ، ١٩٥٠، ص ١٩٠ .

ولو أن بعض المؤرخين يتشككون فى صلته بحونى آخر ملوك الأسرة الثالثة ويريدون أن يروا بينها احدى صلات القربى [٦] .

ولئن كان نسب الملك الالهى رمزيا فى أوائل الاسرات ، فان بعض من لم يكن من حقهم تولى العرش فى مصر قد خرجوا على الشـــعب بنبوءة من الكهنة لتقنع الانسان المصرى القديم فى أصلهم المقــدس وذلك بغرض الوصول الى العرش . ومن ذلك نذكر تلك الاســطورة التى عثر عليها مكتوبة على بردية تعرف باسم وستكار[٧] وتنســب الى الاله رع انجاب ابناء يتنبأ لهم باعتلاء العرش وهم الملوك الثلاثة الاول للاسرة الخامسة . وعلى ذلك فان تلك البردية قد أوردت بعض التفاصيل عن المولد الالهى [٨] . ويمكن اعتبار قصة المولد الالهــى لأبناء الاله رع الثلاثة لها مغزاها التاريخى . فهى محاولة نسجهــا الفكر الدينى الهليوبوليتانى حول كهنة الاله رع لتجعل منهم أبنــاء لهذا الاله ليكتسبوا بذلك شرعية وحقا الهيا فى الحكم . وهكذا يكون ملوك الاســـرة الخامسة قد اضطروا الى الالتجاء الى النسب الالهى فى حين لم يحدث هذا مع أى ملك من ملوك الاسرتين الثالثة والرابعة.

ولقد تلى ذلك مرحلة فى التاريخ المصرى القديم لم تصبح فيها ظاهرة النسب الالهى وحدها وسيلة الوصول الى العرش ، اذ كان

---

6) Fakhary, A., The Monuments of Sneferu at Dahshur, Vol. 1, 1959, PP. 15—23.

7) Erman, A., Die Maerchen Des Papyrus Lescat, 2 vols, Berlin, 1890.

———, The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927, P. 36.

8) Blackman, A.M., « Notices of Recent Publications ». (in) J.E.A., Vol. X, London, 1924, P. 169.

الاله أيضا يصور بصورة الجالس على العرش . وقد اعتبرت نساء الاسرة الثامنة عشرة أنفسهن أزواج آمون وكاهناته منذ عصر الملكة عاح حوتبة (زوجة سقننرع أحد أبطال التحرير الذين ساهموا فى طرد الهكسوس من مصر) . واعتبار الملوك من أبنائهن حكام شرعيين من ورثة آمون اله طيبة . وقد عثر على أثر [٩] بين أنقاض الكرنك يرجع الى عهد الملك أحمس نقش عليه وصية خاصة بالبيت المالك ويظهر فيها الفرعون سقننرع ممسكا بصبى يدعى أحمس ويتقدم به لآمون بقربان من الخبز الابيض . ويستدل من دراسة هذا الاثر على أن الفرعون كان يقدم ابنه للاله آمون . وتبدو من ألقاب الصبى ما يصوره ابنا لآمون وأنه يطلب السماح من آمون أن يعهد اليه بولايته على العرش. وقد صورت أم الصبى وهى الملكة أحمس نفرتارى على نفس الاثر باعتبارها من زوجات آمون . ويتضمن الاثر تنصيب الملكة الكاهنة لآمون مما يدل على أن الملكة كانت تشغل وظيفة دينية فى معبد آمون . ويبدو أن هذا التقليد قد توارثه أحمس عن سقننرع الذى كان له نفس الحق ، واحتفظ به لزوجته عاح حوتبة . وكانت وظيفة الكاهن لآمون لها خطورتها فى تلك المرحلة ، وخاصة فيما يتعلق بالسيطرة على أوقاف معبد آمون وكهنته وصناع كنوزه .

ويبدو أن تحوتمس الثالث وهو صبى صغير قد صورت له نبوءة من الاله آمون لتولى العرش ، فكان ملزما أن يجلس على العرش ومعه حتشبسوت. وتشير لوحة المهندس المعمارى أنينى [١٠] الى ذلك.

---

(٩) أحمد بدوى ، فى موكب الشمس ، الجزء الثانى ، فى تاريخ مصر الفرعونية من آخر الضحى الى أول الاصيل ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٣٧٦ .

10) Breasted, J.H., A.R., Vol. II, Chicago, 1906, P. 341.

يقول النص « ان تحوتمس الثانى قد لحق بالرفيق الاعلى بعد أن جعل مكانه ولده تحوتمس (يقصد تحوتمس الثالث) ملكا على الارضين • فغدا سلطانا على عرش من أنجبه • غير أن أخته (يقصد أخت تحوتمس الثـانى) الزوجة الالهية حتشبسوت قد اضطلعت بادارة شــئون البلاد ••• » (لأنها البذرة الملكية) التى خرجت من الآلهة (يقصـد آمون صاحب العرش المقدس) •

ونجد أن حتشبسوت قد اعتمدت فى تبرير ارتقائها للعرش على جهود كهنة آمون الذين أوحوا اليها بتصوير قصة مولدها الالهى • ونرى على جدران معبد الدير البحرى وفى مبـانى معبـد الكرنك ، النقوش التى تسجل قصة مولدها الالهى • وتظهر على نقوش أحد جدران معبد الدير البحرى ما يشير الى الاله آمون وهو يعلن أمره الى الآلهة بانجاب حتشبسوت « ••• اننى سأضم لها القطرين ••• الاحياء أجمعين ، اننى سأمنحها كل البلاد ••• »[11] •

ونرى فى منظر آخر ، الالهة (حقت) وهى تقف أمام منظر الاله خنوم ومنظر آخر لطفلين متشابهين يمثلان حتشبسوت • ونقـرأ فى النقوش « لقد جئت اليك لأصورك أجمل من جميع الآلهة •• لقـد منحتك لتعتلى عرش حور مثل رع •• هذا طبقا لأوامر أبيك آمون رع الذى يحبك ••• » •

ويوجد تمثيل آخر يظهر فيه الاله آمون وهو يواجه الالهـة حتحور والتى تمد له يدها التى يقف عليها الطفل المولود وهو يعنى

11) Naville, E., The Temple of Deir El Bahari, Part II, London, 1896, P. 46.

هنا حتشبسوت بينما تسند بيدها الأخرى الطفل . كما يشاهد أيضا الاله آمون على عرشه وهو يحمل الطفل حتشبسوت .

ولقد كانت الخلافات حول أحقية تولى العرش بعد موت تحوتمس الثانى من أكثر الموضوعات التى اهتم بدراستها الباحثون وعلى رأسهم زيتة Sethe [١٢] وادجرتون Edgerton [١٣] فما أن ولى تحوتمس الثالث العرش حتى خرج على الناس بقصة اختياره الالهى التى سبقت الاشارة اليها . وقد صورت مناظر هذه القصة على جدران الكرنك . وتصور القصة تحوتمس الثالث وهو طفل فى معبد آمون ، والاله آمون فى زورقه يبحث عنه . وعندما يجده آمون يتجه اليه ويأخذ بيده الى قدس الاقداس حيث يجلسه على عرش الشمس . ويتوجه بتاج الوادى ويجعل الدنيا تحت قدميه .

ولم ينفرد تحوتمس الثالث بمثل هذا التصوير ، وانما فعل ذلك أمنحوتب الثالث . فعندما ولى العرش واطمأن الى توطيد أركان حكمه ، تحيز الى كهنة آمون وخاصة أنه شعر بمحاولتهم استغلال نسبه الى أم أجنبية وهى (موت أم ويا) ابنة الملك الميتانى فاستجاب للكهنة على الفور وشيد معبدا ضخما لآمون فى طيبة . فرد الكهنة على هذا الجميل ، وأعلنوا على الشعب مولده الالهى . وقد سجل

---

12) Sethe, K., Das Hatshepsut-Problem noch einmal Untersucht (Abhandlungen Preuss-Akad D. Wissenschaften, Berlin, 1932.

13) Edgerton, W.F., The Thutmosid Succession (Studies in Ancient Oriental Civilization : Publication of the Chicago Oriental Institute, 1933.

امنحوتب الثالث قصة مولده الالهى فى نقوش معبد الاقصر وهى تشبه الى حد كبير قصة المولد الالهى للملكة حتشبسوت ، حيث هدف من وراء قصة مولده الالهى الى التغلب على نقطة ضعفه ألا وهى أنه كانت تجرى فى عروقه دماء غـير مصرية • ففى أحد هذه النقوش ، يشاهد الاله آمون مع الملكة موت أم ويا جالسين وأقدامهما تتدلى فوق الهتين • والنص المرافق لهذا المنظر مطابق لمنظر مماثل فى معبد الدير البحرى ، ولكن يوجد به اختلاف وهو أن الفرعون هنا هـو تحوتمس الرابع واسم الطفل امنحوتب الثالث •

ويستدل من قصة المولد الالهى لأمنحوتب الثالث أن طريقه الى العرش لم يكن سهلا ، وأنه لجأ الى تلك النبوءة حتى يقنع النـاس بأحقيته فى العرش • ولقد دفع كهنة آمون الى اخراج هذه القصة ، كراهيتهم لتحوتمس الرابع الذى كان قد انحاز الى العقيدة الأتونية ، وهى عبادة الاله آتون كاله أوحد • ولقد ترتب على ذلك انكار كهنة آمون لعهده • فما أن اطمأنوا الى موقف امنحوتب الثالث ، حتى كتبوا له تلك الاسطورة لاظهار حقه فى العرش من ناحية ، وليحرموا منافسيه من أبناء تحوتمس الرابع من العرش من ناحية أخرى •

مظاهر النشاط السياسى لبعض ملكات مصر قرب نهاية الأسرة السابعة عشرة وبداية الاسرة الثامنة عشرة

لعبت المرأة المصرية دورا هاما فى صنع الحضارة المصرية القديمه، حيث خاضت العديد من مجالات الحياة سواءا منها ما يتصل بسياسه البلاد الداخلية أو الخارجية • لذلك كان على الباحث أن يلقى بعض الضوء التاريخى على دراسة هذا الدور ومدى أثره فى مجريات الامور حينذاك حتى يعطى صورة صادقة عن مركز المرأة المصرية القديمة ومدى اسهامها فى رقى الحضارة وتقدمها • ونظرا للاهتمام المحدود الذى لقيه هذا الجانب ولاسيما فيما يتعلق بدراسة مظاهر النشاط السياسى لبعض ملكات مصر قرب نهاية الاسرة السابعة عشرة وبداية الاسرة الثامنة عشرة ، فقد اتجه البحث الى دراسة التركة الاثرية لبعض ملكات تلك المرحلة بغرض التعرف على دورهن سواء فى السلم أو الحرب •

لا يستطيع الباحث أن يتجاهل الحقيقة التاريخية فى أن احتلال الهكسوس لمصر كان من أكبر العوامل التى شجعت المصريين القدماء أن يتحولوا الى شعب محارب يثور فى وجه المحتل • ويعود الفضل

فى ذلك بالدرجة الاولى الى ملوك الاسرة السابعة عشرة حيث يمكـن اعتبارهم أول من بدءوا بمناوءة الهكسوس . وتجدر الاشارة فى هذا المجال الى ثلاثة من أبطال التحرير ، الاول الملك سقنن رع Seqenenre والثانى الملك كامس Kamose والثالث الملك أحمس الاول Ahmose I وبجانب هؤلاء القادة ، تصادفنا أسـماء لملكات من تلك الحقبة ممن قمن بدور بارز جعل من اللازم اعتبارهن من الملكات الخالدات فى تاريخ مصر القديمة . ومن بين هؤلاء يمكن الاشارة الى الملكة تتى شيرى Tetisheri جدة الملك أحمس ، والملكة عاح حوتيه Ahhotpe ثم الملكـة أحمس نفرتارى Ahmose Nefertiry .

ان الدراسـة التاريخيـة لشخصية تتى شيرى من واقع الادلة الاثرية ، تتيح للباحث التعرف على تطور الاحداث السياسية فى مختلف المراحل الزمنية التى عاصرتها وبصفة خاصة أثناء عصر أحمس الاول . وتعود أهمية دراسة تلك الشخصية التاريخية الى تصدرها لقائمة من الملكات توارثن قمة السلطة السياسية فى البلاد على مدى قرن كامل[1]. وعلى الرغم من أن تتى شيرى كانت تنتسب الى أبوين غير ملكيين [2] اذ كانت ثمرة زواج نفرو Neferu من ثننا Thenna فربما كانت زوجة

1) Murray, M.A., « Queen Tety-Shery », (in) Ancient Egypt and the East, December, Part II, London and New York, 1934, P. 68.

2) Winlock, H., « On Queen Tetisheri, Grandmother of Ahmose I », (in) Ancient Egypt, Part I, Boston, 1921, P. 16.

لسقنن رع تاعو الاول Seqenenre Tao I وأم لسقنن رع تاعو الثانى، وأم زوجته الملكة عاح حوتبة [٣] .

وقد ورد ذكر الملكة تتى شيرى فى خمسة وثائق تعود الى المراحل المبكرة من عصر الاسرة الثامنة عشرة حيث تظهر على لوحة* مع الملك أحمس الاول وهو يشرف على ترميم معبد الاله منتو Montu فى طيبة، ونقرأ فى نص اللوحة «(فى ال ... سنة) ؛ فى شهر الصيف الرابع ، اليوم السابع عشر ، فى عصر جلالته ملك مصر العليا والسفلى نب بحتى رع Nebpehtire ، ابن رع ، أحمس، له الحياة ، (شيد) مجددا هـذا الجدار لأبيه منتو اله طيبة ... » . وتقف من خلف أحمس ملكـة تبدو أقصر منه قامة وجد اسمها منقوشا بصورة غير كاملة على أنها «الام الملكية تتى شيرى»[٤] .

ويستدل من دراسة هذا الاثر على أن تتى شيرى عاشت حتى عاصرت حفيدها أحمس وشاركت فى تجديد معبد منتو فى طيبة . .

وبعد حـرب الهكسوس ، يظهر اسم تتى شيرى على بردية[٥] تتضمن احصاءا للحقول والتى منحت احداها لها فى مصر السفلى[٦]،

---

3) Murray, M.A., Queen Tety-Shery (Frontispiece) (in) Ancient Egypt and the East, Part I, June, London and New York, 1934, P. 6.

(*) موجود حاليا فى متحف الجامعة بلندن .

4) Winlock, H., Op. Cit., P. 15.

5) Redford, D.B., History and Chronology of the Eighteenth Dynasty of Egypt : Seven Studies, U.S.A.. 1967, P. 40.

6) Winlock, H., « The Tombs of the Kings of the Seven-

مما يؤكد أن تتي شيرى قد أدركت المرحلة التى تم فيها طرد الهكسوس من مصر وأنه فى تلك المناسبة ، تسلمت من حفيـــدها تلك الضيعة فى شمال البلاد التى طرد منه الهكسوس (٧) .

وقد عثر كذلك على تمثالين* صغيرين للملكة تتى تيرى فى مقبرتها بطيبة والتمثالان متشابهان فى الحجم وفيما يحملاه من نقوش ، حيث تبدو الملكة جالسة على العرش مرتدية رداءا أبيض طويل (٨) ، بينما تقدم القرابين لاسم أزوريس سيد أبيدوس فى الناحيـــة اليسرى من العرش ، ولأمون سيد الكرنك فى الناحية اليمنى (٩) ، والى كا الام الملكية تتى شيرى (١٠) .

= teenth Dynasty at Thebes, with Plates XII-XXI », (in) J.E.A., Vol. X, London, 1924, P. 246.

7) Winlock, H., « On Queen Tetisheri, Grandmother ot Ahmose I » (in) Ancient Egypt, Part I. Boston, 1921, P. 15.

(*) أحدهمـــا موجود بالمتحف البريطانى تحت رقـــم ٢٢٥٥٨ ، والآخر موجود ضمن مجموعة المعهد الفرنسى بالقاهرة .

Winlock, H., « The Tombs of the Kings of the Seventeenth Dynasty at Thebes with plates XII—XXI » (in) J.E.A., Vol. X. London, 1924 P. 247.

8) Winlock, H., Ibid., P. 247.

9) Murray, M.A., « Queen Tety-Shery » (in) Ancient Egypt and the East, December, part II, London and New York, 1934, P. 66.

10) Winlock, H., Op. Cit., P. 247.

كذلك وجد اسم الملكة تتى تيرى منقوشا على بعض قطع كفنها حيث يشير النقش الى اسمها وقد كتب تحته «المولودة من سيدة البيت نفرو ...» . وفى سطر آخر «الام الملكية ، تتى شيرى ، المولودة من السيدة ...» وباقى السطر مهشم . وفى موضع آخر نقرأ اسم نفرو وثننا بوضوح [11] . هذا بالاضافة الى اللوحة* التى أقامها أحمس للملكة تتى شيرى فى أبيدوس وفاءا لها [12] ففى تلك اللوحة كان يشار اليها على أنها «الام الملكية ، والزوجة الملكية العظمى » [13] . ولكن يلاحظ أنها لم تلقب بأنها «ابنة ملك» مما يدعم القول بأن أبويهـا كانا من العـامة . وقد جاء فى مقـدمة اللـوحة «جلس فى صـالة الاحتفالات ، جلالة ملك مصر العليا ومصر السفلى ، نب بحتى رع ، ابن رع ، أحمس الاول ... وكانت مع جلالته ، الاميرة بالوراثة ... ابنة الملك ، أخت الملك ، زوجة الملك العظمى ، أحمس نفرتارى ، ...

11) Murray, M.A., Op. Cit., P. 69, Figs. 3, 4A, 4B and 4C.

(*) يبلغ ارتفاع هذه اللوحة سبعة أقدام . وتبدو فيها الملكة تتى شيرى وهى جالسة على العرش ويقف أمامهـا حفيـدها احمس الاول ، وبينهما مائدة قربان .

Ayrton, E.R., Currelly, C.T., and Weigall A.E.P., Abydos, Part III, The Egypt Exploration Fund, London, 1904, P. 36, and PL. LII.

12) James, T.G.H., « Egypt : From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I », (in) C.A.H., Vol. II, Part I. Cambridge, 1973, P. 306.

13) Breasted, J.H., AR, 11, §33, P. 14.

وتحدث كل منهما الى آخر ، وتداولا فيما يجب عمــله من خــيرات للراحلين ... »[١٤] .

وأجابها الملك بقوله « اننى تذكرت أم أمى ، وأم أبى ، الزوجة العظمى للملك وأم الملك ، تتى شيرى المنتصرة »[١٥] .

(وعلى الرغم) أن لها قبرا ومعبدا جنزيا على أرض المقاطعتــين الطيبية والثينية [١٦] فاننى أقول لك أن جلالتى انتوى أن يصنع لها هرما ومعبــدا فى الارض المقدســة (أبيــدوس) بالقــرب من آثار جلالتى[١٧] .

وعلى ذلك يكون لتتى شيرى بجانب مقبرتها فى طيبــة ، مقبرة رمزية فى أبيدوس أقامها لهــا حفيــدها أحمس الاول [١٨] تخليــدا لذكراها .

وتدل تلك التركة الاثرية سواء كان ذلك فى اللوحات المنقوشــة أو المرسومة ، أو التماثيل ، على شخصية تتى شيرى الحازمة التى استطاعت أن تترك بصماتها فى تاريخ تلك المرحلة .

---

14) Breasted, J.H., Ibid.,§§ 34, 35, P. 15.

15) Winlock, H., Op. Cit., P. 247.

16) Winlock, H., Ibid., P. 247.

17) Winlock, H., Ibid., P. 247.

18) Redford, D.B., Op. Cit., P. 30 and Edwards, I.E.S., The Pyramids of Egypt, Penguin Books, Great Britain. 1967, P. 244.

أما فيما يتعلق بالملكة عاح حوتبة ، فقد كانت أما للملك أحمس الاول[19] وزوجة ملك ، وابنة ملك ، حيث نشاهد على تمثال لأحمس الاول أسماء أبويه منقوشة على الوجه التالى :

« الاله الطيب ، حاكم الارضين تاعو ، والابنة الملكية العظمى التى اتخذت لنفسها التاج الابيض الجميل ، عاح حوتبة »[20] .

وعلى ذلك فانه يمكن القول بأن عاح حوتبة هذه هى أم لأحمس الاول ، وأن زوجها هو سقنن رع تاعو الثانى ، وقد عاشت عاح حوتبة الى السنة العاشرة من حكم أمنحوتب الاول كما يستدل على ذلك من لوحة كامس الطيبية[21] . وطبقا للتواريخ ، تكون عاح حوتبة قد بلغت الثامنة والثمانون من عمرها[22] .

وقد بدأت الملكة عاح حوتبة تلعب دورها على مسرح السياسة المصرية بعد موت أمها تتى شيرى ، فشاركت فى التمهيد للثورة على الهكسوس ، ولمع اسمها فى المراحل المبكرة من عصر أحمس الاول[23]

---

19) Winlock, H., Op. Cit., P. 250.

20) Winlock. H., Ibid., P. 251.

21) Petrie, W.M.F.. A History of Egypt during the XVIIth and XVIIIth Dynasties, 1896 with Additions to 1898, Third Edition, Vol. 11, London 1899, P. 10.

22) Petrie. W.M.F., Ibid. P. 10.

23) Breasted, J.H., A.R. II, § 31, P. 13.

حيث تشير لوحة أحمس فى الكرنك* الى عاح حوتبة بأنها «... تلك التى ترعى شئون مصر وترعى جنود مصر ، لقد سهرت على شـئون المصريين وقضت على أعدائهم ، وهى التى أرجعت المهاجرين وهدأت من ثورة المصريين فى مصر العليا ، وتخلصت من العصاة ...»(٢٤) .

ويستدل من ذلك النص على الدور الهام الذى لعبته عاح حوتبة فى تلك اللحظات الحرجة التى مرت بها مصر فى حربها مع المحتـل الاجنبى حيث أنها أشرفت على تشكيل فرق تشترك فى الحروب ، كما تمكنت من تهدئة ثائرة نفوس بعض المصريين** فلمت بذلك شـتات البلاد عند وفاة سقنن رع أو ربما كامس (٢٥) . ومما لا شك فيه ؛ أن عاح حوتبة بجانب دورها الهام فى عودة الاستقرار فى الدولة الطيبيه بعد الاضطرابات الخطيرة التى مرت بالبلاد(٢٦) ، ربما تكون قد قامت بدور الشريك فى الحكم مع أحمس فى بداية عهده . وربما يفسر ذلك تواجد اسمها منقوشـا مع اسـم أحمس على بوابة عثر عليهـا فى

(*) عثر عليها لجران Legrain بالكرنك .
Breasted, J.H., A.R. II. P. 13.

24) James, T.G.H., Op. Cit., P. 306.

(**) يعتقد بعض المؤرخين ان بعض الخوارج والعصاة ، انتهزوا فرصة الحرب مع الهكسوس فقاموا بثورة فى الصعيد ، ولكن سـرعان ما قضى على تلك الثورة .
أحمد بدوى ، ومحمد جمال الدين مختار ، تاريخ التربية والتعليم فى مصـر ، الجزء الاول ، العصر الفرعونى ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص‌ص ٣٥ ، ٣٦ .

25) Gardiner, A., Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961, P. 173.

26) James, T.G.H., Op. Cit., P. 293.

بوهن(٢٧) Buhen عند الجندل الثانى . كما زود متاعها الجنزى بمخلفات ثمينة حمل الكثير منها اسم أحمس الاول(٢٨) . وفى نقش* عثر عليه فى العام العاشر من حكم أمنحوتب الاول ويخص المدعو كرس Keres وهو الذى وصف نفسه بأنه الخادم الرئيسى لعاح حوتبة، يعدد درجات الشرف التى أغدقتها عليه عاح حوتبة(٢٩) ، حيث أصدرت أوامرها ببناء مقبرة له ، واقامة تمثال له فى أبيدوس .

« ... لقد أمرت أم الملك أن يشاد لك قبر عند سلم الاله العظيم، سيد أبيدوس ، يؤكد لك وظيفتك ورعايتى لك ... وسوف يقام لك تماثيلك ... وسوف تقدم لك القرابين الجنزية بقدر ما تستطيع زوجه ملك أن تفعل تجاه شخص تحبه ... »(٣٠) .

هذا بالاضافة الى ما سجله كاهنها الجنزى أيوف Yuf على لوحة** بمعبده الجنزى فى ادفو « أنتم يا من سوف تمرون بهذه اللوحة ، سادلى اليكم بنبأ ما نلته من عطف الزوجة الملكية العظمى

---

27) Winlock, H., « On Queen Tetisheri. Grandmother of Ahmose I », (in) Ancient Egypt, Part I, Boston, 1921, P. 16.

28) James. T.G.H., Op. Cit., P. 307.

(*) لوحة كرس مصنوعة من الحجر الجيرى يبلغ ارتفاعها ٨٢سم ، عثر عليها فى دراع أبو النجا Dira Abu'n-Naga وموجودة حاليا بمتحف القاهرة وغير مرقمه. وقد نشرها كل من بوريانت Bouriant وبهل Piehl

Breasted, J.H., A.R. II, P. 21.

29) James, T.G.H., Op. Cit., P. 307.

30) Breasted J.H., II, § 52, P. 22.

(**) اللوحة من الحجر الرملى يبلغ ارتفاعها ٦٢سم ، عثر عليها فى

عاح حوتبة . لقد نصبتنى لأشرف على القرابين الجنزية وعهدت لى بتمثال جلالتها ، ورتبت لى مائة رغيف ... ، واناءين من الجعة ، وفخذا من كل ثور . ومنحتنى أرضا فى المرتفعات والسهول . وأكثر من ذلك وضعت تحت رعايتى كل ممتلكاتها فى ادفو ...»[٣١] . ويستدل من ذلك النص على علو مركز المرأة فى حكم البلاد ، حيث أصبحت لهـا قيمة مؤثرة فى سياسة الدولة ، مما دعى ايوف التحدث عن المنـح والعطايا التى نالها أيام خدمته فى بلاط الملكة عاح حوتبة . كما يمكن التعرف من لوحة ايوف على أن عاح حوتبـة أدركت عصر تحوتمس الاول أى أنها تكون قد بلغت حوالى المائة عام[٣٢] .

ومن بين ما تضمنته التركة الاثرية للملكة عاح حوتبة ، عثر فى مقبرتها بطيبة[٣٣] على بلطة وخنجر تحملان اسم ابنها أحمس [٣٤]* ،

= ادفو وموجودة حاليا بمتحف القاهرة تحت رقم ٢٣٨ (ترقيم قديم) وقد نشرها بوريانت . أنظر :

Bouriant, Recueil IX, 92, 93, No. 72.

31) Breasted, J.H. A.R. II, §113. PP. 45, 46.

32) Petrie, W.M.F., Op. Cit., P. 10.

33) Matz, F., « The Zenith cf Minoan civilization », (in) C.A.H.. Cambridge, 1973, P. 558.

34) Petrie, W.M.F., Op. Cit., P. 12.

(*) عثر ماريت Mariette على حلى الملكة عاح حوتبة مختبئة بجـوار

بالاضافة الى رسوم لمناظر صيد تشبه قواعد الفن المكيني[٣٥] • ولما كانت عاح حوتبــة قد ورد ذكرها فى لوحة الكرنك على أنها أمــيرة «الحاونبو» Haunebt وهى كلمة تشير الى اليونانيين وسكان بحر ايجه مما يدعو الى الاعتقاد الى أن هؤلاء الحاونبو قد تحالفوا مع أحمس للتخلص من عدو مشترك • ومن هذا يمكن القول بأن مصر ربما تكون قد استعانت ببعض الوحدات من اليونانيين لمشاركتها فى القتال ضد الهكسوس [٣٦] • أو ربما يكون لقب أميرة الحاونبو قد خلعه عليهــا سكان جزر البحر المتوسط تقربا الى المصريين عقب انتصارهم فى عهد أحمس فى جنوب الشام [٣٧] •

= جثة أحمس الاول .

Breasted, J.H., A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest, (Book V, The Empire · First Period), London. 1906, P. 252.

وتتضمن جعران وسلسلة تحمل اسم أحمس ، بالاضافة الى ثلاثة اساور وتاج ، وجميعها نقش عليها اسم أحمس .

Petrie, W.M.F., Op. Cit., P. 12.

هذا بالاضافة الى بعض قطع الحلى التى تحمل اسم كامس .

Gun, B., and Gardiner, A.H., New Renderings of Egyptian Texts. « The Expulsion of the Hyksos », (in) J.E.A., Vol. V, London, 1918, P. 47

35) Stubbings, F., « The Rise of Mycenaean Civilization », (in) C.A.H. Cambridge, 1973, P. 634.

36) Stubbings, F.H., Ibid., P. 634.

(٣٧) عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، مصر والعراق ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٩٥ .

ولقد عاشت عاح حوتبة حياة طويلة مثل تتى شـــيرى ، وظلت حتى وفاة زوجها وثلاثة من أبنائها الستة الى أن ماتت فى عصر ابنهـــا الثالث الملك أحمس[٣٨] .

وهكذا تكون هذه الملكة قد جاهدت مع زوجها سقنن رع ، ثم وقفت الى جانب كامس وأحمس ، مما يحمل على الاعتقاد بأنهـــا لم تكن فقط أم لهذين البطلين ، بل أما للمصريين جميعا .اذ يرجع الفضل اليها فى اخماد ثورة للمصريين ربما بعد وفاة زوجها[٣٩] . كما ساهمت فى القضاء على المحتـــل الاجنبى ، وعاشت حتى رأت الســـلام وهو يرفرف على مصر ، فهى تعتبر بحق حاملة لروح الثورة والاستقلال . وقد قدر مصريو تلك المرحلة كفاحها ، فعبدت مع الملكة سوبك مسف Sobkemsaf زوجة انيوتف Inyotef ، ويتضح ذلك فى لوحة من عصـــر الاسرة الثامنة عشرة[٤٠] .

ومن شهيرات النساء اللاتى دخلن تاريخ الاسرة الثامنة عشرة ، يمكن الاشارة الى أحمس نفرتارى زوجة أحمس الاول ، والتى كانت تجرى فى عروقها الدماء الملكية . وكان يطلق عليها « الابنة الملكية ، الاخت الملكية ، الزوجة الملكية العظمى ، الحاكمة العظيمة ، ســـيدة الارضين»[٤١] . ممـــا يعكس سلطتها السياسية [٤٢] . وربما تكـــون

38) Hayes, W., « Egypt : from the Death of Ammenemes III to Seqenenre II ». (in) C.A.H., Vol II, Part I, Cambridge, 1973, P. 73.

39) Redford. D.B., Op. Cit., P. 69.

40) Hayes, W., Op. Cit., P. 71.

41) Petrie, W.M.F., Op. Cit., P. 40.

42) Redford, D.B. Op. Cit., P. 71.

أحمس نفرتارى ابنة كامس (٤٣) أو تكـــون شقيقة أو نصـــف شقيقة لأحمس نفسه(٤٤) • ففى نقش* يعود الى العام الثانى والعشرين من حـــكم أحمس(٤٥) عثر عليه فى المعصرة El-Ma'sara وجد اسم أحمس نفرتارى منقوشا بوضوح مع اسم أحمس(٤٦) • كما عثر على اسمها منقوشا على صخرة سيا Sai فى النوبة(٤٧) الى الجنـــوب من بوهن Buhen • ويعتقد أن أحمس الاول قد بنى أول معبد فى الدولة الحديثة فى هذا الموقع(٤٨) • كما عثر على اسم الملكة أحمس نفرتارى أيضـــا فى سيناء(٤٩) • وفى لوحة أبيدوس التى سبقت الاشارة اليها والذى سجل فيها أحمس نواياه لتشريف ذكرى الملكة تتى شيرى ، نجد أحمس

---

43) Gauthier, H., Le Livre des Rois d'Egypte, II (Mem. Inst. Fr. Caire. 18), Cairo, 1912, P. 159, n. 2 and P. 183, n. 2.

44) James, T.G.H., Op. Cit., P. 307.

(*) النقش يسجل عمل نفربرت Neferperet احد مسئولى احمس الاول الذى كان ينقل احجارا من محاجر المعصرة لمعبدى بتـــاح Ptah وآمون Amon. ويعود أهميـــة النص الى أنه بعتبر آخر وثيقـــه مؤرخة لأحمس الاول ، ويسجل استئناف أعمال البناء بعـــد طرد الهكسوس •

Breasted, J.H., A.R. 11,§ 26, P. 12.

45) Breasted, J.H., A.R. 11,§ 27, P. 12.

46) James, T.G.H., Op. Cit., P. 307 and Winlock, H., Op. Cit.. P. 16.

47) Vercoutter. J., « New Egyptian Texts from the Sudan », (in) Kush, 4, 1956, P. 77.

48) James, T.G.H., Op. Cit., P. 298.

49) Gardiner, A.H., Peet, T.E.. and Cerny. J., The Inscriptions of Sinai, Vol. II, (E.E.S.) London, 1955, P. 149, No. 171.

نفـــرتاری تشـــارك الملك فی شرف بنـــاء مقبرة تتی شـــیری الرمزیة الثانیة(٥٠) • ومما یدل علی مرکز الملکة أحمس نفرتاری السیاسی • ظهورها علی قدم المساواة وبنفس الحجم مع أحمس علی لوحة عثر علیها فی الکرنك(٥١) • ان ظهور الملکة بجانب زوجها وفی مثل حجمه یعتبر حسب المفهوم الفنی لفلسفة المصری القدیم دلیلا واقعیا علی أن الملکة کانت تتمتع بنفس حقوق الملك وسلطاته الواسعة • وربمـــا تکون قد فاقت تلك السلطة لأنها کانت هی المورثة للعرش الی الحد الذی أصبحت معه أحقیة الجلوس علی العرش لا تتم الا من خـــلال الملکة(٥٢) • وبالاضافة الی ما سبقت الاشارة الیه ، ربما تکون أحمس نفرتاری قد أخذت بیدها زمام الامور بعد وفاة أحمس الاول حیث نلاحظ أنها احتلت مکان الصدارة طوال عهد ابنها امنحوتب الاول* • هذا وقد اکتشف معبد أحمس نفرتاری الجنزی بجوار معبد امنحوتب الاول بجبـــانة طیبة (٥٣) • وقد اقترن اسمها باسمه فی جبانة طیبة

50) Winlock, H., Op. Cit., P. 16.

51) James, T.G.H., Op. Cit., P. 307.

ویظهر معهما علی نفس اللوحه ابنهما أحمس عنخ Ahmoseankh أثناء تقدیم الخبز للاله آمون رع •
James, T.G.H., Ibid., P. 307.

52) Redford, D.B. Op. Cit., P. 71.

(*) یعتقد ردفورد ان أحمس نفرتاری کانت تسـیطر علی زمام الامور طوال الاعوام الستة أو السبعة الاولی للملك امنحوتب الاول .
Redford, D.B., Ibid., P. 72.

53) Carter, H., « Report on the Tomb of Zeser-Ka-Ra Amen-Hetep I, Discovered by the Earl of Carnarvon in 1914 », (in) J.E.A., Vol. III, London 1916, P. 147.

وخاصة فى دير المدينة(٥٤) هذا وقد استمر وضعها المميز حتى نراها تظهر فى لوحة التتويج لتحوتمس الاول(٥٥) ، كما اعتبرت حامية للفنانين(٥٦) .

وليس من المستغرب ذلك الوضع المميز للملكة أحمس نفرتارى نظرا لانتمائها الى تلك الأسرة التى ظهرت نساؤها على مسرح السياسة المصرية ، وساهمت بنصيب كبير فى أدارة شئون البلاد الكبرى .

وعلى ذلك يمكن القول بأن أحمس نفرتارى قد احتلت مكانة بارزة فى عصرها ، وأدت دورا هاما يكاد يفوق ذلك الدور الذى قامت به كل من تتى شيرى وعاح حوتبة .

وبجانب ذلك الدور السياسى الذى لعبته أحمس نفرتارى ، فانها اكتسبت سلطة دينية شبيهة بتلك السلطة التى اكتسبتها من قبلها عاح حوتبة ، حيث اقترن اسمها باسم الاله أمون رع* ولقبت بلقب

---

54) James, T.G.H., Op. Cit., P. 308.

55) Winlock, H., Op. Cit., P. 16.

(٥٦) سيد توفيق ، معالم تاريخ وحضارة مصر من أقدم العصور حتى الفتح العربى ، القسم الاول ، مصر فى العصور الفرعونية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١٧٥ .

(*) يعتقد ارمان أن أول سيدة حصلت على تلك المنزلة هى أحمس نفرتارى .
أدولف ارمان ، ديانة مصر القديمة ، نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة ، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى ، القاهرة ، ص٢٢٦ .

الزوجة الالهية[٥٧] لأمون[٥٨] .

ويتضح من دراسة موضوع بعض مظاهر النشاط السياسى لبعض ملكات مصر ، الى أن بعض أولئـك الملكات قد اكتسبن من السلطة الملكية ما قد يفوق سلطة أزواجهن . بل انه من المستطاع القول بأنهن قد لعبن دورا بارزا فى تثبيت النفوذ الاسرى داخل نظام الملكية المصرية القديمة مما ترك آثاره الواضحة على التاريخ المصرى القديم لعـدة قرون تالية . وبالاضافة الى حقوقهن فى الميراث الملكى ، فقد اكتسبن بجانب تلك السلطة الملكية سلطة دينية حيث تولت كل من عاح حوتبة وأحمس نفرتارى منصب الزوجة الالهيـة لأمون وهو المنصب الذى أصبح أداة له خطورته السياسية الواضحة[٥٩] .

وعلى ذلك فان تتى شيرى يجب أن ينظر اليها على أنها الرائدة الاولى لتلك المجموعة من ملكات الاسرة الثامنة عشرة ، اللاتى اكتسبن من الحقوق والسلطة ما يفوق سلطة الملوك أنفسهم خلال تلك الحقبة التاريخية . وقد استعرضنا بعض الانشـطة الخاصـة بهن من حيث تحكمهن فى مجال السياسة الداخلية فى البلاد ، واغداقهن العطايا على رجال البلاط ، بالاضافة الى تملكهن جانبـا من زمام الامور أثنـاء الحروب مما لا يترك مجالا للشك فى أنهن تحملن مسئولية فعلية فى تلك الظروف الدقيقة التى مرت بها البلاد .

---

57) Lesko, B.S., The Remarkable Women of Ancient Egypt, U.S.A., 1977, P. 4.

58) James, T.G.H., Op. Cit., P. 308.

59) Cerney, J., Ancient Egyptian Religion, London 1952,

الفصل الثانى

علاقات مصر الخارجية

نشأة وتطور العلاقات المصرية الخيتية من المصادر المصرية

يعتمد الباحث فى التاريخ القديم على المصادر النصية والأثرية . فيحاول البحث عن أقدم النصوص والآثار الدالة على موضوع بحثه . ومن الموضوعــات التى تستوجب الدراســة التاريخيــة المستفيضة ، العلاقات السياسية والحضارية بين مصر القديمة من ناحية ، وبقيــه دول الشرق الادنى القديم من ناحية أخرى ، لأن هذا الموضوع يوضح مدى الدور السياسى والحضارى الهام الذى قامت به مصر الفرعونية فى مجال المحيط الدولى آنذاك . ومن ناحية أخرى ، يمكن للدراســه المقارنة توضيح هذا الدور التاريخى . وبفحص التركة النصية والاثرية المصرية القديمة فى موضوع العلاقات المصرية الخيتية ، وجد أن أقدم ذكر للخيتيين قد جاء فى نصوص الملك تحوتمس الثالث[1] . كما نص أيضا قاموس اللغة المصرية القديمة [2] على أن أقدم ذكر لبلاد خاتى يرجع الى الاسرة الثامنة عشرة .

انظر :

1) Sethe, K., Urkunden der 18. Dynastie, historisch-biographische Urkunden, 4 Vols., Leipzig, 1906—1909, 701, 11 : 727, 13, and Gardiner, A. Ancient Egyptian Onomastica, Volume 1, Oxford University Press, 1947, P. 127.

2) Worterbuch der Aegyptischen Sprache, Vol. III, P. 349.

وقد ورد ذكر الخيتيين فى كتاب العهد القديم[3] (سفر التكوين الاصحاح الثالث والعشرون السطر الثالث) عندما يحدث سيدنا ابراهيم عليه السلام «بنى حث» قائلا لهم « ... أنا غريب ونزيل عندكم ... » ، وكذلك (سفر الخروج الاصحاح الثالث السطر الثالث والعشرون) عندما يظهرون كاحدى الشعوب مع الكنعانيين والاموريين وغيرهم .

والواقع أن العناصر الخيتية قد هاجرت الى منطقة آسيا الصغرى منذ بداية الالف الثانى قبل الميلاد ، وتمكنت هذه العناصر الهندية الاوربية الاصل من تكوين الدولة الخيتية القديمة ، ثم الدولة الخيتية الحديثة التى اتخذت عاصمتها «خاتوشاش» عند البلدة الحالية المسماة «بوغاز كوى» ، حوالى تسعين ميلا شرقى مدينة أنقرة . وقد عثر فى هذا الموقع السالف الذكر على آلاف من اللوحات الطينية الخيتية المدونة بالخط المسمارى . ولم يقتصر الخيتيون على كتابة تراثهم بالخط المسمارى ، بل أيضا سجلوا بعضها بالخط الهيروغليفى الخيتى. وأصبحت الدولة الخيتية الحديثة عنصرا من العناصر القوية المنافسة للقوة الاشورية فى بلاد الرافدين ، والقوة المصرية فى وادى النيل الادنى . وكان من الطبيعى أن يحدث نوع من المنافسة بين القوى الثلاثة على فرض السيادة السياسية والحضارية فى المنطقة .

ويمكننا تقسيم هذا الموضوع الى ثلاث جوانب رئيسية ، أولها مرحلة العلاقات السياسية السلمية ، ثم مرحلة العلاقات الحربية ، وأخيرا مرحلة المعاهدة السلمية بين الطرفين .

---

(٣) الكتاب المقدس ، أى كتب العهد القدم والعهد الجديد ، القاهره ١٩٦٣ ، ص٣٤ ، ص٩١ .

أما بالنسبة للعلاقات السياسية السلمية ، فقد بدأت كما سبقت الاشارة فى عهد تحوتمس الثالث حيث تتحدث النصوص عن ارسال هدايا من أمير خاتى الى ملك مصر • وقد عبرت النصوص المصريه القديمة عن تعبير الهدايا بكلمة Inw ، التى اما تعنى هدايا أو تعنى جزية • حتى أن جاردنر[٤] قد تردد فى تقبل تعبير هدايا ، وهل المقصود بالهدايا مجرد تعبير عن علاقات الود والسلام بين الامراء الخيتيين والفرعون المصرى ، أم أن هذه الهدايا كانت بمثابة جزية مفروضة على الامراء الخيتيين تأكيدا لسيادة الفرعون المصرى فى تلك الاقاليم • ويبدو أن الرأى الثانى هو أقرب الى الواقع التاريخى ، والدليل على ذلك ما جاء فى نص الملك أمنحوتب الثانى فى لوحته الشهيرة فى منف « ••• والآن حين سمع أمير نهرين وأمير خاتى وأمير سنجار بالنصر العظيم الذى تم لى ، تنافس كل منهم مع صاحبه بكل وسائل الاهداء ••• ليرجو لهم السلام من جلالته مقابل منحهم نسمة الحياة ••• »[٥] • ويشير هذا النص الى ثلاثة من أكبر القوى السياسية التى كانت متواجدة على المسرح السياسى آنذاك • وعلى الرغم من قيمهم بتهنئة الفرعون بانتصاره ، الا أنهم فى الواقع كانوا يتحينون الفرصة لضرب النفوذ المصرى هناك بل ويسعون لاخراج المصريين من الاقاليم الاسيوية للامبراطورية المصرية • وفى الامكان ملاحظة مثل هذا الاتجاه فى محاولات مملكة خاتى للتوسع والسيطرة على حساب الدول المجاورة لها • ففى عهد ملكهم خاتوسيلاس الاول

4) Gardiner, A., Onomastica, 1, P. 127.

5) Wilson, J., The Asiatic Campaining of Amen-Hotep II, « The Memphis and Karnak Stelae », (in) A.N.E.T., Princeton, 1969, P. 247.

Hattusilis I استطاع الخيتيون مد نفوذهم الى شمال سوريا ، ثم تمكنوا من الاستيلاء على حلب وهزيمة بابل لفترة قصيرة فى عهــد مورسيليس الاول[٦] Mursilis I وفى عهد شوبلوليوما Shubbiluliuma بدأت مملكة خاتى تصطدم بمملكة ميتانى التى كانت تربطها مع مصر آنذاك صلات الود والمصاهرة[*] ، مما دفع ملك ميتانى الى الاستعانة بمصر التى قررت الوقوف بجــانب ميتانى • وربمــا هدفت مصر من وراء تصرفها هذا الى الحد من توسع خاتى ، والى الوقوف فى وجه القوة الجديده الناشئة التى لم تكتف بعدائها لميتانى ، بل حاولت مد سيطرتها الى بلاد وادى نهر العاصى ومدن فينيقيا ، وجنوبى لبنان التى كانت موالية لمصر • ويبدو أن مصر حتى بداية حكم امنحوتب الثالث كانت لا تعمل حسابا جديا لأى خطر حقيقى من ناحية بلاد خاتى • ورغم العلاقات المصرية الخيتية التى تبدو أنها تسير فى اطار السلام ، الا أن المنافسة التقليدية بين القوتين الخيتية والمصرية كانت كامنة ومتحينة

(٦) أحمد فخرى ، دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، القاهرة ١٩٦٣، ص٨٨ •

(*) ورد فى الرسالة رقم ٢٩ من رسائل تل العمارنة ذكر زواج تحوتمس الرابع من ابنة ملك ميتانى (ارتاتاما) وأنه كرر طلب الزواج سبع مــرات Gardiner, A., Onomastica, 1, P. 176 وهذه الامــيرة الميتانية سميت فيما بعد بالاسم المصرى «موت أم ويا» وأصبحت ام أمنحوتب الثالث .

كما ورد ذكر أمنحوتب الثالث فى الرسالة رقم ١٧ حيث يشير توشراتا Tushratta ملك ميتانى الى زواج اخته جلوخيبا Giluhepa من أمنحوتب الثالث . وتضيف الرسالة رقم ٢٩ ان جلوخيبا كانت ابنة شوتارنا Shuttarna ملك ميتانى .

Gardiner, A., Onomastica. 1, P. 174.

للفرص من أجل دفعها الى حافة الحرب ، والتوسع على حساب القوة الاخرى .

وقد بدأت مرحلة العلاقات الحربية عندما زحف شوبلوليوما على سوريا الشمالية . فى ذلك الحين بدأت العلاقات المصرية الخيتية تأخذ صورة النزاع المسلح . وفى بداية الامر ، اتبع ملوك خاتى سياسة تشجيع أمراء المدن السورية على الثورة بغرض اضعاف النفوذ المصرى . ولقد نجحوا فى ذلك ، وتم لهم تأليب بعض هؤلاء الحكام منذ أواخر عهد أمنحوتب الثالث . وعلى الرغم من روح العداء التى كانت تكنها خاتى باستمرار نحو مصر ، الا أن ملوكها كانوا يسارعون الى التحالف مع الفرعون ، بل ومحاولة شراء وده كلما وجدوا فى ذلك مصلحة لهم . فعندما اصطدم شوبلوليوما مع ملك ميتانى توشراتا سارع بالكتابة الى أمنحوتب الرابع يهنئه بولايته على العرش ، ويطلب تجديد العلاقات الودية التى كانت بينه وبين أمنحوتب الثالث ، الا أن مصر ردت على ذلك باحتجاز سفراء[7] شوبلوليوما . ولعل هذا التصرف من جانب مصر كان يشير الى احساس المصريين بخطر مملكة خاتى ومنافستها للنفوذ المصرى فى الاقاليم والمدن السورية . وعلى الرغم من ذلك الخطر الداهم الذى بدأ يهدد الامبراطورية المصرية نفسها ، الا أن أمنحوتب الرابع قد انصرف الى ديانته الجديدة ولم يبد اهتماما جديا بشئون تلك الاقاليم . وبالاضافة الى ذلك ، فان استمرار الاطماع الخيتية ونجاحها فى تقويض دعائم الحكم المصرى فى سوريا بالتحالف مع بعض الحكام مثل أمير قادش ، وعبدى شرتا Abdu-Ashirta

(٧) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص١٣٨ .

ملك أمور Amurru ، وابنه عزيرو Aziru ساعد على انهيار الامبراطورية المصرية وضياع الجزء الاكبر من ممتلكاتها فى كل من سوريا وفينيقيا وفلسطين • وتتضمن بعض رسائل تل العمارنة الكثــير من المؤشرات الدالة عن ذلك التطور • ويظهر ذلك بوضوح فى شكاوى بعض الحكام المصريين فى آسيا وبعض الامراء الاسيويين الموالين للسياسة المصريه•

ويمكن الاستدلال على ما وصل اليه ضعف النفوذ المصرى ، من رسائل آمير أورشليم عبدو خبا Abdu-Heba ففى الرسالة رقم EA ٢٨٦ نقرأ « ••• الى كاتب الملك ، سيدى : من خادمك عبدو خبا •• افصح فى قولك لسيدى الملك ـــ ان جميع آراضى سيدى الملك قد فقدت••»[٨]• وفى الرسالة رقم EA ٢٨٨ نقرأ « ••• ان أراضى الملك قد فقدت •• لقد أخذت منى ، وهناك حرب ضدى من بلاد سير Seir (وحتى) جاث كرمل Gath Carmel ••• »[٩] ونحن نعلم أن شكوى هؤلاء الحكـــام لم يستمع لها بل لم يهتم أحد بمقابلة الرسل الذين جاءوا من تلك الاقاليم ليشرحوا للفرعون حقيقة مجريات الامور • وعلى الرغم من ذلك ، فقد استمر هؤلاء الحكام يستنجدون بالفرعون مرارا وتكرارا الى الدرجة التى سمحت بحاكم جبيل ربعدى أن يكتب أكثر من خمسين رسالة للفرعون • وتقول احدى هذه الرسائل التى وجهها الى أمنحوتب الرابع « ••• مدينة جبيل ، التى ظلت منذ القدم جارية أمينة للملك

---

8) Albright, W.F., Akkadian Letters, « The Amarna Letters (in) ANET, P. 487.

9) Albright, W.F., ANET, P. 488.

مصر وأســلافه ، قــد خرجت الآن من يــده بسبب اهمــال الملك لتأمينها ... »[10] وفى رسالة أخرى [11] من ربعدى لأمنحوتب الرابع يشير الى سقوط مدينة بيروت فى أيدى العصاة تحت زعامة عبدى شرتا.

وفى سنوات حكم توت عنخ آمون ، كانت المحميــات الاســيوية التابعة لمصر ، قد بلغت درجة كبيرة من الضعف[12] . وربما أدت تلك العوامل مجتمعة الى احســاس المصريين بشدة بأس الخيتيين فى تلك المرحلة مما جعل احدى الملكات[*] المصريات تلجأ الى ملك خاتى تطلب زوجا لها من أولاده . ففى قصة شوبلوليوما والملكة المصريــة نقرأ « ... مات زوجى وليس لى ابن ، يقول الناس ان لك أولادا كثيرين . فاذا بعثت لى بأحد أبنائك ، ففى الامكان أن يصبح زوجا لى ... ». ونقرأ فى نهاية النص « ... ولأن أبى كان كريما ، فقد استجاب لرغبات السيدة وقرر (ارسال) الابن ... »[13] . وفى نص آخر « ... ولكن عندما أرسل والدى واحدا من أبنائه قتلوه .. وقد دفع الغضب والدى

10) The Tell El-Amarna Tablets (in) The British Museum Autotype Facsimiles, Printed by Order of the Trustees, London, 1892, P. XIV.

11) Ibid., p. L.

12) Noblecourt, C.D. Tutankhamen, « Tutankhaten and the two Capitals, Penguin Books, Milan 1965, p. 118.

(*) هى داخامون وقد اتجه البعض انهــا نفرتيتى بينما رأى البعض الآخر أنها أرملة توت عنخ أمون عنخ اس ان با اتون .
أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٠، ص٣٣٣ .

13) Goetze, A., Hittite Historical Texts « Suppiluliumas and the Egyptian Queen », (in) ANET, p. 319.

القيام بالحرب ضد مصـــر فهاجمها ... »[١٤] . وربمـــا يتمشى مع احساس المصريين بشدة بأس خاتى عدم قيام حر محب بنشاط عسكرى واضح فى آسيا . ويبدو أنه آثر الســـلام مع ملك خاتى مورسيليس الثالث فعقد معه هدنة أو معاهدة [١٥] .

وعلى ذلك ففى الامكان القول بأن رسائل تل العمارنة مع غيرها من الادلة السالفة الذكر تدل دلالة واضحة على أن النفوذ المصرى كان قد أصيب بضربات قاصمة سواء فى الاقليم السورى أو فى مدن الساحل الفينيقى أو أعالى الفرات أو فلسطين . وكان من الطبيعى فى مثـــل هذه الظروف أن يقع على عاتق ملوك أقوياء مثل سيتى الاول ورمسيس الثانى العبء الاكبر فى الابقاء على ما تبقى من هيبـــة مصر فى تلك المناطق ، ومحاولة اعادة الامبراطورية المصرية الى سابق عهدها .

فعندما ولى سيتى الاول الحكـــم ، وجد أمامه العـــديد من المشاكل وعلى رأسها اختلال ميزان القوى فى الجنـــاح الاسيوى من الامبراطورية المصرية نتيجة لاستمرار الخيتيين فى تأليب أمراء الشام على النفوذ المصرى ولزيادة قوة خاتى على يد ملكهم مورسيليس الثانى Mursilis II ابن تـــوبلوليوما . وفى محـــاولة ســـيتى الاول لاعادة الاستقرار الى تلك المناطق ، اتجه على رأس حملة الى آسيا وصل فيها الى جنوب الاورونت حيث الحد الفاصل بين حدود مصر الشمالية وحدود خاتى الجنوبية . ويبدو أن هدف سيتى كان فى الاصل هـــو

---

14) Goetze, A., Hittite Prayers, « Plague Prayers of Mursilis », — (in) ANET, p. 395.

(١٥) عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، مصر والعراق ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص٢٢١ .

اخضاع قادش ، وأنه نجح فى تحقيق هذا الهـدف . وتكشف لنـا لوحة[١٦] عثر عليها فى قادش عن استيلائه على تلك المدينة ، كما تعزز النصوص الموجودة على جدران معبد الكرنك نجـاح سـيتى فى رد الخيتيين الى حـدود بلادهم[١٧] . أما وثائق بوغاز كوى فتشكك فى حقيقة هذا الانتصار المصرى . والارجح أن نتيجة هذه المعركة لم تكن حاسمه بدليل أن نصوص كل من الطرفين قد ادعت النصر . ويلاحظ عـدم استئناف سيتى لحملاته على سـوريا بالاضـافة الى عقـده معاهدة[١٨] حسن جوار مع مواتاللس Muwatallis ملك خاتى آنذاك .

ومن عهد رمسيس الثانى ، توجد ثلاث لوحات للنصر كان قد أقامها عند مصب نهر الكلب . وتحمل احداها تاريخ العام الرابع من حكمه اشارة الى حملته الاسيوية التى وصل فيها الى هذه المنطقـة . وفى العام الخامس لحكم رمسيس الثانى ، تحدث معركة قادش الشهيرة بينه وبين مواتاللس . وقد اختلفت المصادر المصرية والخيتية فى تقييم نتيجة هذه المعركة . فبينما نقرأ قصة انتصار الفرعون المصرى فى هذه المعركة فى نص (ملحمة قادش*) المنقوش على جدران عدة معابد فى

---

16) Wilson, J., Egyptian Historical Texts « Campaigns of Seti I in Asia », (in) ANET, P. 254.

(١٧) سليم حسن ، مصر القديمـة ، عصر رعمسيس الثـانى وقيـام الامبراطورية الثانية ، الجزء السادس ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص٥٤

(١٨) سليم حسن ، نفس المرجع ، ص٥٦ .

(*) تعارف علماء المصريات فى بداية الامر على الاشارة الى هذا النص بانه قصيدة لبنتاءور الا انه تبين فيما بعد بعدم صحة هذا الافتراض نظرا لافتقاد النص لروح الشعر من ناحية ، ولانه عرف مؤخرا بأن بنتاءور هذا لم يكن سوى المسئول عن حفظ نسخة من هذا النص .

الاقصر والرمسيوم والكرنك وأبيــدوس ، وفى نص مختصر يعــرف «بالتقرير الرسمى» عثر عليه فى المعابد السالفة الذكر ماعدا الكرنك ، نرى من ناحية أخرى أن المصادر الخيتية تشير الى هزيمــة المصريين وملاحقة جيوش خاتى لهم حتى دمشق • ففى نص[19] عثر عليه فى بوغاز كوى،ويرجع الى عهد الملك الخيتى خاتوسيلاس ، يصــف فيه بعض الاحداث التى وقعت فى عهد الملك مواتاللس نقرأ « ••• فى الوقت الذى كان مواتاللس يهاجم ملك مصر وبلاد أمور • ، عندما هزم ملك مصر وأمور قفــل راجعــا الى بلاد آبا(**) Apa وعنــدما هزم أخى مواتاللس آبا عاد الى بلاد خاتى ••• » •

وفى الامكان تصديق المصادر الخيتية نظرا للثورة التى حدثت فى فلسطين بايعاز من الخيتيين بعد هذه المعركة • ولقد دعا ذلك رمسيس الثانى فى حملة العام الثامن الى تأديب عسقلون وبعض المدن الآمورية فى محاولة لاستعادة ما فقــدته مصر من نفوذها • وتشــير الى ذلك نقوش[20] معبد الكرنك • ثم تطورت الامور مرة أخرى بوفاة مواتاللس ملك خاتى وتنازع ولى عهده مع عمه خاتوسيلاس وفوز الاخير بعرش خاتى • ولقد عاصر هذه التطورات السياسية فى مملكة خاتى ظهــور قوة دولة أشور على المسرح السياسى حيث بدأت هى الاخرى تتطلع

= Gardiner. A.H., Egypt of the Pharaohs.

مترجم بعنوان « مصر الفراعنة » ، ص٢٨٨ •

19) Goetze, A., Hittite Historical Texts, « Huttusilis on Muwatalli's War Against Egypt », (in) ANET, P. 19.

(**) قرب دمشق •

20) Wilson, J., Egyptian Historical Texts, « The Asiatic Campaigning of Ramses II » (in) ANET P. 256.

الى نصيبها فى السيادة • هذا بالاضافة الى ظهور هجرات وتحركات شعوب البحر التى هددت المنطقة بأسرها •

لقد أدت العوامل السابقة مجتمعة الى المرحلة الاخيرة من مراحل العلاقات المصرية الخيتية وأعنى بهـا مرحلة المعـاهدة السلمية بين الطرفين • فقد سلك خاتوسيلاس سياسة سلمية مع مصر حيث عقدت بين الطرفين معاهدة[٢١] دفاعية هجومية حوالى عام ١٢٨٠ق٠م• وقد اكتسبت تلك المعاهدة أهمية خاصة نظرا لأنها تعد فى نظر الكثـيرين أقدم معاهدة متكاملة فى تاريخ العلاقات الدولية •

وفى الامكان القاء الضوء التاريخى على بعض جوانب تلك المعاهدة مع التعرض بالتحليل لبعض نصوصها بهدف ابراز أهم سماتها التى أهلتها لاكتساب هذه الاهمية • فقيما يتعلق بأسلوب صياغة المعـاهدة المصرية الخيتية ، يمكن الاشارة الى المنهجية التى اتبعت فى كتابة تلك المعاهدة ، والتى تبدو واضحة ومنسقة • فهى تبدأ بمقدمة ايضاحية صيغت باللغة المصرية القديمة ، ثم تلى ذلك ديباجة المعاهدة الحقيقية• ولم يفت الجانبان أن يتذكرا العلاقات الودية القديمة التى كانت بين بلديهما منذ أقدم العصور الى أن حدثت الحروب بين الجانبين • وأعقب ذلك الاعلان الرسمى لمعاهدة السلم الجديدة والتى أصبحت ملـزمة للطرفين حتى عند موت أحد المتحالفين[٢٢] • ان هذا التسلسل المنطقى يدل بوضوح على دراية بأنماط صياغة المعاهدات وعلى اتباع قواعد

---

21) Wilson, J., Egyptian and Hittite Treaties, « Treaty Between the Hittites and Egypt » (in) ANET, PP. 199—201. and Goetze, A., Hittite Treaties, « Treaty Between Hattusilis and Ramses II », (in) (ANET, pp. 201—203.

(٢٢) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص٢٩٣

البروتوكول المتعارف عليها فى عصرنا الحاضر •

وبالاضافة الى ما سبقت الاشارة اليه ، يلاحظ أن اللغة التى صيغ بها أصل النص الخيتى(*) للمعاهدة كانت هى اللغة البابلية وليست اللغة التى يتكلم بها أهل خاتى • ويرجع ذلك الى اعتبار اللغة البابلية فى تلك الايام لغة الرسائل والمواثيق الدولية السياسية وابرام المعاهدات مع الممالك المجاورة(٢٣) • ويتضح من استعمال اللغة البابلية كلغة دبلوماسية مثلها فى ذلك مثل اللغة الفرنسية فى عصرنا الحاضر ، على تعرفهم على الاصول الأولى فى صياغة المعاهدات بلغة مشتركة متفق عليها ويتفهمها كل من الجانبين •

أما بالنسبة لتحليل مضمون المعاهدة ، ففى الامكان ملاحظة أن المعاهدة تشير الى تبادل السفراء ووثائق التصديق عليها بين الدولتين كما هو متبع فى المعاهدات التى تعقد فى عالمنا المعاصر • ويفترض كل من لانجدون وجاردنر(٢٤) بأن سفراء مصر فى بوغاز كوى قد اشتركوا فى صياغة بنود تلك المعاهدة فى مراحلها الاولى • وعندما تم الاتفاق على الصيغة النهائية ، نقشت على لوح من الفضة وأرسلت مع رفد من خاتى الى بى — رعمسيس حيث كان يقيم رمسيس الثانى • وقد ترجم نص المعاهدة المكتوب بالبابلية الاسفينية الى اللغة المصرية ونقش على جدران الصالة الكبرى بمعبدى الكرنك والرمسيوم ، بينما

(*) عثر عليه هوجو فنكلر Hugo Winckler فى بوغاز كوى عاصمة خاتى على لوحين من الطين كتبتا بلهجة كنعان البابلية .

23) Langdon M.A., and Gardiner, A.H., Litt, D., « The Treaty of Alliance Between Hattusili, King of the Hittites and the Pharaoh Ramesses II of Egypt », (in) The Journal of Egyptian Archaeology. Volume VI. London, 1920, P. 180.

24) Langdon, M.A., and Gardiner, A.H., Ibid., P. 200.

قام الكتاب البابليون بصياغة صورة أخرى من تلك المعاهدة نقشت على لوح فضى ، وختمت بخاتم الفرعون وسلمت للسفراء الخيتيين [٢٥] حيث أرسلت الى بلاد خاتى ووضعت فى رعاية الاله تشوب[٢٦] .

وفى الامكان الاستدلال على تواجد السفراء من المقدمة الايضاحية للمعاهدة «.. فى هذا اليوم ، عندما كان جلالته فى بلدة بى ـ رعمسيس .. مرى ـ أمون ، ... أتى رسول الملك ونائب القائد ... ورسول الملك ... (أوسر ماعة ـ رع) ستب ان ـ (رع) .. (تار) تشوب ، ورسول خاتى ... حاملا (اللوحة الفضية التى) أرسلها خاتوسيلاس أمير خاتى العظيم الى الفرعون ... ليرجو الصلح ... »[٢٧] . وعلى الرغم من تهشم الفقرة التى ذكر فيها أسماء سفراء ملك خاتى ، فان مفهومها واضح فى قيام خاتوسيلاس بارسال اللوح الفضى الى الفرعون على يد سفيرين له هما تارتشوب Tar-Teshub ورع موسى Ra-mose [٢٨] .

وفيما يتعلق بضمان القوة الملزمة لتنفيذ المعاهدة ، فيلزم القول بأن العرف قد جرى أن يشهد على توقيع المعاهدات عادة بعض الشهود .

---

(٢٥) نجيب ميخائيل ، وادى الرافدين ـ بلاد الحيثيين ـ فارس ، الجزء الخامس ، الاسكندرية ١٩٦٣ ، ص‌ص٤٨٦ ـ ٤٨٧ .

(٢٦) احمد بدوى ، فى موكب الشمس ، فى تاريخ مصر الفرعونية من آخر الضحى الى أول الاصيل ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص٨٨١ .

27) Wilson, J., ANET, p. 199.

(٢٨) أدولف ارمان وهرمان رانكة ، مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، القاهرة ، ص٦١٦ .

ويتضح من دراسة بنود تلك المعاهدة تواجد مثل هذا الاتجاه مع فارق واحد ، هو أن الشهود الذين شهدوا على توقيع هذه المعاهدة لم يكونوا من البشر ، بل كانوا ينتمون الى عالم الآلهة . وتشير الفقرة الخامسة عشرة من المعاهدة الى ذلك « أما عن هذه الكلمات ، (المعاهدة) فان ألفا من الآلهة الذكور من الآلهة ومن الالهة الاناث من آلهة أرض خاتى ، ومعهم ألفا من الآلهة الذكور من الآلهة ومن الالهة الاناث من آلهة أرض مصر ، شاهدين معى على هذه الكلمات ... »[٢٩] ثم أعقب ذلك قائمة بأسماء آلهة «مينة» . وعلى ذلك فان ذكر تلك المجموعة الكبيرة من أسماء الآلهة ، يشير الى تصميم الطرفين على عدم نقض هذه المعاهدة حيث أنها بشهادة الآلهة تكون فى واقع الامر مؤمنة بالموافقة الالهية[٣٠] . وبالاضافة الى ذلك ، فان نقش اللوح الفضى نفسه كان يوحى بما يعزز هذا الاتجاه الدينى من حيث موافقة الآلهة على تلك المعاهدة . فقد كان اللوح الفضى مزينا برسم اله الرعد تشوب وهو يعانق الملك خاتوسيلاس ، بينما تعانق الهة الشمس الملكة الحيتية «بودوخيبا»[٣١] Podu khepa .

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن هذا العامل الدينى كان قوى التأثير فى حياة انسان ذلك العصر ، وحافزا لتذكيره بواجبه فى الوفاء بالالتزامات التى تعهد بها ، لأن عدم الوفاء بها يعتبر اخلالا بصيغة السلام التى اتفق عليها ويستحق فى هذه الحالة لعنات تلك الآلهة .

---

29) Wilson, J. ANET, pp. 200—201.

30) Wilson, J., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, p. 249.

(٣١) نجيب ميخائيل ، مصر من قيام الدولة الحديثة الى دخول الاسكندر ، الجزء الثانى ، الاسكندرية ١٩٦٢ ، ص٢٧١ .

ولعل أهم ما تشير اليه المعاهدة بالاضافة الى ما سبق ، أنهـا أرست نظاما للأمن المتبادل قوامه من ناحية ضمان عدم اعتـداء أى طرف على الطرف الآخر ، ومن ناحية أخرى كفالة ضمان المسـاعدات العسكرية بينهما. فأما عن الاتفاق على عدم الاعتداء على أملاك الدولتين المتعاقدتين ، فقد جاء فى النص الخيتى البابلى للمعـاهدة « ... ان رياماشاشاماى أمانا Rea-mashesha mai-Amana الملك العظيم ، ملك أرض مصر ، لن يعتدى على أرض خاتى لأخذ أى شىء منها فى المستقبل، وأن خاتوسيلاس ، الملك العظيم ، ملك أرض خاتى ، لن يعتدى على أرض مصر ليأخذ أى شىء منها فى المستقبل ... »[٣٢] .

وقد عبر النص المصرى للمعـاهدة عن نفس الشىء فيما يختص بالتنحى المشـترك عن كل مشروعات التوسـع مسـتقبلا . ويشـير ولسون[٣٣] الى أن تلك الفقرة لا تتحدث عن أرض مصر أو أرض خاتى بالذات ، بل تشـير الى أملاك هاتين الدولتين فى فلسطين وسوريا ، ويفترض وجود منطقة فاصلة بين أملاكهما احترمها كل من الطرفين ، ولو أنه لم يرد أى نص على الحدود القائمة آنذاك .

أما بالنسبة لتبادل المساعدات العسكرية بين الطرفين المتعاقدين فى حالة تعرض أحدهما الى اعتداء خارجى على أراضيه ، فقد جرت العادة على أن تشتمل مثل هذه المعاهدات على بعض البنود التى تلزم تبادل المساعدات العسكرية ضد كل الاعداء الاجانب . ويتضح هـذا الاتجاه فى الفقرتين السادسة والثامنة من المعاهدة وفيها اشارة الى الحلف الدفاعى بين الجانبين المصرى والخيتى ليساعد أحدهما الآخـر

32) Goetze, A., ANET, p. 202.

33) Wilson, J., Op. Cit. pp. 248—249.

ضد الاعداء • ففى النص المصرى تشير الفقرة السادسة وهى تتحدث عن تلك المعـاهدة الدفاعيـة « ••• فاذا أغار عدو آخر على أراضى أوسرماعة رع ، حاكم مصر العظيم ، وأرسل الى أمير خاتى العظيـم قائلا : « تعال معى كعون ضده » ، فان على أمير خاتى العظيم (أن يأتى اليه) وينبغى على أمير خاتى العظيم أن يقتل عدوه ولكن ، اذا لم يرغب أمـير خاتى العظيم فى المجىء (بنفسه) ، فعليه أن يرسـل مشاته ، وعرباته ليقتلوا عدوه ••• »[٣٤] •

أما النص الخيتى البابلى ، فيشير فى الفقرة السادسة الى نفس الاتجاه « ••• واذا أتى عدو من الخارج ضد أرض خاتى وأرسـل الى خاتوسيلاس ملك أرض خاتى العظيم ، قائلا : « تعال الى لمساعدتى ضده » ، فعلى رياماشاشاماى ــ أمانا ، الملك العظيم ، ملك أرض مصر أن يرسل جنوده المشاة وعرباته وسوف يقتلون (عدوه) وينتقمون له من أجل أرض خاتى ••• »[٣٥] •

وبذلك تكون المعاهدة المصرية الخيتية قد استكملت هذا الجانب من جوانب الاتفاقيات التعاقدية حيث ظهر التحديد الواضح والدقيـق لالتزامات الجانبين المصرى والخيتى فى حالة تعرض أحدهما لعـدوان خارجى •

ولعل من أهم ما اتجهت اليه المعاهدة المصرية الخيتية هو محاولة تنظيم حق اللجوء السياسى • فقد اشتملت المعاهدة على بعض الفقرات التى تشير الى عدم قبول الهاربين ، وتسليم هؤلاء الفارين من المذنبين

34) Wilson, J.A., Treaty Between the Hittites and Egypt, (in) ANET, p. 200.

35) Goetze, A., ANET, p. 202.

سواء من العظماء أو من صغار المذنبين . وما من شك فى أن ذلك لابد وأن يكون حصيلة تجارب طويلة فى العلاقات الدولية . فنحن نقرأ فى النص المصرى « ... اذا فر رجل عظيـم من أرض مصر وجاء الى أراضى أمير خاتى العظيم ، أو الى أرض تابعة لأراضى رمسيس مرى- أمون ، حاكم مصر العظيم ، وأتوا الى أمير خاتى العظيم ، فعلى أمير خاتى العظيم الا يستقبلهم ، وعلى أمير خاتى أن يعمل على احضارهم الى أوسرماعة - رع - ستب ان - رع ، حاكم مصر العظيم ..»[٣٦] .

وأما عن المادة التى تخص صغار المذنبين ، فتشير الى « ... اذا فر رجل أو رجلان غير معروفين وأتوا الى أرض مصر ليكونوا خدما لأناس آخرين ، فعلى أوسرماعة - رع ستب ان - رع ، حاكم مصر العظيم ألا يبقيهم وعليه أن يرسلهم الى أمير خاتى العظيم.. »[٣٧] .

وتوجد مواد تبادلية مع الفقرات السابقة تعطى للجانب الخيتى نفس الحق فى اعادة الفارين الى خاتى . وتشتمل مواد المعاهدة كذلك على تحديد مصير هؤلاء اللاجئـين السياسيين . ويسـتدل على ذلك بالفقرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة وهما اللتان تتناولان موضـوع العفو عن المجرمين السياسيين . ويعتقد بعض المؤرخين[٣٨] أن تلك الفقرتين قد أضيفتا بعد صياغة المعاهدة فى صورتها النهائية ، بمعنى أنهما جاءتا بمثابة ملحق ينظم معاملة اللاجئين السياسيين . ومن المعتاد أن تضاف بعض الملاحق للمعاهدات لتنظيم بعض الامور التى لا يرد نص بشأنها فى مواد المعاهدة .

---

36) Wilson, J., ANET, P. 200.

37) Wilson, J., ANET, P. 200.

(٣٨) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص٢٩٩ .

وتشير الفقرة السابعة عشرة « ... اذا فر رجل أو اثنـــين أو ثلاثة رجال من أراضى مصر وجاءوا الى أمير خاتى العظيم ، فان امير خاتى العظيـــم ينبغى عليه أن يقبض عليهم ، ويأمر باعادتهـــم الى أوسرماعة ــ رع ستب ان ــ رع ، حاكم مصر العظيم . أما الرجل الذى سيحضر الى رمسيس مرى ــ أمون ، حاكم مصر العظيـــم ، فيجب ألا توجه اليه جريمة ، ولن يضار فى بيته أو زوجاته أو يقضى على أطفاله ، ويجب ألا يقتل ، وألا يضار فى عينيه ، أذنيه ، فمه ، أو ساقيه ، ويجب ألا توجه (أية جريمة) ضده ... »[٣٩] .

والفقرة الثامنة عشرة تعالج نفس الموضوع وتلزم الجانب الخيتى بمعاملة اللاجئين السياسيين معاملة المثل من حيث أن تكون معاملتهـــم طيبة عند رجوعهم الى أوطانهم ، كما حتمت اسقاط الذنوب عنهم التى من أجلها هاجروا وفروا من بلادهم .

وبهذا تكون بنود المعـــاهدة القانونية قد تحققت من المعـــاملة الانسانية للاجئين السياسيين من الطرفين ، وبذلك يطمئن الطرفان الى صيانة الفرد وممتلكاته . ولعل هذا يتمشى مع اعلان حقوق الانسان الذى تحرص الدول المتقدمة فى العالم الحديث على التمسك بتطبيقه على المستوى الدولى .

ويتضح من دراسة وتحليل النصوص المصرية والخيتية للمعاهدة أن صياغتها وما تضمنته من بنود قانونية جاء نتيجة دراية بالطـــرق والاساليب المستخدمة فى توثيق العـــلاقات الدولية ، كمـــا تؤكد تلك الدراسة دقة عمل اللغويين الذين قاموا بصياغة النصين والتى تعبر عن

39) Wilson, J., ANET, P. 201.

أسلوب متميز فى المعاهدات والمواثيق فى تلك المرحلة المبكرة • ويلاحظ كذلك أن كلا الجانبين كان يعامل الآخر على قدم المساواة من أجل اقامة سلم دائم • وعلى ذلك فقد احتفظ كل من البلدين لنفسه بكرامته، وذكر أنه وافق على طلب الآخر، حتى يضعا حدا للنزاع المستمر بينهما، ونهاية للحروب التى أحسا أنه لا طائل من ورائها •

وعلى ذلك فان هذه المعاهدة يمكن اعتبارها وثيقة هامة من الوثائق القانونية الدولية المبكرة ونموذجا صادقا للعلاقات الثنائية فى المجتمع القديم •

نشـــأة وتطـــور العـــــلاقات السياسية
بين مصر وليبيا أثناء العصر الفرعونى

اكتسبت الصلات المصرية الليبية أهميـــة خاصـــة فى السياسة الخارجية المصرية منذ أقدم العصور • ولقد اعتمدت تلك العلاقات على مقومات جغرافية وطبيعية وبشرية ، هيات لمنطقة غربى الدلتا بحكـــم موقعها على الحدود الفاصلة بين مصر وليبيا بأن تصبح مكانا لاستقبال المؤثرات الحضارية القادمه من شمال غربى أفريقيا منذ العصر الحجرى القديم ، وخاصة وأن انسان ذلك العصر قد تمتع بحرية على التحرك نحسده عليها الآن • فقد كانت الصحراء خضراء غنيـــة بالنبات وفيرة بالماء ، غاصة بالحيوانات • وكانت فى الواقع بمثابة حلقة وصل ولم تكن منطقة فصل • وهكذا استقبلت هذه المنطقة حضارات من شمال افريقيا وفى مقدمتها الحضارة القفصية ثم العاطرية • ولكن الصحراء فقـــدت هذه الميزة بعد تقلص العصر المطير خلال أيام العصر الحجرى الحديث وأصبحت منطقة صعوبة وعزلة مما جعل سكانها يهجرونها الى أطراف الدلتا الغربية فى حين حاول سكان الدلتا صد هجراتهم وهجماتهم طوال العصور التاريخية • بل ان هنـــاك من الشواهد ما يدل على أن بوادر الاتصالات المصرية الليبية ســـواء فى مظهرها السياسى أو الحضارى انما يعود فى الحقيقة الى ما قبل بداية العصر التاريخى ، أى الى مرحلة

العصرين الحجرى القديم الأعلى والحجرى الحديث، وما قبل الأسرات[١]، وذلك عندما اضطرت العناصر الليبية الى التحرك فى محاولة للاستقرار فى وادى النيل الادنى على حافة الصحراء فى مجتمعات الفيــوم أو مرمدة بنى سلامة مدفوعة باغراء تلك الاقاليم الغربانية التى تتجمــع فيها الحياة الزراعيــة المستقرة وهربا من شظف العيش حيث كانوا يتعرضون للجوع بالنسبة لقحل بلادهم • ولكن سرعان ما كان الفراعنة منذ بداية العصر التاريخى يبادرون الى احباط تلك المحاولات ، ومن أشهرها ما حدث فى عهد أول ملوك الأسرة الاولى حيث يمكن ملاحظة ظهور اسم التحنو Tjehenu[٢] على لوحة تخص الملك نعرمر[٣] Narmer ويمكن ملاحظة تواجد سبعة مستطيلات على وجه هذه اللوحة تمثــل المدن المقهورة ، وبداخل كل مستطيل اسم المدينة ، وأعــلاها صــور لطيور وحيوانات لم يتبق منها سوى أربعة أحياء « أســد ، صقر ، عقرب ، صقرين » • ويعتقد أن تلك المدن تقع فى أرض التحنو ، وأن استسلامها ترتب عليه الحصول على الكثير من الغنــائم والتى ورد ذكرها على الوجه الآخر للوحة ، حيث تبدو صفوف من الماشية وبعض

أنظــر :

1) Holscher, W., Libyer Und Agypter, Glückstadt — Hamburg — New York, 1955, PP. 12—16.

2) Gardiner, A., Egyptian Grammar Being An Introduction to the Study of Hieroglyphs, Third Edition, London 1969, P. 601.

3) Newberry, P.E., « The Petty Kingdom of the Harpoon and Egypt's Earliest Mediterranean Period», (in) Annals of Archaeology and Anthropology 1, Liverpool, 1908, PP. 17—22.

الاشجار « يفترض أنها أشجار زيتون »[٤] والى جانب الاشجار توجد علامة هيروغليفية تعنى أرض التحنو والتى يعتقد أنها كانت تقع بجوار الحدود الشمالية الغربيـــة للدلتا[٥] • ويلفت النظـــر فى هذه اللوحة بالاضافة الى ما سبقت الاشـــارة اليه ، أن الاعداء المنهزمين تميزهم ذيول متصلة بنقبهم القصيرة ، وريش فى شعورهم وخصـــلة شعر فى مقدمة رؤوسهم[٦] • ويستدل من دراسة هذه اللوحة على قيام الملك نعرمر بغزو تلك المنطقة • ويعزز هذا الدليل تلك الاسطوانة العاجيـــة التى عثر عليها فى هيراقونبوليس Hierakonpolis (نخن) والتى تحمل اسم نعرمر وبلاد التحنو، كما يظهر فيها بعض أسرى المعركة[٧] • كذلك يذكر برستد[٨] أن رأس دبوس الملك نعرمر يسجل مائة وعشرين ألف أسير بجانب مليون وأربعمائة وعشرين ألفا من الاغنام وأربعمائة ألف من الماشية التى حصل عليهـــا كغنيمة حرب فى حملته على الاقواس التسعة والتى تعنى الشعوب على الحدود المصرية •

---

4) Newberry, P.E., « Ta Tehenu — Olive Land », (in) Ancient Egypt and the East, 1915, PP. 97—100.

5) Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, Vol. 1, Oxford University Press, 1947, PP. 116—119.

(٦) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص٤٢٧ — ٤٢٨ •

7) Quibell, J.E., Hierakonpolis, Part 1, (E.R.A. 4th Memoir) London, 1900, Pl. XV, P. 7 and Newberry, P.E., « Menes : The Founder of the Egyptian Monarchy », (in) Brunton, W., and Others, Great Ones of Ancient Egypt, London, 1929, PP. 49—50, Fig. 6.

8) Breasted J.H., A History of Egypt from the Earliest times to the persian Conquest, (Book 1, Introduction), London, 1906, P. 47.

ومن المحتمل كذلك أن يكـــون الملك جر Djer هو الآخر قد قام بحملة ضد العناصر الليبية التى حاولت التحرك نحو الدلتـــا ، حيث يظهر الملك على وجه لوحة من المرمر عثر عليها فى مقبرته بسقارة وهو يصرع أسيرا ليبيا[٩] • وقد استمر ملوك عصر الاسرات المبكـــر فى حملاتهم ضد القبائل الليبية •

وفى عهـــد خع سخم Khasekhem عثر على بعـــض الاوانى فى هيراقونبوليس تشير نقوشها الى الالهة نخبت الهة الكاب على شكل نسر تقبض على دائرة بداخلها علامتين هيروغليفيتين كلمة «بش» Besh بمعنى العصاة[١٠] وهذه الكلمة قد تشير الى أحد الشعوب الليبيـــة القاطنة بجوار الكاب[١١] El-Kab أو أنها تشير الى قبيلة ليبية شمالية اتخذت مقرها بجوار الفيوم[١٢] • ولما كان النقش يشـــير الى « عام محاربة الشماليين » ، فان التفسير الاخير يعتبر أقرب الى الصحة ، ولو أنه لا يوجد دليل قاطع على ذلك • ومهما كان الامر فان محاربة خع سخم لأعدائه الشماليين يؤكده نص منقوش على حجر بالرمو[١٣] فقرة ٨١ « عام محاربة الاعداء الشماليين » •

ولقد ازدادت الاشباكات المصرية الليبية فى عهد الدولة القديمة مما دعا ملوكها الى الاهتمام بتدعيم حدود البلاد الغربية • وتظهـــر

---

9) Emery, W.B., Archaic Egypt (Penguin Books) Harmondsworth Middlesex 1961, P. 60, Fig. 23.

10) Emery, W.B., Ibid., P. 99, Fig. 63 and Quibell, J.E., Op. Cit., Pls. XXXVI-XXXVIII.

11) Edwards, I.E.S., « The Early Dynastic Period in Egypt ». (in) C.A.H., Vol. 1, Part 2A, Cambridge, 1971, P. 24.

12) Edwards, I.E.S., Ibid., P. 33.

13) Breasted, J.H., A.R.E., 1, PP. 53—54.

النقوش والمناظر الملونة على جدران معابد الدولة القديمة ، الليبيين بملامحهم المصرية[١٤] حيث البشرة السوداء المائلة للحمرة ، واللحى القصيرة التى تتدلى من ذقونهم ، والذيول المتصلة بنقبهم القصيرة ، وخصلة من الشعر فوق مقدم رؤوسهم • وتشير حوليات سنفرو على حجر بالرمو ، وكذلك القطعة الموجودة بمتحف القاهرة (رقم ٤) الى حملة سنفرو ضد الليبيين وعلى استيلائه على الكثير من الغنائم والاسرى[١٥] •

ويشير نقش من المعبد الجنزى للملك ساحورع Sahure من الاسرة الخامسة الى الصفات الجسمانية وارد به التحنو • وفى تسجيله بانتصاره على الليبيين ، تظهر الالهة سشات Seshat الهة الكتابة وهى تحصى الغنائم من الماشية والخراف والماعز التى استولى عليها ساحورع ، فى حملته ضد العناصر الليبية فى الصحراء الغربية • كما يظهر فى أعلى النقش اسم زوجة رئيس الاعداء وأولاده • ويبدو الملك مسكا بناصية أسير ليبى راكع[١٦] ، وذراعه الاخرى ممسكة بمقمعته •

وقد أشارت بعض النصوص من أيام بيبى الاول Pepi I الى شعب ليبى جديد وهو التمحو Tjemehu [١٧] وهو شعب محارب

14) Edwards, I.E.S., Op. Cit., P. 47.

15) Smith, W.S., « The Old Kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate Period », (in) C.A.H.. Vol. 1, Part 2A, Cambridge 1971, P. 167.

16) Smith, W.S., Ibid., P. 182.

17) Gardiner, A., Egyptian Grammar Being An Introduction to the Study of Hieroglyphs, 3rd Edition, London, 1969, P. 601.

استخدمه بيبى الاول ضمن جيوشه التى أرسلها فى حملاته الاسيوية(١٨) حيث كانت العادة قد جرت على تجنيد بعض فرق الجنود من الاراضى الواقعة الى الجنوب والى الغرب من مصر(١٩) على صد اعتداءاته . ففى عهد نب حبت رع منتوحوتب الثانى ، Nebhepetre Mentuhotpe II نراه يشن حملات تأديبية ضد القبائل الليبية فى الصحراء الغربيـــة ، بغرض تدعيم حدود البلاد وتأمين المحاجر والمناجم وطرق التجارة . وتشير نقوش دندرة Dendera الى ضربة الليبيين(٢٠) ضـــمن أعداء بلاده التقليديين الذين كان يطلق عليهم شـــعوب القوس التسعة ، أو الاقواس التسعة(٢١) . وتشير قصة(*) سنوهى الى الحملة التأديبيـــة التى قادها سنوسرت الاول ضـــــد التمحو الليبيـــين بجـــوار وادى النطرون(٢٢) Wadi-en-Natrun . وقد ورد ذكرها فى بردية سنوهى « ... وكان جلالته قد أوفد جيشاً الى أرض التمحو الليبيين بقيادة

---

18) Wilson, J.A., Egyptian Historical Texts, « Asiatic Campaigns Under Pepi I » (in) A.N.E.T., P. 228.

19) Wilson, J.A., Ibid., P. 228.

20) Winlock, H.E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, New York, 1947, P. 28, N. 17.

21) Hayes, W.C., « The Middle Kingdom in Egypt, Internal History From the Rise of the Heracleopolitans to the Death of Ammenemes III, (in) C.A.H., Vol. 1, Part 2A, Cambridge, 1971, P. 480. and Winlock, H.E., Op. Cit., P. 24, n. 10.

(*) قصة سنوهى احتوتها خمس برديات وما لا يقل عن سبعة عشر لخاف (أوستراكا) وأهم تلك البرديات محفوظة بمتحف برلين تحت أرقام ٣٠٢٢ ، ١٠٤٩٩ .

22) Hayes, W.C., Op. Cit., PP. 498—499.

أكبر أبنـــائه الاله الطيب سنوسرت Sen-Usert وكان فى طريق عودته ومعه الاسرى من التحنو الليبيين وكل (أنواع) الماشية التى لا حصر لها ... »[٢٣] .

وعلى الرغم من أن الواحات الواقعة فى الصحراء الليبية كانت تعتبر تابعة اداريا لمصر منذ عصر الدولة القديمة[٢٤] ، الا أن أنصـــار الهكسوس ربما يكونوا قد قاموا باحتلالها أثناء عصر الانتقال الثانى . لذلك ارتأى كامس أن يقوم بارسال حملة عسكرية الى الواحة الشمالية أثنـــاء حروبه مع ملك الهكسوس أبوفيس Apophis بغــرض تأمين تلك الجبهة ضد العناصر الليبية أثناء انشغاله بعدوه الاصلى . حيث أن القبائل الليبية كانت قد انتهزت فرصة احتلال الهكسوس لمصر ، فقامت بتنظيم صفوفها ، وبدأت تتجه بأنظارها جنوب غربى الدلتا . ولكن أمنحوتب الاول استشعر هذا الخطر الليبى ، فلم يجد مناصا من غزو بلادهم حيث تشير نقوش أحمس بن نخب Ahmose-Pen-Nekheb الى حملة امنحوتب الاول على الليبيين ، لرد اعتداءاتهم على الدلتـــا[٢٥]

---

23) Wilson, J.A., Egyptian Myths and Tales, « The Story of Sinuhe », (in) Pritchard, J.B., The Ancient Near East, An Anthology of Texts and Pictures, Volume 1, Princeton, New Jersey, 1973, P. 6.

24) Fischer, H.G., « A God and a General of the Oasis on a Stela of the Late Middle Kingdom », (in) J.N.E.S., 16, Chicago, 1957, 226—227.

25) Breasted, J.H. ; A History of Egypt, (Book V, The Empire : First Period), London, 1906, P. 254.

حيث يقول أحمس ، أنه أسر ثلاثة أعداء وقطع أيديهم فى شمال أيامو Iamu فى أرض كحك Kehek . وكحك هذه تختلف عن اسم قبيلة ليبية تسمى قحق[٢٦] Qeheq ، سوف نتعرض لها فى عصور لاحقة . ومنذ عصر أمنحوتب الاول ، تم تعيين مسئول يتولى الاشراف على شئون الواحات وكان يطلق عليه عمدة الواحات [٢٧] .

ثم بدأت العلاقات المصرية الليبية فى التطور من الاطار الحربى الذى سبقت الاشارة اليه ، الى الاطار السلمى فى معظم فترات الاسرة الثامنة عشرة . وقد يعود ذلك الى انكماش الليبيين داخل حدودهم ، وتوقف محاولاتهم لغزو الدلتا بسبب تخوفهم من التوسع المصرى فى عهد الملوك الاوائل للاسرة الثامنة عشرة . وعلى الرغم من تلك العلاقات السلمية فى تلك الآونة ، الا أن ذلك لم يمنع بعض الملوك من أمثال أمنحوتب الثالث[٢٨] من اظهار شدة بأس المصريين لتلك القبائل الليبية بين الحين والآخر . وعلى الرغم من ذلك فقد تجددت أطماع القبائل الليبية مرة أخرى فى غربى الدلتا ، وأصبحت تهدد الحدود الغربية فى عصر الاسرة التاسعة عشرة حيث تشير مناظر الكرنك من

---

26) James, T. G.H., « Egypt : From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I » (in) C.A.H., Vol. 11, Part 1, Cambridge, 1973, P. 310.

27) James, T. G.H., Ibid., P. 310.

28) Wilson, J.A., Egyptian Hymns and Prayers, « From Amen-hotep III's Building Inscription », (in) A.N.E.T., P. 376.

عهد سيتى الاول[٢٩] Sethos I الى حملته الثالثة والتى كانت موجهة ضد الليبيين[٣٠] • وعلى الرغم من أن النقوش لا تشير الى تحديد مكان تلك الحملة ، الا أن مناظر المعركة تؤكد انتصار المصريين •

ومع ازدياد خطر التمحو ، أضطر رمسيس الثانى Ramesses II الى مواجهة هذا الخطر الذى تمثل فى تحالف قبائل التمحو[٣١] والتحنو[٣٢] مع جيرانهم من المشوش[٣٣] Meshwesh والليبو Libu . فقد تحركت تلك القبائل فى محاولة للغزو والاستقرار فى غربى الدلتا مما اضطر رمسيس الثانى الى بناء سلسلة من التحصينات على طول الساحل الشمالى من راكوتيس Rhacotis وحتى العلمين [٣٤] El-Alamein • ولقد خلف رمسيس الثانى ما يشير الى انتصاراته ضد هؤلاء الغزاة حيث يمثله منظر فى معبد أبى سنبل وهو يضرب ليبيا [٣٥] •

---

29) Faulkner, R.O., « Egypt : From the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III », (in) C.A.H., Vol. 11, Par 2A, Cambridge, 1975, P. 220.

30) Faulkner, R.O., Ibid., P. 221.

31) Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, Vol. 1, Oxford University Press, 1947, PP. 114 FF.

32) Gardiner, A.H., Ibid., PP. 116 FF.

33) Wainwright, B.A., « The Meshwesh », (in) J.E.A.. 48, London, 1962, PP. 89 FF.

34) Rowe, A., « A History of Ancient Cyrenaica », (in) (Ann. Serv. Suppl. Cahier 12) Cairo, 1958, P. 4.

(٣٥) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص٢٩٨ •

وفى السنة الرابعة والاربعين من حكمه ، تشـــير النصـــوص الى استخدامه الاسرى الليبيين من التحنو فى بناء معبد السبوع Es-Sebue فى النوبة السفلى(٣٦) .

ولقد اتخذت الهجمات الليبية شكلا خطـيرا فى عهد مرنبتـاح Merneptah حيث تجسم الخطر النيبى على مصر فى السنة الخامسة من حكم مرنبتاح(٣٧) حين تحالفت قبائل الليبـــو والمشوش وقحق(٣٨) مع بعض شـــعوب البحـــر(٣٩) من الشردن Sherden والشكلش (٤٠) Sheklesh ولـــوكا(٤١) Lukka والتورشـــا(٤٢) Tursha والاكواشـــا Akawasha تحت زعامة رئيس قبيلة التحنو المسمى ماراى Mauroy وتقدمت تلك الشعوب نحو الدلتا(٤٣) ، حيث جرت المعـــركة الحاســـمة بينهما وبين جيش مرنبتاح فى مكان غـــير محـــدد يدعى بى ير Pi-yer وقد خلد مرنبتـــاح انتصـــاره على تلك الشـــعوب فى نقـــش طويل

---

36) Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 230.

37) Breasted, J.H., A.R.E. III, 595—598.

38) Gardiner, A.H., Op. Cit., P. 123.

39) Gardiner, A.H., Ibid., P. 196, and Wainwright, G.A., « Some Sea Peoples and others in the Hittite Archives », (in) J.E.A., 25 London, 1939, pp. 148 FF.

40) Gardiner, A.H., Op. Cit., PP. 196 FF.

41) Gardiner, A.H. Ibid., PP. 127 F.

42) Gardiner, A.H., Ibid., PP. 196 FF.

43) Breasted, J.H., A.R.E., 111, 569 FF.

بالكـــرنك[٤٤] ، ولوحة اتريب [٤٥] Athribis ولوحة اسرائيـــل(*) .
ويصف نص الكرنك هذه الهجمة الليبية « ... أنهم قضـــوا اليـــوم يجوبون فى الارض ويحاربون ليملأوا بطونهم كل يوم ، أنهم جاءوا الى أرض مصر سعيا وراء الطعام الذى يسدون به أفواههم .. »[٤٦].
وقد استغرقت المعركة ست ساعات من القتال ، هزم العدو الليبـــى على أثرها . وبلغ عدد القتلى من الليبيين أكثر من ستة آلاف [٤٧] ، والاسرى أكثر من تسعة آلاف [٤٨] ، وتشير لوحة اسرائيل الى ارتياح المصريين لهزيمة هؤلاء الغزاة :

« ... حل فرح عظيم بمصر

وشاع التهلل فى قرى مصر ...

أنهم يتحدثون عن الانتصارات

انظـــر :

44) Muller, W.M., Egyptological Researches, Vol. 1, Washington, 1906.

45) Faulkner, R.O.. Op. Cit., P. 233.

(*) اللوحة موجودة حاليا بالمتحف المصرى تحت رقم ٣٤٠٢٥ واكتشفها بترى Petrie فى حطام معبد مرنبتاح الجنزى فى طيبـــة ونشرها بترى .
Petrie, W.M.F., Six Temples at Thebes, London, 1897, Pls. XIII—XIV.

46) Breasted, J.H., A.R.E., III, 569 FF.

(٤٧) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص٣٠٠ ، ص٣٠١ .

48) Wilson, J.A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, P. 257.

التى تمت لمرنبتاح حوتب حرمًا عت Hotep-hir Maat فى آرض تحنو ... ما أحب ذلك الحاكم المنتصر! ... »(٤٩) .

كما أشارت اللوحة الى هروب ماراى « ... فى جنــح الليــل وحيدا ، ولم تكن فى رأسه ريشة ، حافى القدمين ... ولم يكن معــه ماء من مياه القرب ليحفظ عليه حياته ... »(٥٠) .

وكان مصير ماراى أن أسقطته قبيلته وعينت أخيه بدلا منه (٥١).

ويؤكد انتصار المصريين فقــرة فى نهــاية نص لوحة اسرائيــل « ... الامراء منبطحون يصرخون طالبين الرحمة !

ولا يرفع واحد رأسه من أهالى الاقواس التسعة .

لقد أتلفت أرض تحنو ... »(٥٢) .

ثم عاود الليبيون عبثا كسر المقاومة المصرية فى عهــد رمسيس الثالث ولكنهم فشلوا تماما من الناحية الحربية . ففى العام الخامس من حكمه ، هاجم مصر جيشا كبيرا من الليبو مع المشوش ، ومع قبيلة سبد(٥٣) Seped ومن المحتمل أن تكون تلك القبائل قد استثيرت بسبب تداخل رمسيس الثالث فى أمر تعيين رئيس لقبيلة التمحو ، حيث فرض

---

49) Wilson, J.A., Egyptian Hymns and Prayers, « Hymn of Victory of Mer-ne-Ptah, « (The Israel Stela) (in) A.N.E.T., PP. 377—378.

50) Wilson, J.A., Ibid., P. 377.

51) Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 233.

52) Wilson, J.A., Op. Cit., P. 378.

53) Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 242.

عليهم حاكما جديدا صغير السن (٥٤) .

ولكن يبدو أن هدف تلك الغزوة كان بدافع الرغبة فى الاستقرار فى أراضى الدلتا الغنية . ومهما كان الامر ، فان هزيمة الليبيين فى تلك المعركة كانت مؤكدة(٥٥) . وفى العـام الحادى عشر من حكـم الملك رمسيس الثالث ، تجدد الخطر الليبى مرة أخرى تحت قيادة الليبـو والمشوش بعـد تحالفهم مع خمسة شـعوب أخرى . وتشـير بردية هاريس(٥٦) Harris Papyrus الى أن هذا الحلف قد صادف بعـض النجاح فى بداية الامر ، مما ترتب عليه تسرب بعض العناصر الليبية الى المنطقة الواقعة غرب الفرع الكانوبى ، وانتشارهم فى المنطقة من منف وحتى البحر الابيض «... كان الليبو والمشوش مستقرين فى مصر وكانوا قد استولوا على كل الرقعة غرب حيكوبتاح(منف) حتى قيروبن (يظن أنها قرب أبى قير) ووصلوا الى النهر الكبير (الفـرع الكانوبى للنيل) من كل جوانبه ... »(٥٧) .

وتشير نقوش معبد رمسيس الثالث الجنزى فى مدينة هابو (٥٨)

---

54) Faulkner, R.O., Ibid., P. 242.

55) Faulkner, R.O., Ibid., P. 242.

انظـر :

Chicago University, Oriental Institute Medinet Habu, Vol., 1, Chicago, 1932. Pls. 18—20.

56) Breasted, J.H., A.R.E., IV, 405.

(٥٧) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص٣١٦ .

58) Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 241.

Medinet Habu الى انتصاره على الليبيين ، وأن عـــدد القتلى كان يزيد عن ألفين غير الاسرى والغنائم (٥٩) . أما بالنسبة للاسرى ، فقد كان مشر Mesher زعيم المشوش من بينهم . وعندما التمس والده كبر Keper اطلاق سراحه ، ذبح هو وحرسه (٦٠) . وأما الغنائم فتنبغى الاشارة الى الهبات التى حصل عليها الكهنة من تلك الغنائم . فبعـــد أن هزم رمسيس الثالث قبائل المشوش استولى على أكثر من أربعين ألفا من رؤوس الماشية ، ومنح آمون ٢٨٣٣٧ حيـــوانا من بين التى استولى عليهم سيف جلالته القوى (من) المشوش المهزومين ، وجعـــل منها قطعانا قدمها مرة أخرى (الى) أبيه أمون رع ملك الآلهة ..» (٦١).

وتشير بردية هاريس الكبرى الى أن الاله أمون كان يملك أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ من الماشيه ، وأن ٩٧١ من المشوش كانوا يسهرون على العنـــاية بقطيع واحد من شرق الدلتـــا (٦٢) . وأن أكثر الآلهة الذين اختصـــوا بتلك المنـــح هم أمـــون Amon اله طيبـــة ، ورع Re اله هليوبوليس ، وبتـــاح Ptah اله منف . أما باقى الآلهـــة فكانوا أقل نصيبا (٦٣) .

وكما حققت انتصارات مرنبتاح انقاذ مصر من الخطر الليبى ،

---

59) Edgerton, W.F., and Wilson, J.A. « Historical Records of Ramses III », (in) S.A.O.C., 12, Chicago, 1936, P. 67.

60) Faulkner R.O., Op. Cit., P. 243.

61) Edgerton, W.F., and Wilson, J.A., Op. Cit., P. 67.

62) Wilson, J.A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A , 1975, P. 270.

63) Wilson, J.A., Ibid., P. 270.

فقد نجحت جهود رمسيس الثالث فى ايقاف هذه التسللات الليبية فى ذلك الوقت • وتنبغى الاشارة فى هذا الصدد الى أن حروب رمسيس الثالث مع الليبيين كانت حاسمة فى ايقاف عمليات التسلل المسلح ، مما دفعهم الى التسرب السلمى فى مناطق الفيوم والدلتا ، والعمل كجنود مرتزقة فى الجيش المصرى • ومما تجدر الاشارة اليه ، أن أحد المتهمين فى مؤامرة (الحريم) فى أواخر عصر الملك رمسيس الثالث يدعى «انينى» Yenini وصف بأنه كان ليبيا (٦٤) •

وتشير النصوص المصرية منذ أواسط الاسرة العشرين الى نشاط قبائل الليبو والمشوش(٦٥) • حيث تشير تلك النصوص الى ظهور تلك العناصر الليبية فى منطقة طيبة • ويرجع أقدم ذكر لهم فى يومية مهشمة لعمال الجبانة مؤرخة بالعام العاشر لأحد الملوك « فقد اسمه »(٦٦) • ففى تاريخ معين يذكر هذا التقرير « نزل سكان الصحراء فى مدينة سمن(*) Smen • وفى تواريخ أربعة متتالية ، توجد اشارة الى امتناع فريق العمال عن العمل فى الجبانه بسبب الخوف من سكان الصحراء وأن خوفهم تزايد عندما نزل سكان الصحراء غربى طيبه بعد يومين • ثم نجد اشارة الى أن سكان الصحراء هم المشوش وفى جزء آخر من نفس البردية (٦٧) ، نجد اشارة الى الليبيين مؤرخة بالعام الحادى عشر • وفى يومية أخرى (٦٨) مؤرخة بالعام الخامس عشر ،

---

64) Wilson, J.A., Ibid., P. 258.

65) Peet, T.E., « The Supposed Revolution of the High-Priest Amenhotpe » (in) J.E.A., 12, London, 1926, P. 258.

(٦٦) بردية نورين ، كتالوج ٢٢٤ — ٢٠٧١ (١٤٠) لم تنشر بعد .

(*) تقع على بعد حوالى ٢٥ كيلومتر الى الجنوب من طيبة .

(٦٧) بردية تورين ، جزء غير مرقم لم ينشر بعد .

(٦٨) بردية تورين ، كتالوج ٢٢٤ — ٢٠٧١+١٩٦٠ لم تنشر بعد .

ورد ذكر الليبو والمشوش • ويبدو أنهم عبروا النهر عند نى Ne فى طيبة •

كما أن تلك الاحداث قد جرت فى عهد رمسيس التاسع[69] • أما فى عهد رمسيس العاشر ، فتشير يومية مؤرخة بالعام الثالث من حكمه الى امتناع عمال الجبانة عن العمل طوال الشهر الثالث لفصل الشتاء بسبب خوفهم من سكان الصحراء وأن ذلك قد حدث فى الايام ٦ ، ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ من هذا الشهر [70]•

وعلى ذلك يمكن القول بأن خطر تلك العناصر الليبية سواء من المشوش أو الليبو ، بدأ يتكرر خلال عهدى رمسيس التاسع ورمسيس العـاشر • وكانت تلك العناصر الليبية قد مهـدت لنفسها الطـريق للاستقرار والاستيطان فى مصر العليا وشمال مصر ، وغربى الدلتـا . وفى هرقليوبوليس Heracleopolis (اهناسية) •

وهكذا حصلت تلك العناصر بطريق السلم على ما لم تنله بطريق الحرب • ولما لم يستطع المصريون مجابهة هذا الغزو السلمى ، اضطروا الى استخدام هؤلاء الغزاة كجنود مرتزقة فى الجيش المصرى • وبسبب قدراتهم الحربية انتهز بعض الليبيين الفرصة وتمكنوا من التسلل الى المراكز القيادية فى الجيش المصرى فى الايام الاخيرة للدولة الحديثة • وتوجد اشارات الى أن علاقة المصريين بتلك العناصر الليبية منذ نهاية

---

69) Cerny, J., Egypt : From the Death of Ramesses III to the End of the Twenty-First Dynasty », (in) C.A.H., Vol. 11, Part 2B, Cambridge 1975, P. 618.

70) Cerny, J., Ibid., P. 618.

الاسرة العشرين قد أصبحت سلمية • ففى محاكمة من عهد رمسيس الحادى عشر ، يشهد أحد صناع الجعة من غربى طيبة بتسلمه لبعض الفضة من المشوش بطريق التجـارة [٧١] • وفى أمر من قائد الجيش الى متعهدى الخبز ، يطالبهم باعادة تزويد المشوش بالخبز [٧٢] •

وفى بداية العصر المتأخر ، كانت الحالة فى مصر الفرعونية قد وصلت الى درجة من الفوضى السياسية التى سمحت لكثير من العناصر الاجنبية من الاستيطان فى البلاد ، والتطلع الى الاستحواذ على السيادة السياسية • وكانت العناصر الليبيه قد استفادت من العملية التاريخية التى مرت بها محاولاتهم المتكررة للتسلل فى مجتمعات الدلتا والفيوم ، سواءا اتخذت تلك المحاولات صفة التسلل المسلح كما حدث فى معظم عهود الدولة القديمة ، والوسـطى ، والحديثة ، أو صـفة التسرب السلمى عندما فشلت محاولاتهم الحربية • ثم أخذت تلك العنـاصر الليبية تنخرط فى سلك الجندية بأعداد كافية نظرا لضآلة مرتباتهـم وكفاءتهم الحربية ، حتى أصبحت غالبية الجيش تتكون من الليبيـين منذ أواخر عصر الاسرة العشرين •

وفى حالة تسريحهم من الخدمة العسكرية ، كانوا يميـلون الى الاستيطان وقد ساعدهم على ذلك أن ملوك تلك المرحلة أقطعوا الكثير من الاراضى عليهم • وقبيل انتهاء الاسرة الحادية والعشرين ، بدأوا يتجمعون فى غربى الدلتا وفى هرقليوبوليس على شكل جاليات تنتظـم

---

71) Cerny, J., Ibid., P. 619.

انظـر :

72) Cerny', J., Late Ramesside Letters (Bibliotheca Aegyptiaca, 1x). Brussels, 1939, P. 35.

كل مجموعة منها فى عدد من الحاميات ، وكان يرأس كل حامية رئيس ليبى . كما كان يتوسط كل حامية مدينة هامة (٧٣) .

ومع ازدياد نفـوذ هؤلاء الليبيين ، أصبحوا يشـكلون الخطر الحقيقى الذى كان يهدد سلامة البلاد فى تلك المرحلة . وقد استشعر كبار الكهنة آنذاك هذا الخطر ، فأطلقوا على أنفسهم الصفات الحربية بجانب ألقابهم الكهنوتية مثل لقب القائد الاعلى لمصر العليا والسفلى أو لكل البلاد (٧٤) .

ومن بين القبائل الليبيـة التى استقرت فى هرقليوبوليس تتبغى الاشارة الى احدى الاسر التى استقرت منذ ستة أجيال والتى تزعمها رئيس من رؤساء المشوش يسـمى بويوواوا Buyuwawa وقد خدم الكثير من أبناء تلك الاسرة فى معبد الاله حرشيف Harsaphes اله مدينه هرقليوبوليس . كما أصبح لكثير من زعمائها مركز مرموق(*) . وكانوا يحملون لقب رؤساء المشوش العظام ، أو رؤساء الـ «ما» وهى تسمية

---

73) Cerny, J., « Egypt. From the Death of Ramesses III to the End of the Twenty-First Dynasty », (in) C.A.H., Vol. II, Part, 2B, Cambridge, 1975, P. 618.

(٧٤) مثل نس بانب دد Nesbenebded

Hayes, W.C., « Writing Palette of the High Priest of Amun Smendes » (in) J.E.A., 34, London, 1948, Pl. XIII.

وكذلك بسوسنس الثانى Psusennes II ولقبه ، « القائد الاول الذى يرأس الجيوش » .

Murray, M.A., The Osireion at Abydos, London, 1904.

(*) تقلد مواساتا ابن بويوواوا مهمة الاشراف على معبد الاله حرشيف، وورث عنه أبناؤه لقب الكهنوت وامتد نفوذهم الدينى ليشمل مصر الوسطى بأكملها .

نجيب ميخائيل ابراهيم ، المرجع السابق ، ص٣١٢ .

تعود فى أصلها الى منطقة نسط الجريد جنوب قرطاج [٧٥] . وربمـــا كان هؤلاء الرؤساء أصلا من بين زعماء الجند الليبيين المرتزقة فى الجيش الفرعونى[٧٦] .

وفى حوالى ٩٥٠ق.م ظهـــرت من بين تلك الشخصيات الليبيـــة شخصية قوية ، استطاعت أن تمد نفوذها حتى أبيدوس جنـــوبا[٧٧] وهى شخصية شوشنق الاول S'oshenk I وقد بلغ من ازدياد نفوذه أن دعاه آخـــر ملوك الاسرة الحـــادية والعشرين بسوسنس الثـــانى Psusennes II للمشاركة فى أعياد جلالته وتلقى المجد معه »[٧٨] . ثم استطاع أن يمد نفوذه بعد ذلك حتى الدلتا ، واتخذ من تل بســـطة مركزا له . ثم تمكن فى النهاية من الوصول الى عرش مصر بعد موت بسوسنس الثانى ، وأسس بذلك الأسرة الثانية والعشرين[٧٩] . وقد ورد ذكر شوشنق الاول فى نص منقوش على لوح من الجرانيت الاحمر عثر عليه مارييت Mariette فى أبيدوس [٨٠] بأنه « الرئيس العظيـــم للمشوش ، أمير الامراء » . وعندما مات أبوه «نمرات» Nemrat طلب شـــوشنق من آخر ملوك الاسرة الحادية والعشرين أن يأذن له بوضع تمثال لأبيه نمرات فى معبد أوزيريس Osiris بأبيدوس ، حتى

(٧٥) رشيد الناضورى ، المغرب الكبير ، العصور القديمـــة ، أسسها التاريخيـــة الحضارية والسياسية ، الجزء الاول ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص٢٢٤ .

76) Wilson, J.A., Op. Cit., P. 292.

77) Wilson J.A., Ibid., P. 292.

78) Blackman, A.M., « The Stela of Shoshenk, Great Chief of the Meshwesh » (in) J.E.A., Vol. 27, London, 1941, P. 84

79) Breasted, J.H., A.R.E., IV, 792.

80) Blackman, A.M., OP. Cit., PP. 83—95.

يتسنى اقامة عبادة جنزية لتمجيده ، كما طلب منه أن يخلف أباه فى مركزه فوافق الملك والاله العظيم (أمون)[٨١] .

ولكى يجعل مركز العائلة شرعيا فى حكم البلاد ، زوج تسوتسنق الاول ولى عهد أوسركون الاول Uaserkon I من «ماع دارع»[٨٢] ابنه بسوسنس الثانى [٨٣] ، حتى يعطى لابنه حقا شرعيا لتولى عرش مصر بعد وفاته .

ومما تجدر الاشارة اليه ، أنه على الرغم من اعتبـــار الاسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين أسرتين ليبيتين ، الا أننا لا نستطيع الجزم بكونهما من الاسر الاجنبية بمعنى الكلمة حيث أن تلك العناصر الليبية كانت قد تأثرت بالحضارة المصرية المتفوقه فى دلك الوقت بالنسبه لهم الى الدرجة التى نستطيع معها القول بأنها قد تمصرت الى حـــد بعيد . أضف الى ذلك حقيقة أخرى وهى أن هؤلاء الليبيين لم يكـــن لهم وطن آخر يدينون له بالولاء . وعلى ذلك لا يجوز القول بأن مصر قد فقدت استقلالها فى ذلك الوقت على يد الليبيين المتمصرين . ومهما كان الامر ، فان تلك المرحلة الليبية فى التاريخ المصرى القديم لم يكتب لها الدوام اذ تمكنت العناصر النوبية الحامية الاصل من الاستيلاء على السلطة من المصريين والليبيين وتأسيس الاسرة الخامسة والعشرين .

---

81) Blackman, A.M., Ibid., P. 92.

82) Breasted, J.H., A.R.E., IV, 738 FF.

83) Breasted, J.H., A History of Egypt, (Book VII, The decadence), London, 1906, P. 528.

نشأة وتطور العـلاقات السياسية المصرية
النوبية خلال العصر التاريخى

ان العلاقات السياسية بين مصر الفرعونية من ناحية ، والنوبة من ناحية أخرى تحتل مكانا بارزا فى السياسة الخارجية لمصر القديمة فى معظم عهودها • وتعود أهمية النوبة الى نظرة المصريين القـدماء الى بلاد النوبة السفلى باعتبارها بمثابة منطقة بعد استراتيجى لهـم على أساس أن الجندل الثانى كان فى نظرهم يمثل الحدود الجنوبيـة الطبيعية لمصر الفرعونية • ومن ناحية أخرى ، فقد جمعت بين المصريين والنوبيين مظاهر حضارية مشتركة ، فكلاهما ينتمى الى نفس السلالة الحامية [1] كما أنهما اتبعا نفس الاسلوب الحضارى منذ عصر فجـر التاريخ ، ولو أن النوبيين لم يستطيعوا مجاراة المصريين فى مضـمار الحضارة • أضف الى ذلك أن اقتصاد مصر الوطنى ومركزها التجارى فى ذلك الوقت كان يعتمد اعتمـادا متزايدا على الحصول على المواد الخام من النـوبة وما جاورها من أراضى فى الجنوب • لذلك حرص المصريون كل الحرص على ابقاء تلك الاقاليم تحت سيطرتهم •

1) Smith, G.E. and Jones, F.W., The Archaeological Survey of Nubia (Report for 1907—1908) Vol. II, Report on the Human Remains. Cairo, 1910, pp. 15—36.

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن المصريين القـدماء أطلقوا كلمـة تستى [٢] على بلاد النوبة ومعناها أرض النوبيين • وكانت تطلق أيضا على الاقليم الاول من أقاليم الوجه القبلى • وربما تكون كلمة نوبة قد اشتقت من الكلمـة المصرية «نوب» بمعنى الذهب • ولقـد فرق المصريون القدماء بين النوبة السفلى (الجزء الذى يقع بين الجنـدل الاول والثانى) واوات[٣] Wawat وبين النوبة العليا (الجزء الذى يقع جنوب الجندل الثانى) أرض كاس المعروفة فيما بعد باسم كاش [٤] وهى كوش •

أما بالنسبة للنوبيين ، فقد أطلق المصريون القدماء عليهم لفظـة مدجاى [٥] Medjay ، وأيضـا نحسـيو Nehesyu [٦] والتى كانـوا يطلقونها على القبائل الحامية والزنجية •

ولعل أول وثيقة ذكرت كلمة النوبة [٧] هى كتاب Geographica لمؤلفه سترابو Strabo فى الكتاب السابع عشر • وينطبق هذا التعبير الجغرافى على المنطقة الممتدة بين أبو حـ د ومروى •

وعلى الرغم من أن العلاقات المصرية النوبية قد استمرت فى معظم العصور الفرعونية الا أنه يمكن القول بأن نظـرة المصريين القـدماء الى تلك البلاد قد تباينت فى طبيعتها من عصر الى آخر • وهنا يتبادر

---

2) Gardiner, A., Egyptian Grammar, Being An Introduction to the Study of Hieroglyphs, London, 1969, P. 593.
3) Gardiner, A., Ibid., P. 559.
4) Gardiner, A., Ibid., P. 597.
5) Gardiner, A., Ibid., P. 571.
6) Gardiner, A., Ibid., P. 575.

(٧) عبد المنعم ابو بكر وآخرون ، بلاد النوبة ، ص٤٤ •

الى الذهن سؤال هل عاشت مصر فى سلام دائم مع جيرانها فى الجنوب؟ وهل كان المصريون ينظرون الى النوبة كامتداد طبيعى مكمل لمصر ؟ أم أنهم كانوا يطمعون فى استغلال اقليم النوبة الغنى بالمواد الخام والايدى العاملة • ومن ناحيــة أخرى هل كان أهل النــوبة أنفسهم ينشدون صداقة مصر سعيا وراء الرزق أم أنهم كانوا يثورون فى وجه حكامها بين الحين والآخر الى أن تحينوا تلك اللحظات التى ضعفت فيها مصر سياسيا فانقلبوا عليها بل واستطاعوا أن يحتلوا مصر فى نهــاية الامر • وحتى يتمكن الباحث من الاجابة على تلك التساؤلات فانه يلزم ملاحظة تطور العلاقات المصرية النوبية مع القاء بعض الضوء التاريخى على طبيعة تلك العلاقات ابان العصر التاريخى •

فبالنسبة للعلاقات المصرية النوبية فى عصر الاسرات المبكــر ، يمكن للباحث أن يلاحظ انشغال ملوك تلك الفترة بوجه عام فى تثبيت دعائم الوحدة وعدم ميلهم الى الفتوحات الخارجية • الا أن النقوش والنصوص التى تعود الى تلك المرحلة تشير الى بعــض الحمــلات العسكرية التى كانت ترسل من مصر الى بلاد النوبة ، الا أنها لم تكن موجهة ضد السكان الاصليين بل غالبا ما اقتصرت على رد غارات البدو لتأمين طرق القوافل التجارية • وفى الامكان ملاحظة ورود ذكر النوبة على رقعة خشبية عثر عليها فى أبيدوس من عهد حور عحا وهى تشير الى غزو الاراضى النوبية [8] كما يشير نص منقوش على لوحة صخرية فى وادى حلفا **Wadi Halfa** يحمل اسم جر [9] الى غزوه لبلاد النوبة•

---

8) Edwards, I.E.S., The Early Dynastic Period in Egypt », (in) C.A.H., Vol. I, Part 2A, Cambridge, 1971, PP. 23 and 50.

9) Edwards, I.E.S., Ibid., P. 50 and Arkell, A.J., « Varia Sudanica », (in) J.E.A., Vol. 36, Lonon, 1950, PP. 27-30.

ويشير حجر بالرمو الى ملك مجهـول الاسم من الاسرة الاولى « ويحتمـل أن يكـون الملـك دن Den » قـام بضرب المقاطعـات «الايونتيو» (١٠) Iuntiu ويشير نقش فى الكوم الاحمر (١١) من عهد خع سـخم الى ضربه للنوبيين . كمـا تشـير التنقيبات الاثرية فى بوهن(*) Buhen الى العثور على أفران لصهر النحاس فى نهاية عصر الاسرات المبكر (١٢) .

ثم تطورت علاقات مصر بالنوبة أثناء عصر الدولة القديمة حينما بدأت أنظار ملوك تلك المرحلة تتجه نحو الجنوب رغبة فى الحصول على الكثير من المواد الخام وبدأت البعثات التجارية تتردد على تلك المناطق. ولكن هذا النشاط التجارى لم يقلل من حرص المصريين على حمـاية حدود بلادهم الجنوبية طوال عصر الدولة القديمة ، وخاصة وأن بعض القبائل الزنجية بدأت تظهر على المسرح السياسى منذ عام ٣٥٠٠ق.م، ووصلت بعضها الى مصر فى عصر الاسرة الثالثة . وفى هذا الاتجاه نجحت جهود زوسر فى السيطرة على القبائل النوبية جنوب الجنـدل الاول (١٣) .

ومن عهد حونى ، عثر على قطعة مخروطية(**) ، من الجرانيت الاحمر فى الفنتين Elephantine يعتقد بورخارت Borchardt أنها جـزء

10) Edwards, I.ES., Op. Cit., P. 50.

11) Quibell, J.E., and Green F.W., Hierako polis, Part 2 (E.R.A. 5th Memoir) London, 1902, PL. LVIII.

(*) تقع على الحد الشمالى للجندل الثانى .

12) Tigger, B.J., Nubia Under the Pharaohs, Great Britain 1976, P. 46.

13) Breasted, J.H., A History of the Ancient Egyptians, the Historical Series for Bible Students, Vol. V, P. 104.

(**) موجودة بالمتحف المصرى تحت رقم ٤١٥٥٦ وقد قام بدراستها لبيب حبشى .

من قلعة دفاعية أقيمت فى تلك الجزيرة على الحدود القديمة بين مصر والنوبة بغرض تقوية الدفاع عنها . ويشير النص المنقوش عليهـــا الى اقامة تلك القلعة والى اسم الملك حونى داخل الخرطوش الملكى (١٤) .

أما الاخضاع الحقيقى للنوبة السفلى ، فقد تم فى عهد ســـنفرو حيث تشير حولياته على حجر بالرمو الى حملاته ضد النوبة(١٥) وقد أحضر سنفرو معه من النوبة سبعة آلاف أسير ومائتى ألف رأس من الماشية(١٦) ، وربما كانت هذه الحملة موجهة ضد القبائل القاطنـــة الى الجنوب من بوهن لتأمين طرق التجارة حتى دنقلة (١٧) .

أما خوفو فقد استغل محاجر الديوريت الواقعة فى الصـــحراء شمال غربى أبى سنبل(١٨) . وقد عثر على أسماء كل من رع جدف Redjedef ، وساحورع Sahure وأسيسى Isesi منقوشـــة على تلك المحاجر (١٩) . كما يشير أوناس الى زيارته للحدود الجنوبية التى ربما استقبل فيها رؤساء القبائل النوبية (٢٠) .

مما سبق يمكن القول بأن المصريين القدماء احتلوا النوبة السفلى فى تلك المرحلة ، ووجدوا سهولة فى استغلال الثروات المعدنية فى تلك المناطق بدليل اكتشاف افران لصهر النحاس فى بوهن تعود الى عصر

---

14) Smith, W.S., « The Old Kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate Period », (in) C.A.H., Vol. 1, Part 2A Cambridge, 1971, P. 159.

15) Smith, W.S., Ibid., P. 167.

16) Breasted, J.H., Op. Cit., P. 106, and Breasted, J.H.. A.R.I., 146.

17) Tigger, B.J., Op. Cit.. P. 47.

18) Smith, W.S., Op. Cit., P. 167.

19) Smith, W.S., Ibid., P. 167.

20) Smith, W.S., Ibid., P. 188.

الاسرتين الرابعة والخامسة [٢١] .

وأخذت عناية المصريين ببـلاد النـوبة تزداد فى عصر الاسرة السادسة ، ويستدل من نص خلفه (اونى) Uni عن مهمـة أرسله فيها بيبى الاول Pepi I الى بلاد النوبة لتجنيد مقاتلين من النوبة للجيش المصرى « ... أعلن جلالته الحرب وجهز جلالته جيشا من عشرة آلاف من كل من الوجه القبلى ... ومن النوبيـين ايرثت Irthet ومدجاى ويام Yam ومن واوات ومن كاآو kaau ... »[٢٢] .

ويشير نقش عند الجندل الاول الى زيارة مرنرع لاقليم الجندل الاول ليتقبل ولاء رؤساء قبائل مدجاى وايرثت وواوات « ... وصول جلالة الملك الى الاراضى الواقعة بعد الاقليم الصخرى (الجندل الاول) لمشاهدة هذا الاقليم ولقبول الخضوع والمديح من رؤسـاء قبـائل المدجاىوايرثت و واوات ... »[٢٣] .

وقد استمر أونى لخبرته فى الشئون النوبية فى خدمة الفرعون مرنرع ، حيث عينه حاكما على الجنوب « ... سيدى الذى له الحياة الابدية ، عيننى وحاكما على الجنوب ... »[٢٤] .

---

21) Emery, W.B.. Egypt in Nubia, London, 1965.

ترجمه للعربية تحفة حندوسة وراجعه عبد المنعم ابو بكـر بعنوان «مصر وبلاد النوبة» ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص١٣١ .

22) Wilson, J.A., « Asiatic Campaigns under Pepi I », (in) A.N.E.T., Princeton, 1969, P. 228.

23) Breasted, J.H., A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest, Book II « The old kingdom », London, 1906, P. 137.

24) Breasted, J.H., A.R.. 1, 320.

ولكى يتغلب على الصعوبة فى التنقل بين مصر والنوبة ، قام (أونى) برحلتين الى الجندل الاول . وفى رحلته الاولى ، قضى عاما كاملا فى شق خمس قنوات عند الجندل الاول لتيسير الملاحة ، كما أتم بناء سبع سفن [٢٥] أتى بها محملة بكتل الجرانيت . ولقد ازدادت الصلات السلمية بين مصر والنوبة عندما أخذ حكام الفنتين يرتادون مناطق النوبة . وقد قام حرخوف Harkhuf بقيادة القوافل التجارية فى الجنوب . وتشير نقوش مقبرته تجاه أسوان الى زيارته للنوبة ثلاث مرات فى عهد الملك مرنرع . وقد استغرقت رحلته الاولى سبعة شهور، وكان مساعدا لوالده ارى Iri [٢٦] .

أما عن رحلته الثالثة ، فيشير النص « ... أرسلنى جلالته الآن مرة ثالثة الى بلاد يام ، فخرجت من المقاطعة الثينية الى طريق الواحات ووجدت حاكم يام قد ذهب الى أرض التمحو ليضرب التمحو فى ركن السماء الغربى فذهبت وراءه الى أرض التمحو وأرضيته حتى مدح جميع الآلهة من أجل الملك ... »[٢٧] .

ويستدل من ذلك النص على اجتياز حرخوف لطريق « درب الواحات » للوصول الى منطقة قبيلة (يام) ولكنه وجد رئيسها يحارب قبائل التمحو (الليبيين) .

هذا وقد عثر فى كرما Kerma جنوبى الشلال الثالث [٢٨] على قطع

---

(٢٥) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص١١٦ .

26) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book II, « The Old Kingdom », P. 138 and Breasted, J.H.. A.R., 1, 333.

27) Wilson, J.A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, P. 90 and Breasted, J.H.. A.R., 1, 335 f.

28) Smith, W.S., Op. Cit., P. 194.

من الاوانى الحجرية وقد نقش عليها أسماء ببيى الاول ومرنرع وببيى الثانى مما يشـــير الى توغل البعثات المصرية التجــارية حتى كرما • ويعتقد ريزنر Reisner أن المصريين أقاموا مراكز تجارية خلال عصـــر الاسرة السادسة فى كرما [٢٩] • كما اســـتمرت الرحلات المصرية الى مناطق النوبة النائية تقيم صلات الود وحسن الجوار وتعود بخيرات تلك البلاد • ولكن تلك العلاقات السياسية السلمية بين مصر والنوبة لم تســـتمر طوال عصر الاسرة السادسة اذ أن حالة مصر السياسية وما انتابها من مظاهر الضعف فى أواخر عصر هذه الاسرة بدأ ينعكس على طبيعة علاقاتها بالنوبة • فما أن بدأت الاوضاع الداخلية فى مصر فى التفكك والضعف حتى بدأت القبائل النوبية تتحول فى مشاعرها نحـــو البعثات التجارية المصرية • فبدلا من الترحيب الذى كان يقـــابل به «أونى» «وحرخوف»[٣٠] فى رحلاتهم ، فاننا نلاحظ مدى الحرج الذى قابلته رحلة حرخوف الثالثة وذلك بسبب العداء الذى لاقته تلك الرحلة من القبائل النوبية مما تطلب ارسال حقاايب Hekayeb على رأس حملة تأديبية الى تلك البلاد • ومن مظاهر سوء العلاقات المصرية النوبية كذلك ، أن حاكم أسوان فى عصر ببيى الثانى المسمى مخو[٣١] Mekhu ربما يكون قد مات أو قتل فى النوبة السفلى • كما تشير نقوش مقبرة خليفته سابنى Sabni فى أسوان الى ذهابه الى النوبة لاحضار جثـــة

---

29) Reisner, G.A., Excavations at Kerma (Harvard African Studies). Vol. V.. PP. 29—33. and Vol. VI, PP. 506—510, Cambridge Mass., 1923.

30) Breasted, J.H., A.R., 1, 333—336.

31) Tigger, B.J., Op. Cit., P. 59.

والده الذى قتل أثناء رحلة لقافلته فى النوبة (٣٢) . وتشير نقوش بيبى نخت أحد حكام الفنتين(*) المدونة على لوح فى قبره عن حملته التى كلفه بها الملك بيبى الثانى لتأديب بلاد النوبة « ... أرسلنى جـلالة مولاى لأسارع الى بـلاد واوات وايرثت ، وقد تصرفت بما أرضى مولاى ، وذبحت عددا كبيرا منهم من أبناء الرؤساء وضباط الجيش الشجعان ، وأحضرت الى العاصمة من هناك عددا كبيرا من الاسرى وكنت على رأس مجموعة من الجنود الاقوياء الشجعان ... »(٣٣).

وعندما وصلت الحالة السياسية فى مصر القديمة على النحو الذى سبقت الاشارة اليه ، انتقلت مصر الى عصر الفترة الاولى قرب نهاية الالف الثالث قبل الميلاد . وفى هذا العصر ، سادت اللامركزية كنتيجة لتفكك نظام الملكية المصرية . كما وصل التدهور السياسى الى الحـد الذى تقلصت معه ممتلكات مصر فى الجنوب بل نكاد نجزم أن مصـر قد فقدت سيطرتها على حدودها . ومع انهيار الحكومة اللامركزية فى مصر ، يمكن ملاحظة توقف التبادل التجارى المصرى النوبى ولاسيما مع بلاد يام . كما يلاحظ اختفاء السلع الافريقية التقليدية فى ذلك الوقت من السوق المصرية ولاسيما فى العاصمة منف . وعلى الرغم من هذا الكساد التجارى بين مصر والنوبة السفلى ، الا أن ذلك لم يمنع القبائل النوبية ولا سيما قبائل المدجاى من العمل فى صفوف الجيوش المصرية أثناء الحرب الاهلية التى جرت فى مصر فى تلك الآونة . وبالاضـافة الى ما سبقت الاشارة اليه ، فقد هيأت تلك الفترة لبعض الهجـرات

---

32) Smith, W.S., Op. Cit., P. 195.

(*) مقبرته تجاه اسوان والنقش مدون على واجهة باب وعلى سبعة أعمدة على كل من جانبى المقبرة .

(٣٣) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص١١٨ .

أن تستقر فى بلاد النوبة • وكان مصدرهم من المناطق الشمالية الغربية حيث كانت تقطن قبائل التمحو • وفى هذه الفترة ايضا تمكنت بعض القبائل الزنجية من التسرب الى منطقة الشلال الثالث وبدات تهـدد النوبة السفلى ، ولم تسلم من خطرها حدود مصر الجنوبية نفسها • ولقد تمكنت تلك القبائل من اتخاذ عاصمة لها جنوبى الشلال الثالث فى كرما ، وقد سميت تلك القبائل باسم الكوش • ولقد تنبه ملوك الاسرة الحادية عشرة لخطرهم وأعدوا العدة لمكافحتهم • ويشير نقش من عهد الملك نب حبت رع عثر عليه بجـوار البلاص El-Ballas الى انتصارات هدا الفرعون والصحارى المجاورة (٣٤) • ففى السطرين الخامس والسادس من النص « ••• أن الفرعون ملك واوات (النوبة السفلى) والواحة المجـاورة (كركر)(*) Kurkur أنه « هزم الاعداء فيها» وأنه ضم تلك المناطق الى مصر العليا • ويبدو أن رجال القبائل فى شرقى النوبة قد اضطروا لتقديم فروض الطاعة والولاء له (باحناء جباههم على الأرض • ويضيف النص « أن الحاكم المنتصر سـافر فى النهر حتى وصل الى الفنتين وهناك تلقى ترحيب المواطنين » ويختتم النص قائلا « ••• لقد فعلت ذلك عندما كنت ملكا (بعد أن جعلت طيبة تستعيد نفوذها على الارضين) ، وفى السطر الاخير من النص يشير مرة أخرى الى واوات والواحة ، ويدعى مرة آخرى أنه تمكن

انظـر :

34) Lutz, H.F., Egyptian Tomb Steles and Offering Stones of the Museum of Anthropology and Ethnology of the University of California (University of California Publications Egyptian Archaeology, Vol. IV) Leipzig, 1927, No. 66, pl. 34.

(*) تقع جنوب غرب واوات •

من ضمها الى مصر العليا ... »[٣٥] .

ويسجل نقش صخرى فى ابيسكو Abisko أن أحد رجال «نب حبت رع» وكان نوبيا ويدعى تحماو Tehemau ذكر أن الملك المصرى سافر جنوبا حتى وصل الى مكان يسمى بن(**) Ben ويستمر النص قائلا : ان تحماو وابنه قد رافقا الفرعون فى رحلته بحرا ليقتل بدو جاتى[٣٦] djati وسكان الصحارى المجاورة . ويشير ولسون الى أن رجال البدو حاولوا عرقلة العمل فى المحاجر مما تطلب ارسال حملة عسكرية للمحافظة على حقوق استغلال تلك المحاجر [٣٧] .

وبالرغم من رحلات ملوك تلك المرحلة الى النوبة ، فان سيطرة مصر على بلاد النوبة لم يتعدى الجندل الثانى . وربما استطاع نب حبت رع باستيلائه على «واحة كركر» أن يفتح طريق القوافل الى السودان . ومن المحتمل أن تكون مناجم الذهب فى النوبة قد استغلت تحت اشراف المصريين فى تلك الآونة .

وقد استمر منتوحوتب الخامس فى ارسال الحملات على النوبة كما فعل أسلافه السابقين . ولقد ازداد اصرار المصريين على التوسع الاقليمى والاستغلال الاقتصادى لاقليم النوبة فى عصر الاسرة الثانية عشرة . كما استطاع ملوكها أن يخضعوا المنطقة ما بين الشلال الاول والثانى اخضاعا تاما للنفوذ المصرى .

---

35) Hayes, W.C., « The Middle Kingdom in Egypt, Internal History From the Rise of the Heracleopolitans to the Death of Ammenemes III », (in) C.A.H., Vol. 1, Part 2A, Cambridge 1971, PP. 486—487.

(**) يحتمل أن تكون بوهن .

36) Hayes, W.C., Ibid., P. 487.

37) Wilson, J., Op. Cit., P. 128.

وفى الامكان الاشارة الى أن أمنمحات الاول(*) قد وصل الى الفنتين على رأس أسطول من عشرين سفينة برفقــة خنــوم حوتب Khnumhotpe وذلك لاقرار الامن والسلام فى تلك المناطق المضطربة واظهارا لبأس الفرعون أمام أهالى النوبة السفلى (٣٨) • وفى العــام التاسع والعشرين من حكمه ، أشرك ولى عهده وابنه سنوسرت الاول فى قيادة الحملة النوبية التى وصلت كورسكو (**) Korosko • وهناك نص من عامه التاسع والعشرين يسجل وصوله « لقهر واوات»(٣٩) • وقد أتم أمنمحات الاول تشييد حصن سمنة بجوار الجندل الثانى كما أقام المركز التجارى فى كرما •

وفى عهد خلفه سنوسرت الاول ، نراه يسير على سياسة أبيه فى

(*) يحتمل أن يكون امنمحات الاول من اصل نوبى كما تشير الى ذلك بردية نفــر روهو « ... سيأتى ملك من الجنــوب اسمه امينى Ameni وهو ابن سيدة نوبية الاصل ... » والبردية محفوظة تحت رقم ١١١٦ب بمتحف ليننجراد وقد قام بدراستها جولنيشف . انظــر :

Gòlenischeff, W., Les Papyrus Hiératiques nos. 1115, 1116A. et 1116B de l'Ermitage Impérial à St. Pétérsbourg (St. Pétérsburg, 1913).

وقام بترجمتها جاردنر وارمان :

Gardiner, A.H., « New Literary Works From Ancient Egypt », Pétèrsburg 1116B, Recto (in) J.E.A., 1, London 1914, PP. 100—106, and Erman, A., L.A.E., London 1927, pp. 110—115 and Wilson, J.A., « The Prophecy of Neferti », (in) A.N.E.T., P. 445.

38) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 497.

(**) منتصف المسافة بين الجندلين الاول والثانى .

39) Tigger, B.J., Op. Cit., P. 64 and Breasted. J.H., A.R. 1, §§ 472f.

التوسع تجاه حدود مصر الجنوبية • فيحتل النوبة السفلى ، ويعسكر جنوده فى القلاع والحصون من قلعة كوبان Quban حتى بوهن[٤٠] •

ولم يكتف ملوك الاسرة الثانية عشرة باخضاع النوبة السفلى فقط بل استولوا على عاصمة كوش فى كرما حيث يشير نقش على لوحة من الحجر الرملى أقامها منتوحوتب[٤١] قائد جيش سنوسرت الاول فى بوهن • واللوحه تمثل منظر الملك واقفا أمام منتو Mentu اله الحرب فى طيبة الذى يقدم الاسرى من الأراضى السودانية وعلى رأسها كوش • كما يشير نقش فى مقبرة أميتى أحد أمراء بنى حسن [٤٢] الى أنه أبحر جنوبا «وراء كوش» ووصل الى «نهايات الارض» وأن سنوسرت الاول كان بشخصه على رأس الجيش • وعلى الرغم من اتجاه ملوك الاسرة الثانية عشرة لتوطيد سلطانهم فى النوبة ، الا أنه يمكن الاشارة الى تراخى قبضة مصر على النوبة فى عهد كل من أمنمحات الثانى وسنوسرت الثانى حيث لا يوجد ما يشير الى قيام نشاط حربى فى عهديهما • ولو أن ذلك لم يمنع سنوسرت الثانى من استغلال مناجم الذهب فى بلاد النوبة ، حيث كان يتم غسل الذهب

---

40) Vercoutter, J., « Upper Egyptian Settlers in Middle Kingdom Nubia », (in) Kush, 5. 1957, PP. 61—69.

انظـــر :

Emery, W.B., « A masterpiece of Egyptian Military Architecture of 3900 Years ago : the Great Castle of Buhen in the Sudan », (in) Illustrated London News, Vol. 235, No. 6267 (12 September, 1959) PP. 232—233 and 249—251.

41) Breasted, J.H., A.R., 1,510—514.

42) Breasted, J.H., A.R., 1, 519f.

على يد الرؤساء النوبيين وتحت اشراف مصرى [٤٣] كما كان يقوم مسئول من قبل أمنمحات الثانى بانتفتيش على قلعة واوات . وبالاضافة الى ذلك ، فان سنوسرت الثانى قام بتوسيع قلعة عنيبة[٤٤] Aniba كما عثر على اسمه فى قلعة كوبان وربما أيضا فى كوما Kumma عند الجندل الثانى [٤٥] . ويشير نقش لموظف يدعى سيحتحور فى لوحة جنزية بأبيدوس من عهد الملك أمنمحات الثانى « ... لقد زرت أراضى المناجم ... وأجبرت الحكام (النوبيين) أن يغسلوا الذهب ... وأحضرت ملاخيت ووصلت الى النوبة التى تتبع الزنوج ... »[٤٦] . هذا وقد عثر على اسم سنوسرت الثانى فى قلعة كوبان ووادى العلاقى Wadi el Allaqi وربما فى الكوما .

وبعد الهدوء النسبى فى نشاط ملوك تلك المرحلة فى بلاد النوبة ، اعتلى العرش سنوسرت الثالث . فاستأنف ارسال الحملات للنوبة ليواجه التهديدات الآتية من الجنوب . فقد بدأت قبائل النحسيو Nehsiu فى التحرك شمالا وأصبحت تهدد النوبة السفلى ، مما أضطر سنوسرت الثالث الى شق قناة فى صخور الجندل الاول لتسهيل مرور سفنه الحربية والتجارية فى طريقها الى بلاد النوبة وقد عرفت هذه القناة باسم «طريق خع كاورع الجميل[٤٧] Good are the ways of

---

43) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 503.

44) Hayes, W.C., Ibid., P. 503.

45) Porter, B., and Moss. R.L.B., Nubia, the Deserts, and Outside Egypt (in) Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings, 7, Oxford, 1951, P. 82.

(٤٦) وولتر امرى ، المرجع السابق ، ص١٦١ .

47) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 506.

khakaure • وفى العام الثامن من حكمه ، أعاد تطهير تلك القناة (٤٨) استعدادا لحملته الاولى على النوبة «ليهزم كوش التعسة» •

ويشير نص على لوحة الحدود التى أقامها سنوسرت الثالث عند سمنة فى العام نفسه الى الاجراءات الشديدة لمنع مرور النحسيو شمالا « ••• الحد الجنوبى الذى أقيم فى العام الثامن ••• لمنع أى نحسى من المرور شمالا أو برا بقارب (وكذا) أى قطعان للنحسيو بخلاف ما اذا كان أى نحسى يأتى للتجارة فى اكن Iqen ••• »(٤٩) •

وقد تبعها بثلاث حملات(*) تأديبية ضد قبائل كوش وسكان الصحارى المجاورة • ولما كان من الواضح أن الغزو من ناحية الجنوب كان مصدر قلق دائم للملوك تلك المرحلة ، فاننا نرى أن سنوسرت الثالث يبحر جنوبى الجندل الثانى فى حملته فى العام التاسع عشر من حكمه، وينقل القتال الى أراضى السودان (٥٠) حيث تقدم الى مسافة سبعة وثلاثين ميلا جنوبى وادى حلفا ، وقام بتقوية سلسلة من الحصون الدفاعية (٥١) على طول هذه المنطقة من سمنة وحتى بوهن ، وذلك لتكون نقاط مراقبة لحماية الجنوب • وقد صممت لتكون مواقع دفاعية كما يتضح من أسمائها (التى تطرد القبائل) والتى (تكبح الصحراوات)• وكانت أشدها مناعة وأضخمها القلعة التى شيدها فى سمنة والتى أطلق

---

48) Breasted, J.H., A.R., 1, 642.

49 Wilson, J.A.. The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, PP. 136—137.

(*) فى العام العاشر والسادس عشر والتاسع عشر من حكمه .

50) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 507.

51) Gardiner, A., Ancient Egyptian Onomastica, Vol. 1, Oxford University Press 1947, pp. 9ff.

عليها «خع كاورع القوى»(٥٢) .

وتشير لوحة النصر النهائى التى أقامها سنوسرت الثالث فى سمنة وفى جزيرة أورونارتى « ... السنة السادسة عشرة ، الشهر الثالث من الفصل الثانى : أقام جلالته الحدود الجنوبية فى سمنة . لقد أقمت حدودى أبعد من آبائى ... »(٥٣) . وقد عزز تلك الحدود بالجنـــود المصرية وبجنود قبائل المد جاى (٥٤) .

وفى العام التاسع عشر من حكمه ، نراه يظهر قوته للنوبيين مرة أخرى فيذهب على رأس حملة الى كوش(٥٥) . وربما كانت هذه آخر حملاته الى النوبة وعلى ذلك يكون سنوسرت الثالث قد نجح فى توطيد أركان حكمه فى النوبة ، الى الدرجة التى اعتبروه الها على النـــوبة وعبدوه فى عهد الاسرة الثامنة عشرة .

ويبدو أن حدود مصر الجنوبية فى النوبة بقيت حتى حدود سمنة فى عهد خلفائه أمنمحات الثالث وأمنمحات الرابع والملكة سوبك نفرو حيث لم يرد أى ذكر لنشاط عسكرى طيلة مدة حكمهم . وفى الامكان ملاحظة استمرار النفوذ المصرى فى النوبة معظم فترات عصر الاسرة الثالثة عشرة بدليل تسجيل فيضان النيل عند الجندل الثانى فى السنوات الاربع الاولى لحكم الملك سخم رع خوتاوى امنمحات سوبك حوتب Sekhemre Khutowy Ammenemes Sobkhotpe أول فراعنـــة هـــذه

---

(٥٢) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص‌ص ١٥٥ — ١٥٦ .

53) Wilson, J.A., Op. Cit.. P. 137.

54) Wilson, J.A., Ibid., P. 138.

55) Breasted, J.H., A History of Egypt. from the Earliest times to the Persian Conquest, Book III, « The Middle Kingdom : The Feudal Age » London 1906, P. 186, and Breasted, J.H.. A.R., 1, 661.

الاسرة(٥٦) . ولما أصبحت مصر تحت حكم الهكسوس ، لم يبق لمصر قوة فى النوبة . وانتهزت بعض القبائل المغيرة الفرصة وتسربت الى النوبة السفلى وثبت أنها أتت من الصحراء الشرقية ، وكانت تجمع بين الجنس الحامى والجنس الزنجى . ولقد وصلت فى خطرها الى تهـديد الحدود الجنوبية لمصر نفسها . واستطاعت تلك القبائل أن تكون دولة مستقلة اتخذت عاصمتها فى بوهن(٥٧) .

ولم يكتف النوبيون بذلك بل عقدوا حلفا مع ملوك الهكسوس . ويشير الى ذلك وجود بعض جعارين تحمل طابع الهكسوس فى مقابر النوبة السفلى(٥٨) . كما يعزز هذا التقارب رسالة(٥٩) الملك أبو فيس ملك الهكسوس الى أمير كوش(*) ، الذى بدا رسالته بلفظه «ولدى» ، وعاتبه على عدم اخباره بتعيينه أميرا على كوش كما أبلغه عن حرب

---

56) Hayes, W.C., « Egypt : From the Death of Ammenemes III to Seqenenre II », (in) C.A.H., Vol. 11, Part 1, Cambridge, 1973, p. 45.

57) Hayes, W.C., Ibid., P. 65.

58) James, T.G.H., « Egypt : From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I », (in) C.A.H., Vol. 11, Part I, Cambridge, 1973, p. 297.

59) Tigger B., Op., Cit., p. 103.

(*) كان يطلق على حاكم النوبة لفظة «أمير كوش» وكان يسيطر على المنطقة الممتدة من الفنتين وحتى كرما .
James, T.G.H., Op. Cit., P. 296.

ويبـدو أن امارة كوش كانت قد استقلت منـذ أواخر عصر الانتقال الثانى فى الوقت الذى فقدت فيه مصر وحدتها ، مما اضطر جيوش الفرعون الى الانسحاب من الجنوب .
Tigger, B., Op. Cit., P. 296.

التحرير التى كان قد بدأها كامس وحاول أن يؤلبه على مصر ويحرضه على مهاجمتها .

وعندما بدأت حروب التحرير ضد الهكسوس ، وضـــع أبطـــال التحرير نصب أعينهم استعادة النفوذ المصرى فى النوبة . وتشتمل لوحة كارنارفون(٦٠) على حديث للملك كامس الى مجلس كبار رجال الدولة الذين كانوا فى حاشيته « ... أريد أن أعرف قوتى عندما أرى حاكما فى «أواريس» وآخر فى أثيوبيا ، وأنا أجلس فى الحكم مشتركا مع رجل أسيوى وآخر من النوبة وكل رجل منهما مسئول عن قطاعه من مصر هذه وذلك الذى يقاسمنى الارض لا أجعله يمر فى ماء مصر حتى منف ... »(٦١) .

ويبدو من سجل انتصارات كامس أن مناطق النوبة كانت تحت السيطرة المصرية بدليل وجود نقوش صخرية تحمل اسم كامس بجوار توشكا(٦٢) Toshka .

وفى عهد أحمس الاول ، بدأت الحـــروب الجنوبيـــة لاسترجاع النوبة . وتشـــير نقوش أحمس بن ابانا(*) Ahmose-Son of Ibana

---

(٦٠) عثر على اللوحة غربى طيبة وترجمها جن وجاردنر وارمان .
Gunn, B., and Gardiner, A.H., New Renderings of Egyptian Texts, « The Expulsion of the Hyksos », (in) J.E.A., Vol. V., London 1918, pp. 45—47 and Erman, A., L.A.E., pp. 52—54.

61) Wilson, J., « The War Against the Hyksos » , (in) A.N.E.T., P. 232.

62) James, T.G.H., Op. Cit., p. 297.

(*) قام بترجمة النص كل من برستد وجن وجاردنر .
Breasted, J.H., A.R., 11, 1—13, 81—82, and Gunn, B.; Gardiner, A.H., Op. Cit., pp. 48—54.

على جدران مقبرته فى الكاب « .. والآن عندما ذبح جلالته الاسيويين، صعد جنوبا الى خنت حن نفر Khenti-hen-nefer ليقضى على بدو بلاد النوبة .. » وبدأ جلالته مذبحة عظيمة فيهم وبعد ذلك أحضرت من هناك غنيمة ... وقد كوفئت بالذهب من جديد ... »(٦٣) .

ويبدو أن ثورة كوش كان يقودها أميرها تتيان Tetian . هذا وقد عثر على تمثال يحمل اسم أحمس وكذلك على كتلة حجرية تحمل اسم زوجته أحمس نفرتارى فى جزيرة ساى(**) Sai . والمعــروف أن أحمس أقام حاكما على بوهن أسمه تورى Tjuroy وهو الذى أصبح فيما بعد حاكما على النوبة(٦٤) وكان أحيانا يلقب «الابن الملكى وحاكم البلاد الجنوبية» . وبذلك يكون أحمس قد استطاع أن يستعيد النفوذ المصرى فى النوبة ، وأن يشيد معبدا فى بوهن ، وأن يجدد القــلاع والحصون التى كان قد بناها اسلافه من الدولة الوسطى (٦٥) .

ومن عهد امنحوتب الاول ، يشير أحمس بن ابانا الى حملة هذا الفرعون على النوبة بهدف «توسيع حدود مصر»(٦٦) وأورد وصفا لتلك الحملة التى قادها الفرعون ضد القبائل القاطنة الى الشرق أو الغرب من وادى النيل والتى كانت تعتدى على السكان الآمنين فى النوبة . ويستدل من ذلك النص أن الملك أمنحوتب الاول قد غزا النوبة وقد

---

63) Wilson, J., « The Expulsion of the Hyksos », (in) A.N.E.T.. p. 234.

(**) تبعد ما يزيد عن مائة ميل جنوبى بوهن .

64) James, T.G.H., Op. Cit., p. 299.

65) Hayes, W.C., « Egypt : Internal Affairs from Tuthmosis I to the Death of Amenophis III », (in) C.A.H., Vol. 11. part 1, Cambridge, 1973, p. 346.

66) James, T.G.H., Op. Cit., p. 309.

وصل فى حملته الى الحدود التى وصل اليها ملوك الدولة الوسطى عند الجندل الثانى • ويعزز ذلك الاتجاه نقوش الوالى تورى التى تعـود الى العامين السابع والثامن من حكم امنحوتب الاول فى كل من سمنة وأورونارتى عند خط الحدود الجنوبية القديمة التى كان قد أقامهـا فراعنة الاسرة الثانية عشرة [٦٧] • كما أنه عثر على اسـمى أحمس وأمنحوتب الاول على بعض الآثار من القلعة والمعبد اللذان أقامهمـا أحمس فى جزيرة ساى [٦٨] • وفى بداية عهد تحوتمس الاول ، يبعث مرسوم الى تورى حاكم النوبة ينبؤه بأمر ولايته للعرش • وتوجد نسختين من هذا المرسوم عثر عليهما فى وادى حلفا وفى كوبان[٦٩] •

ويشير أحمس بن ابانا الى جهوده الحربية فى النوبة « ••• ان فرعون مصر حارب قائد النوبيين مسدد أول سهامه نحو هذا القائد فأصابه وألقاه على الارض صريعا ، بعد ذلك هزم الجيش النـوبى تماما وأسر كثيرين منهم ••• »[٧٠] • وقد تم فى عهد تحوتمس الاول بسط النفوذ المصرى فى كوش وجزيرة أرجو [*] Argo وأخيرا الجندل الرابع[٧١] عند كورجس Kurgus حيث تشير لوحة الحدود التى أقامها

---

67) Breasted, J.H., A History of Egypt from the Earliest times to the Persian Conquest, London. 1906, pp. 145—146.

68) Vercoutter, J. « New Egyptian Texts from the Sudan », (in) kush, 4, 1956, pp. 75—79.

69) Hayes. W.C., Op. Cit. P. 315.

70) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book V, « The Empire ; First Period », London 1906, P. 256, and Breasted, J.H., A.R. 11, 80.

(*) فوق الجندل الثالث .

71) Arkell, A., Op. Cit., PP. 36—39.

فى هذا الموقع الى المدى الذى وصل اليه فى الجنوب[٧٢] . وعين الملك حاكما عاما على النوبة بعد أن تعذر على حاكم الكاب أن يشرف على هذا الاقليم بعد أن امتد حتى الشلال الرابع . وقد أطلق على حاكم النوبة لقب « حاكم البلاد الاجنبية وابن الملك المعين على كوش » .

ومن النصوص التى تشير الى امتداد سلطة حاكم النوبة حتى الشلال الرابع « هذا ختم فرعون الذى ولاك حاكما (على القطر) الذى بين مدينتى نخن ونبته ... »[٧٣] .

أما تحوتمس الثانى ، فقد أحرز فى عامه الاول ثورة « فى شمال كوش الحقيرة»[٧٤] ويبدو أن تلك الثورة اندلعت فى الوقت الذى بلغت النوبة فيه أخبار نزاع أفراد الاسرة المالكة مما اضطر الفـــرعون الى تجهيز جيش وصل الى اقليم الجندل الثالث . ولم يكتف هذا الجيش بهزيمة النوبيين ، بل قام بذبح العصاه الذكور ماعدا أحد أبناء حاكم كوش الذى أسر حيا وأخذ أسيرا الى طيبة[٧٥] .

وفى عهد خلفه تحوتمس الثالث ، تشير لوحة جبل برقل Gabel Barkal أنه أتم قبل العام السابع والاربعين من حكمه احتلال منطقة كاروى(*) Karoy وأقام هناك مدينة نبتة الدفاعية . والواقع أن الملوك

---

72) Tigger, B.J., Op. Cit., P. 108.

73) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book V, « The Empire : First Period », London, 1906, P. 255 and Breasted, J.H., A.R., 11, 1022.

74) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 347.

75) Tigger, B.J., Op. Cit., P. 109.

(*) بجوار الجندل الرابع .

الفراعنة لم يصلوا فى حملاتهم على النوبة الى أبعد من هذه المنطقة . حتى حملة تحوتمس الثالث فى عامه الخمسين لم تتعدى أن تكـــون حملة استعراضية لقوته العسكرية فى الجنوب ، لارهاب رجال القبائل فى الصحراء المجاورة . ولم تكن موجهة ضد السكان الاصليين الذين كان قد تم تمصيرهم(٧٦) . وفى هذه الحملة ، مر فى الجندل الاول وأعاد تطهير القناة التى كان قد أقامها سنوسرت الثالث وتحوتمس الاول(٧٧). وعلى جدران الكرنك ، توجد قائمة مزدوجة لمائة وخمسة عشر موقعـــة نوبية انتصرت فيها الجيوش المصرية على النوبيـــين (٧٨) . وتشـــير لوحة(*) النصر التى أقامها تحوتمس الثالث فى معبـــد الكـــرنك الى انتصاراته «... وقد جمعت زنوج النوبة بعشرات الآلاف ...» (٧٩).

ولقد دفع استقرار النفوذ المصرى فى تلك المناطق الى أن يقـــوم امنحوتب الثانى يشنق أمير أسيوى على جدار سور نبته اظهارا لقوة انتصاره . كما تشير الى ذلك نقوش لوحة فى معبد عمـــدا Amada وأخرى فى معبد الفنتين(٨٠)** ويشير نص لوحة عمدا « ... وشنق

---

76) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 347.

(٧٧) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص٢٢١ .

78) Breasted, J.H., A History of the Ancient Egyptians, The Historical Series for Bible Students, Vol. V, P. 241.

(*) موجودة حاليا فى متحف القاهرة تحت رقم ٣٤٠١٠ .

79) Wilson, J.A., « The Hymn of Victory of Thut-mose III », (in) A.N.E.T., P. 374.

80) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 347.

(**) هذه اللوحة مقسمة بين القـــاهرة (فى) متحف القـــاهرة تحت رقم ٣٤٠١٩) وفيينا تحت رقم ١٤١ .
وقد ترجم اللوحة برستد .

Breasted, J.H., A.R., 11, 791—797.

ستة رجال من الاعداء على أسوار طيبة ... أما السابع فقد أرسله بسفينته الى النوبة وعلق على جدار أسوار نبته ليكون عبرة تريهم قوة انتصارات جلالته الى الابد فى كل الاراضى وبلاد الزنوج..»[٨١].

ويذكر برستد[٨٢] أن حروب أمنحوتب الثانى فى النوبة قد امتدت حتى منطقة كاروى وأن تلك المنطقة أصبحت الحد الجنوبى للاقليم الذى يشرف عليه «حاكم الممالك الجنوبية» . وقد ترك أمنحوتب الثانى آثارا تدل على اظهار حدود مملكته ، كما ترك نقشا على قوسه الحربى يصف فيه نفسه ، « ... قاتل الاعداء قاهر كوش وناهب بلادهم ... سور مصر العظيم الحامى جنوده ... »[٨٣] . مما يوضح اهتمامه بتوسيع مملكته جنوبا حتى الجندل الرابع فى نبته [٨٤] .

وقد قام تحوتمس الرابع فى عامه الثامن بسحق بعض القبائل المتمردة فى الوديان شرق واوات . ومنذ عهده تغير لقب حاكم النوبة الى «ابن الملك فى كوش» و «حامل المروحة الملكية الى يمين الملك»[٨٥]. وكان له نائبان : أحدهما يتولى شئون واوات والآخر شئون كوش[٨٦]. وتشير النصوص المدونة على بقايا لوح يخص الملك امنحوتب الثالث فى معبده فى عمدا الى ثورة فى واوات[٨٧] . كما تشير سبعة نصوص

81). Wilson, J.A., « The Amada and Elephantine stelae », (in) A.N.E.T., p. 248.

82) Breasted, J.H., A History of Egypt, from the Earliest times to the Persian Conquest, Book V, « The Empire : Fist Period », London, 1906, P. 325.

83) Breasted, J.H., Ibid., P. 326.

84) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 320.

85) Hayes, W.C., Ibid., P. 348.

86) Hayes, W.C., Ibid., P. 349.

87) Faulkner, R.O., « Egypt : from the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III », (in) C.A.H., Vol. 11, Part 2A, Cambridge, 1975, P. 235.

حفظت فى طيبة وأسوان وسمنه الى حملة امنحوتب الثـالث فى عامه الخامس ضـد النوبة حيث نقرأ وصـفا للملك بأنه «الاسد المخيف» «الحاكم القوى» «النار» • وربما لم يصل الى أكثر من الجندل الرابع وهى المنطقة التى وصل اليها كل من تحوتمس الثالث وأمنحوتب الثانى حيث تشير لوحة كونوسو Konosso ••• لم يصل أى من ملوك مصر مثلما وصل اليه جلالته ••• »[88] •

كما تشير نصوص لوحة أمنحوتب الثالث التى أقامها فى معبـده فى طيبـة الى اخضـاعه لأمراء كوش حيث يخـاطبه الاله أمون رع « ••• جعلت أمراء أثيوبيا البائسة يخضعون لك حاملين الجزية على ظهورهم ••• »[89] •

أما فيما يتعلق بأمنحوتب الرابع ، فقـد عين واليا على كوش ، ولكن لم يرد ذكر لهذا المسئول فى المرحلة التى غير فيها امنحوتب اسمه الى اخناتون • وكان من الطبيعى أن تنعكس حالة التوتر التى عاشتها مصر أثناء ثورة اخناتون الدينية على الحالة فى النوبة اذ لم يعد من السهل استغلال مناجم الذهب فى تلك المرحلة • ولعل هذا يفسر الحاح الامراء الاسيويين فى رسائلهم فى طلب الذهب من مصر [90] •

لم تضعف الاحداث التى مرت بها مصر فى أواخر عصر الاسرة الثامنة عشرة من قبضة المصريين على النوبة حيث تشير وثيقتان عثر عليهما فى وادى حلفا من عهد رمسيس الاول وسيتى الاول الى تأسيس

---

88) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 340.

89) Wilson, J.A. « From Amen Hotep III's Building Inscription », (in) A.N.E.T. P. 376.

90) Wilson, J.A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, P. 231.

معبد مصرى فى بوهن [٩١] • كما عثر على لوحة فى معبد رمسيس الثانى فى قلعة كوبان تشير الى استخراجه للذهب من وادى العلاقى •

أما سيتى فقد أسس بهوا للاعمدة فى معبد أمون فى نبته [٩٢] • وعلى الرغم من ظهور نقوش للمعارك الحربية فى معابد رمسيس الثانى فى أبى سنبل وبيت الوالى Beit-el Wali والدر [٩٣] Ed-Derr الا أنه يبدو أن مثل هذه المناظر لم تكن سوى تقليدا استعير من النقــوش السابقة [٩٤] • أضف الى ذلك أن تلك النقوش لم تشر الى مكــان أو زمان تلك الحروب فى النوبة التى كانت قد تحولت فى الحقيقة الى اقليم مصرى ، كما أصبح سكانهــا متمصرين [٩٥] وبالاخص ســكان المنطقة بين الجندلين الاول والثانى ، حيث استبدل الحكام النوبيــين بمصريين ، كما شكلت محاكم مصرية تحت اشراف الحــاكم المصرى بالنوبة وشيد بكل مدينة معبد مصرى عبدت به الآلهة المصرية[٩٦] •

وتشير لوحة عثر عليها فى كوبان الى اهتمــام رمسيس الثــانى باستغلال منــاجم الذهب وخاصة فى ايكيتا[٩٧] • ولقد بقيت واوات وكوش تحت السيطرة المصرية واستمرت الادارة فى النوبة تسير بنفس الطريقة التى كانت متبعة فى العصور السابقة وحتى نهاية حكم الاسرة

---

91) Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 224.

92) Faulkner, R.O., Ibid., P. 224.

93) Faulkner, R.O., Ibid., P. 230.

(٩٤) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص٣١١ •

95) Drower, M.S., « Syria C. 1500—1400 B.C. » (in) C.A.H., Vol. 11, Part 1. Cambridge 1973, P. 468.

96) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book VII, « The Decadence », London 1906. P. 537.

97) Breasted, J.H., A.R., III, 282 ff.

العشرين على امتداد المنطقة من الفنتين وحتى نبته (٩٨) .

ومما يؤكد استمرار السيطرة المصرية طوال عصر الرعامسة ، اننا نلتقى مع اسم رمسيس الرابع منقوشا فى بوهن وجرف حسين Gerf Husein ، ورمسيس الخامس فى بوهن ورمسيس السادس فى عنيبة وعمارة Amara وكوة Kawa ورمسيس التاسع فى عمارة ، ورمسيس العاشر فى كوبان وعنيبة ، ورمسيس الحادى عشر فى بوهن(٩٩) .

وفى أواخر عهد رمسيس الحادى عشر دخلت مصر مرحلة جديدة أساسها محاولة النهضة بالبلاد وتطهير كافة مرافقها من الحالة التى وصلت اليها . وقد أشار شرنى (١٠٠) Cerny الى ما حدث فى العام التاسع عشر من حكم هذا الفرعون ، وأرجع الى كهنة أمون محاوله ما أسماه حرفيا «بتجديد الولادة» . فنرى العام التاسع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر يوافق العام الاول من عصر النهضة الذى لم يستمر أكثر من تسع سنوات وانتهت بانتهائه الاسرة العشرون التى فقدت فى نهاية حكمها أملاكها فى آسيا ، بينما احتفظت بنفوذها فى بلاد النوبة . حيث تمكن كبار كهنة أمون من حسن اختيار حكام النوبة أمثال بنحاس Pinehas . وحريحور Hrihor الذى أسس الاسرة الحادية والعشرين بعد أن تمكن من جمع مختلف السلطات فى يديه سواء الدينية أو الادارية أو الحربية ، ثم انتحل فيما بعد الالقاب الملكية . ومما تجدر الاشارة اليه أن رئيس كهنة أمون أصبح حاكما على النوبة

---

98) Cerny, J., « Egypt : From the Death of Ramesses III to the End of the Twenty-First Dynasty », (in) C.A.H., Vol. 11, Part 2B, Cambridge, 1975, P. 632.

99) Cerny, J., Ibid., P. 632.

100) Cerny, J., «A Note on Repeating of Births », (in) J.E.A. Vol., XV, London, 1929, PP. 194 ff.

منـــذ أواخر عصر الاسرة العشرين وأثنـــاء عصر الاسرة الحـــادية والعشرين .

هكذا تمكن حكام طيبة من بسط سيطرتهم على النـــوبة الى أن ظهرت فى النوبة مملكة اتخذت عاصمتها فى نبته ، فأدى ظهورها الى قلب الاوضاع على المسرح السياسى فى تلك المنطقة وكان أمون هو معبود هذه المملكة الرسمى ، وحمل ملوكها نفس الالقاب الفرعونية ، كما شيدوا معابدهم على الطراز المصرى .

وأول ما عرفناه من الاسماء فى هذه الاسرة آلارا **Alara** الذى حكم معظم أراضى النوبة العليا ، وربما امتد نفوذه الى منطقة شندى Shendi عند الجندل الخامس . وتبعه كاشتا Kashta الذى تلقب بملك مصر العليـــا والسفلى . ولكـــن لا يوجد من الآثار ما يدل على نشاطه فى مصر سوى لوحة أقامها فى معبد خنوم فى أسوان [١٠١] . ثم تبعه ابنه بعنخى Piankh الذى أستطاع تحقيق الحـــلم وتمكن من دخول مصر منتصرا حينما نجح فى أنزال الهزيمة بأعوان تف نخت فى الاشـــمونين ، ثم واصـــل زحفـــه الى منف وأعقب ذلك بزيارته الى هليوبوليس ، وتمكن بذلك من الوصول الى عرش مصر وتأسيس الاسرة الخامسة والعشرين .

وبعد أن أرسى دعائم حكم الاسرة النوبية فى مصر طيلة ستين عاما ، عاد بعنخى بعد أن حمل سفنه بالغنائم الى نبته[١٠٢] حيث سجل انتصاراته على لوحة جرانيتية فى معبد أمون وأظهر نفسه فيه كابن

---

101) Tigger, B.J., Op. Cit., PP. 144—145.

102) Wilson, J.A., Op. Cit., P. 293, and Breasted, J.H., A.R., IV, 816 ff.

أمون وأنه هزم أعدائه الشماليين(١٠٣) . وقد خلف بعنخى على عرش نبته شاباكا Shabaka الذى قضى على جيوش بكوريس فى مصر ، واتخذ من منف عاصمة له . ثم خلفه نوبى آخر هو شبتاكا Shebitaka الذى ظل على العرش حتى ولاية طهرقا .

ويشير نص فى ملـــوك الثانى ١٩ : ٨ ـــ ٢٥ الى أن طهرقا قد خرج لمحاربة الاشوريين(١٠٤) . واستطاع فى بداية الامر أن يتغلب على الملك الاشورى أسرحدون ويصده عن مصر . ولكن اسرحدون كرر محاولته فى مهاجمة مصر عن طريق سيناء ومنها الى منف التى حاصرها واستولى عليها بمن فيها من عائلة طهرقا .

وتشير الالواح(١٠٥) المنقوشة بالمسمارية الى فتح أسرحدون لمدينة منف فى عهد طهرقا « ... من مدينة ايشوبرى ishhupri حتى منف مقره الملكى مسيرة خمسة عشر يوما ، حاربت يوميا دون انقطاع فى معارك دموية ضد طهرقا ... ملك مصر وأثيوبيـــا الملعون من كافة الالهة العظام . وقد ضربته خمس مرات بسنان ســـهامى وسببت له جراحا لا تلتئم ، ثم حاصرت «منف» مقره الملكى ودمرتهـــا وخربت أسوارها وأحرقتها ... » . ويستمر النص فى وصـــف تلك الحملة « ... نفيت كل الاثيوبيين من مصر ، لم أترك واحدا منهم يقدم لى فروض الطاعة وعينت فى مصر فى كل مكان ملوكا جدد وحكاما وضباطا ورؤساء موانى وموظفين رسميين ... » .

---

103) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book VII, « The Decadence », London 1906, P. 545, and Breasted, J.H., A.R., IV, 796—883.

(١٠٤) آلن جاردنر ، المرجع السابق ، ص٣٧٦ .

105) Leo, Oppenheim, A., « Texts from Hammurabi to the Downfall of the Assyrian Empire », (in) A.N.E.T., P. 293.

ولكن طهرقا عاد بعد سنوات وتغلب على الحامية الاشورية مما دفع اسرحدون لتكرار محاولته للهجوم على مصر مرة أخرى • ولكنه توفى وخلفه أشـــور بانيبـــال الذى تمكن من الاستيلاء على منف مما اضطر طهرقا الى الهروب الى طيبة • ولكن العدو الاشورى استطاع ان يستولى على طيبه مما دفع طهرقا الى الانسحاب جنوبا الى نبته •

وقد خلف طهــرقا تانوت أمانى Taenwat Amani (ابن شبتاكا) فى حكم نبته • فحاول أن يطرد الاشوريين من طيبة ثم من منف الى أن عاد أشور بانيبال من نينوى وتمكن من هزيمة تانوت آمانى • فيفر الأخير الى طيبة التى استولى عليهـــا الاشوريين • ويصف أشـــور بانيبال[١٠٦] أنه « ••• غزا طيبة غزوا شاملا وأنه حمل معه الى نينوى جزية ضخمة ••• » • ومع ذلك فانه يبـــدو أن هذه كانت آخر مرة يظهر فيها فى مصر عام ٦٦٣ق•م• ولو أنه عثر على نص من عهـــد تانوت أمانى «لوحة الحلم»[١٠٧] • ويشير هذا النص الى رؤيا شاهد الملك فيها تعبانين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره • وقد فسر الحلم «مصر العليا تتبع لك ، فخذ لنفسك مصر السفلى آلهتا الصل والعقاب ظهرتا على رأسك ، منحت لك الارض طولا وعرضا وسوف لا ينازعك أحد فيها »[١٠٨] ثم عاد تانوت أمانى الى نبته • وبخروجه من مصر، انتهى عصر الحكم النوبى نهائيا من البلاد •

ويتضح من دراسة موضوع العلاقات المصرية النوبية من الناحية السياسية أثناء العصر التاريخى أن المصريين القدماء اعتبروا الجندل

---

106) Leo Oppenheim, A., Ibid., P. 295.

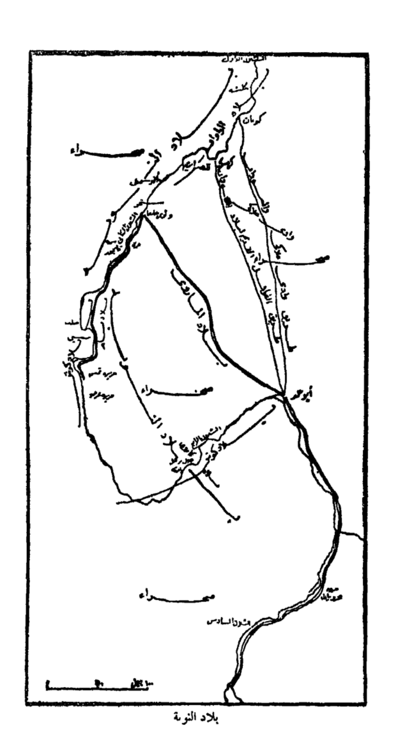
107) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book VII, « The Decadence », London 1906, P. 558.

108) Breasted, J.H., A.R., IV, 922.

الثانى بمثابة الحدود الجنوبية الطبيعية لمصر القديمة ، كما أنهم اعتبروا بلاد النوبة السفلى فيما بين الجندل الاول والثانى بمثابة منطقة نفوذ لهم منذ أقدم العصور • ومن أجل ذلك ، فانهم دأبوا على استغلال مناجمها وتجنيد ابنائها وارسال البعثات الاستكشافية اليها بين الحين والآخر • ولقد كان هناك عاملان مهمان أحدهما اقتصادى والآخر سياسى ، دفعا بمصر الفرعونية الى الاهتمام بتلك المناطق الى البحث عن المواد الخام والمعادن وخاصة الذهب فى بلاد النوبة • ومما يزيد أهمية النوبة عند المصريين ، أنها كانت الطريق الوحيد لأقاليم السودان الجنوبية الغنية التى كانت تصدر لمصر الذهب وريش النعام وخشب الابنوس وجلود النمر وسن الفيل • ومن أجل ذلك اتجه فراعنة مصر منذ عصر الاسرات المبكر الى السيطرة على طرق القوافل التجارية والقضاء على العناصر المغيرة التى كانت تتصدى لتلك القوافل •

أما من ناحية العوامل السياسية للاهتمام ببلاد النوبة ، فيتضح من تصدى الحكام المصريين لكل من كانت تسول له نفسه للوقوف فى وجه النفوذ المصرى آنذاك • ولم يكن دلك فى الواقع لمجرد استعراض القوة المصرية العسكرية بل كان هدفه الخوف الدائم على حدود مصر الجنوبية ولاسيما أن المصريين كانوا يستشعرون الخطر من ناحية بعض القبائل النوبية • ولقد صح ما توقعته الدوائر الحاكمة فى مصر من ناحية تلك القبائل • فقد انتهزت الفرصة التى سنحت لها أثناء عصر الانتقال الاول فى مصر وتمكنت من أن تكون لنفسها نقط ارتكاز هددت منها بلاد النوبة السفلى وحدود مصر الجنوبية بعد أن استقلت وكونت دولة كوش • لذلك كان لزاما على ملوك الدولة الوسطى أن يدعموا النفوذ المصرى السياسى فى النوبة مما استدعى استيلائهم على كرماء ولم يكتف المصريون بذلك ، بل أنهم نجحوا فى تمصير النوبة السفلى والعليا عندما بدأ أحمس الاول تأسيس الامبراطورية المصرية ، وعينوا

نائبا عن الملك يتولى شــئون تلك المنــاطق • واستمرت بلاد النــوبة باقليميها تابعة لمصر ، الى أن ظهرت أسرة نوبية جديدة انتهزت فرصة التفكك الداخلى فى مصر، وتمكنت من السيطرة على بلاد النوبة أولا ثم نجح أحد حكامها بعنخى من دخول مصر وتنصيب نفسه ملكا عليهــا مؤسسا بذلك الاسرة الخامسة والعشرين المصرية • ولكــن الحــرب الاشورية على مصر أدت الى خروج تلك الاسرة فى نهاية المطاف من مصر عندما هزم تانوت أمانى ورجع الى نبته عاصمته الجنوبية •



بلاد النوبة



الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية عند قدماء المصريين

دور المرأة كعضو هـــام فى المجتمع المصرى القـــديم

لقد أحاط المرأة المصرية القديمة جو من الغموض والابهام يرجع الى عوامل متعددة • وفى مقدمة تلك العوامل اهمال التاريخ بصـــفة عامة لدور المرأة وأثرها فى حياة الشعوب ، على اعتبار أن الرجل وحده هو الذى يخلق الحضارة ويسطر التـــاريخ ، وأن المرأة كانت خاضعة له ، معتمـــدة عليه ، وتمثل الجنس الثـــانى الذى كتب عليه أن يبقى مغلفا بالغموض والظلام • وحقيقة الامر أننا نلمس أن للنساء أثرهن الهام فى الحضـــارة المصرية القديمة وذلك على أســـاس أنه لا يمكن لشعب أن ينهض اذا أهملت المرأة فيه ، اذ يؤدى ذلك بالضرورة الى تعطيل نصـــف ذلك الشعب • أضف الى ذلك أن مركز المرأة ومدى نهضتها هو المقياس لمدى رقى الحضارة وتقدمهـــا • وأن من واجب التاريخ اذا أراد أن يعطى صورة صادقة لحياة شعب من الشعوب ، أن يهتم بدراسة حياة المرأة فيه وأثرها فى مجـــريات الامور • ومن العوامل التى أضافت الى ذلك الغموض ، هو أن الاهتمام المحـــدود الذى وجه على دراسة النساء فى مصر القديمة قد تنـــاول فى أغلب الاحيان بعض الشهيرات من الملكات والاميرات اللاتى خلفـــن آثارا خلدت أسماءهن على مر السنين ، فى حين أن غالبية النساء قد أهمـــل التاريخ دراسة دورهن فى الحياة ، وأثرهن فى تقدم البلاد • وبالاضافة

الى ما سبقت الاشارة اليه ، فانه يلاحظ عدم التزام المؤرخين الاغريق القدماء الدقة فيما سطروه عن مصر مما نتج عنه تشويه الكثير من الحقائق عن المرأة واحاطتها بجو من الغموض . فقد ذكر هيرودوت[1] مثلا مقارنا نساء مصر برجالها ، موضحا أوجه الاختلاف والتمييز بينهما بقوله :

« تذهب النساء فى مصر الى الاسواق ويزاولن التجارة ، فى حين يلزم الرجال بيوتهم ويقومون بشئونها وينسجون » .

« لا تتقلد المرأة فى مصر الوظائف الدينية ، أما الرجال فمنهم الكهنة للمعبودات جميعا » .

« يحمل الرجال الاثقال على رؤوسهم ، أما النساء فيحملنها على أكتافهن » .

« للرجل الواحد ثوبان ، وللمرأة ثوب واحد » .

فهذا مثل للفكرة الخاطئة التى كونها أحد المؤرخين القدماء عن نساء مصر ورجالها نتج عنه عدم فهمه للحقائق وميله للمبالغة . وأن نظرة واحدة لما تركه المصريون من رسوم ليظهر لنا ما فى قوله من تجنى على الحقيقة ، وعدم مطابقة للواقع .

ومهما كان جو الغموض الذى أحاط بالمرأة المصرية القديمة ، فانه فى الامكان القاء بعض الضوء التاريخى على مركز المرأة المصرية لعله يكون ردا على أولئك الذين بهرتهم الحضارة الغربية ، واعتقدوا أنها

---

1) Herodotus. Histories, Book II, P. 35. Quoted by Lesko, B.S., in « The Remarkable Women of Ancient Egypt », U.S.A., 1977.

وحدها التى سمت بتقديرها للمرأة الى درجة العبادة ، ونســوا أو تناسوا أن المرأة المصرية فى العصور القديمة قد أخذت كل ما يمكــن لامرأة أن تأخذه من حقوق أمام الرجل ، والى الدرجة التى نجــد القليل بين شعوب أوروبا قد استطاع حتى وقتنا هذا أن يعطى للمرأة ما أعطاه المصرى القديم لها من حقوق .

لقد كان المصريون القدماء أول من آمنوا برسالة المرأة ودورها فى المجتمع ، فقدروها واعتزوا بها وأعطوها حقوقها ، فكانت بمثابة الدم الذى يجرى فى عروق البلاد لا تــكاد تمس جانبــا من جوانب الحياة دون أن نجد للمرأة مكانا فيه . فتبوأت مناصب لا تقل عن مناصب الرجال ، واضطلعت بالكثــير من التبعات ، وقاسمت الرجال شرف الجهاد والدفاع عن الوطن .

ففيما يتعلق بدور المرأة المصرية القديمة فى الحكم ، يلاحظ الباحث فى التركة الاثرية التى تخلفت عن الحضارة المصرية القديمة ، الزوجة الملكية اما واقفة أو جالسة بجانب زوجها وفى مثل حجمه ، سواء كان ذلك فى اللوحات المنقوشة أو المرسومة أو التماثيل ، مما يعتبر بحسب المفهوم الفنى لفلسفة المصرى القديم دليلا واقعيا على أن المرأة كانت تتمتع بنفس حقوق الرجل .

ولقد اتيحت لبعض الملكات سلطات واسعة ، ومنهن على ســبيل المثــال الملكة خنت كاواس Khent-Kau-es . فمــع بداية الاسرة الخامسة ، يظن أنها تولت بنفسها مقاليد الحكم مدة وصايتها على ابنها ساحورع ، كما تبدو أهميتها كذلك فى ضخامة مقبرتها التى تضــارع الاهرام فى حجمها[٢] .

2) Wilson, J.A., Op. Cit., P. 98.

ومن ناحية أخرى قامت بعض الامهات الملكيات بالوصـــاية على أبنائهن حتى بلغن سن الرشد • ونذكر منهن «مرى رع ان اس» أم بيبى الاول ، كما قامت أم بيبى الثانى بالوصاية عليه أيضا اذ تولى العرش وهو طفل ، وقد ورد اسمها فى النقوش كثيرا •

وبالاضافة الى ما سبق ذكره ، وجدت متون الاهرام سبيلهــا الى أهرام ملكات بيبى الثانى الثلاث ، دون مقابر بقية أفراد الاسرة المالكة • وفى هذا دلالة على ما كان لهن من المكانة ، اذ كانت نقــوش تلك المتون وقفا على أهرام الملوك من قبل[٣] •

وكانت الملكة أحيانا هى الحاكمة المتصرفة فى شئون البلاد ، وفى هذا المجال تجدر الاشـــارة الى الملكـــة نيتوكريس Nitocris التى حكمت فى نهاية الدولة القديمة • ويشير مانيتون أنها كانت (أنبل وأحب أمرأة فى عصرها)[٤] • أما ثانى ملكة فى تاريخ مصر تنجح فى أن تجعل من نفسها «ملك مصر العليا والسفلى» فى نهاية عصر الدولة الوسطى، فهى الملكة سبك نفرو[٥] Sebknofru التى شاركت أباها أمنمحـــات الثالث فى الحكم ثم انفردت بالعرش بعد موته وموت أخيها أمنمحات الرابع[٦] • وفى الدولة الحديثة ، يظهر اسم الملكة حتشبسوت التى انفردت بالعرش فى عصر الاسرة الثامنة عشرة • وقد كان يشار اليها

---

(٣) محمد أنور شكرى ، حضارة مصر والشرق القديم (الالف كتاب(٥٩) القاهرة صص ١١٨ — ١١٩ •

4) Gardiner, A., Egypt of the Pharaohs, Great Britain. 1962, P. 102.

5) Newberry, P.E., « Brief Communications Co-regencies of Ammenemes, III, IV, and Sebknofru » (in) The Journal of Egyptian Archaeology, London, 1943, PP. 74—75.

(٦) عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، مصر والعراق ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص١٨٣ •

بالالقاب التالية : «ابنة الملك ، أخت الملك ، زوجة الاله والزوجة العظمى للملك»[٧] • ثم خطت خطوة جريئة حيث تظهر فى نقش «كملك لمصر العليا والسفلى» وهى ترتدى زى النساء • وتوجد مناظر فى الكرنك تظهر فيها حتشبسوت فى زى الرجال متقدمة تحوتمس الثالث الذى يظهر كملك شريك فى الحكم • وليس أدل على قوة نفوذها من نص أنينى[٨] الذى يشير الى نفوذ الملكة حتشبسوت فى حكم البلاد « ••• صعد الى السماء (تحوتمس الثانى) وأصبح متحدا بالآلهة ، وأخذ مكانه ابنه (تحوتمس الثالث) كملك على الارضين، وحكم من فوق عرش من أنجبه ، بينما كانت أخته الزوجة الالهية حتشبسوت تحكم البلاد ، وكانت الارضان تحت امرتها ، وكان الناس يعملون من أجلها ومصر تحنى الرأس لها ••• » • وفى نهاية الاسرة التاسعة عشرة تولت العرش بعد سبتاح امرأة هى الملكة توسره Twosre • وقد اتخذت لها قبرا فى جبانة وادى الملوك ، وهو شرف نالته قبلها أنثى ملكية واحدة هى حتشبسوت ، كما حملت توسره شأنها فى ذلك شأن حتشبسوت ألقاب فرعون تبعا لذلك • وربما تكون قد حكمت منفردة بضع سنوات [٩] •

وأما بالنسبة لدور المرأة فى حروب التحرير ، ففى الاستطاعة القول بأنه كما شاركت المرأة المصرية القديمة فى الحكم ، فاننا نرى أنها شاركت الرجل كذلك فى حروب التحرير • وتوجد أسماء لأميرات ملكيات من عصر الاسرة السابعة عشرة التى قامت بطرد الهكسوس مثل الملكة تتى شرى أم سقننرع ، والملكة عاح حوتبة التى استطاعت أن تقوم بتدريب الجيوش ، وأشرفت على تشكيل فرق تشترك فى

7) Gardiner, A., Op. Cit., P. 183.

8) Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, Vol. II, Chicago, 1906, § 341.

9) Gardiner, A., Op. Cit., P. 278.

الحروب ، كما تمكنت من أن تهدىء من ثائرة نفوس بعض المصريين • وبالاضافة الى ذلك قامت بعملية هامة ، وهى الاسهام فى تحالف سكان جزيرة كريت مع المصريين فى كفاحهم ضد الهكسوس • وقد أشارت لوحة[١٠] الكرنك الى الملكة عاح حوتبة بأنها « ••• ربة الارض ••• رفيعة السمعة من كل قطر أجنبى ، التى دبرت سياسة القوم ••• القديرة ••• التى أحكمت شئون مصر ••• وجمعت صفوف جيشها ، وأعادت الفارين ، ولمت شتات المهاجرين ، وهدأت قلق الصعيد ••• الملكة اياح حوتب لها الحياة ••• » • ويشير هذا النص الى اسهامها فى السياسة الداخلية وكذلك فى السياسة الخارجية للبلاد • وبجانب الملكة اياح حوتب تجدر الاشارة كذلك الى أحمس نفرتارى زوجة كامس ثم زوجة أحمس ، والتى لقبت بلقب «الزوجة الالهية»[١١] • فقد لعبت دورا كبيرا فى معاونة ابنها أمنحوتب الاول عندما كان صغيرا ، كما أنها عبدت فيما بعد فى طيبة ، واعتبرت هى وابنها أمنحوتب الاول الهين حارسين للجبانة • وكانت القرابين تقدم لهما بصيغة القربان المعروفة[١٢] •

أما عن حياة المرأة فى المجتمع المصرى القديم ، فقد سبقت الاشارة الى أن المجتمع المصرى كان مجتمعا متقدما تتمتع المرأة فيه — وهى نصف ذلك المجتمع — بجانب كبير من الحرية ، وتمارس الكثير من الحقوق على قدم المساواة مع الرجل • ورغما عن مسئوليات المرأة الاسرية والمنزلية ، فقد شاركت مشاركة فعالة فى نشاط المجتمع ، وساهمت فى التنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعى ، وتكاملت مسئولياتها مع مسئوليات الرجل •

---

(١٠) احمد فخرى ، المرجع السابق ، صص٢٦٢ — ٢٦٣ •

11) Lesko, B.S., Op. Cit., P. 4.

12) Petrie, F., A History of Egypt, London, 1927, PP. 37 ff.

لقد كان للمرأة حقوق الميراث والشهادة والتملك والتعاقد والبيــع والشراء وكافة حقوق المعاملات . وكان لها حرية واسعة تفوق حرية النساء فى بعض المجتمعات فى عصرنا الحالى . فهى تخرج سافرة الى الاســواق ، وتزاول البيــع والشراء ، وتحضر الحفلات والولائم ، وتزاول الموسيقى والغناء وتمارس الالعاب الرياضية . وقد مثلت تلك الحفلات التى كانت تقيمها عادة الاسر الثرية فى منازلهم على جدران الكثير من المعابد . وكان النساء يحضرن تلك الحفلات مع الرجال . وقد مثل الازواج يجلسون بجانب زوجاتهم ، وفى بعــض الاحيــان يكون للرجال مجلس يجمعهم وللنساء مجلس يجمعهن . ولم تكن تلك الحفلات تخلو من رقص موسيقى وطرب[١٣] .

وقد أعطى كل ذلك للمرأة مركزا أدبيــا ممتازا يضــارع مركز الرجل فى كثير من الوجوه . كما اعترف للمرأة فى جميع مراحل حياتها بفضلها ، ولا أدل على ذلك من ترديد تلك الالقــاب « الام الطيبة » و « الزوجة المحبوبة » و « الابنة العطوفة » .

وعلى الرغم من أن المنزل كان هو مكان المرأة الرئيسى وميدان نشاطها كما أكده المصريون القدماء[*] ، الا أن المرأة لم تكن مقيدة فى منزلها تماما، فطالما زاولت من الاعمال ومارست من الحرف ما يناسب طبيعتها وتسمح لها قدراتها باتقانهــا دون الرجل . وفى مقــدمة تلك الاعمال ، يمكن الاشارة الى الكهانة والخدمة الدينية . فقد اشتمل

---

(١٣) عبد العزيز صالح ، التربية والتعليم فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص٧١ .

(*) دون المصريون القدماء وجه المرأة فى الرسوم بلــون يضرب الى الصفرة ، تمييزا لها عن الرجل الذى كان يعيش خارج المنزل ويعمل تحت اشــعة الشمس ، فلون وجهــه بلون يضرب الى الحمرة .

كل معبد ضمن موظفيه على عدد من الراقصات والمغنيات والموسيقيات، كن يقمن بالرقص والغناء واللعب على الآلات الموسيقية ، وتحريك الصلاصل فى المناسبات والاعياد الدينية ، وأثناء تأدية الطقوس وخاصة المتصلة بالالهة حتحور Hathor التى كانت ترعى تلك الفنون القديمة ، ولذا لقبت حتحور بسيدة الطرب ، وربة الرقص والغناء واللعب ٠ ولقد شاركت المرأة المصرية القديمة منذ أقدم العصور بنصيب كبير فى خدمة الآلهة والالهات ٠ وقد حفظت لنا قوائم تسجل أسماء الكثير من كاهنات المعابد اللائى كن يساهمن فى تلك الاعمال التى لم تكن نوعا من الاحتراف أو الامتهان ، بل كانت فى معظم الاحيان لونا من ألوان التطوع أو الهواية يكسب صاحبه مكانا واحتراما عظيمين ٠ ولقد لقبت الكثيرات من سيدات الطبقة الراقية وخاصة فى عصر الدولة الحديثة بأنهن مغنيات وموسيقيات لأحد الآلهة والآلهات [١٤] ٠ كما مثلت الملكات والاميرات وهن يحملن الاصلاصل أو يضربن الدفوف ، أو يصفقن بالمصفقات أثناء اقامة بعض الشعائر الدينية ٠ وكانت رئيسة الكاهنات غالبا هى زوجة الكاهن الاكبر ٠ وكانت ترتبط بالاله بنوع من الرباط ، فتعد زوجة له مثلا ٠ وقد أعطيت فى العصور المتأخرة أهمية كبرى لمن تولت منصب الزوجة الالهية لأمون ، ذلك المنصب الذى كان يعادل منصب الكاهن الاكبر والذى اختفى نفوذه منذ تولت الاميرة شبنوب Shepenwepe هذا المنصب فى عهد والدها الملك أوسركون الثالث من الاسرة الثالثة والعشرين ، والذى كان لصاحبته السلطة الدينية والروحية فى طيبة لمدة تزيد على القرنين ٠ وكانت سياسة الفراعنة اسناد هذا المنصب لاحدى بناتهم لكى لا تخرج ممتلكات وأوقاف الاله من دائرة الاسرة المالكه وتؤول اليها سلطات ذلك المنصب الكبيرة ٠

---

(١٤) عبد العزيز صالح ، نفس المرجع ، ص٦٩ ٠

ومن المناصب النسوية الشرفية التى كان لها شأن كبير فى ذلك الحين ، منصب الوصيفات فى القصر الملكى اللاتى كن يخترن من بنات البيوت العريقة ، وقد كن بمثابة رفيقات للاميرات يزاملهن ويسمرن ويتعلمن معهن ، وكان الملك يطمئن الى اسناد المناصب الهامة الى زوجاته (زوجته) .

ومن المهن التى امتهنتها النساء وتتناسب مع طبيعتهن وتكوينهن، مهنة القابلات اللاتى يمارسن التوليد . وقد مثلت عملية الولادة فى كثير من المعابد . وقد جرت عادة المصريين فى العهد اليونانى الرومانى على الاحتفال بذكرى مولد المعبود فى معبد صغير بالقرب من المعبد الرئيسى تحلى جدرانه بمناظر تمثل ولادة المعبود وارضاعه والطقوس التى كانت تؤدى له . وقد صورت تلك المناظر الام ساجدة وأمامها القابلة وتصحبها مساعدة أو أكثر ، ويصحبها من يحمل لها كرسى الولادة [15] .

وبالاضافة الى مهنة المرأة المصرية القديمة كقابلة ، فقد زاولت مهنة الرضاعة . ولقد كانت لهذه المهنة أهمية خاصة منذ عصر الدولة القديمة بدليل اطلاق لفظ المرضعة «منعت» على عدد من القرى والضياع مثل مرضعة سنفرو ومرضعة خوفو . وفى عصر الدولة الوسطى ، لم تعد ظاهرة اتخاذ المراضع قاصرة على الملوك فحسب بل امتدت الى حكام الاقاليم . فنرى موظفا كبيرا يتخذ لأبنائه الثلاثة ثلاث مراضع،

15) Blackman, A.M., « Some Notes on the Story of Sinuhe and Other Egyptian Texts » — (in) JEA, London, 1936, PP. 42—43. ; Faulkner, R.O., « Brief Communications Kégemni Once Again » — (in) JEA ; London, 1951, P. 114.

كما نجد المرضع وقد صورت مع أخوات صاحب النصب[16] ، أو مع أمه ، مما يوضح مكانة المراضع فى أسرة الرضيع . ولقد امتلأت مناظر معابد الملوك ونقوشها بصور كثيرة عن الرضاعة .

وبالاضافة الى ما سبقت الاشارة اليه ، كانت نساء الطبقه العاملة يساعدن الرجال فى بعض أعمال الحقول[17] . ويلاحظ أصطحاب الزوج لزوجته فى كثير من مناظر الحياة اليومية عندما يقوم بالاشراف على ضياعه ، كما أن المرأة كانت تشرف على الصناع فى أعمالهم وتراقب عمل الحصاد فى الحقول ، كما كانت النساء تقوم بكافة أعمال الغزل والنسيج والذهاب الى السوق بمنتجات المزارع . ومن الاعمال التى كانت تقوم بها النساء كذلك ، حملهن القتلى واسعافهن الجرحى فى الحروب ويؤيد ذلك الاتجاه المناظر الحربية المنقوشة من عهد الملك ساحورع فى حروبه مع الاسيويين على مقبرة (انتا) فى دشاشه[18] .

ومهما كان الامر فى طبيعة الاعمال والحرف التى مارستها المرأة المصرية القديمة ، ففى الاستطاعة القول بأن الاعمال المنزلية ورعايه الاطفال كانت هى عمل المرأة الاساسى كما هو الحال فى كل مكان وزمان . وكانت مملكة المرأة ومكانها الطبيعى فى تلك العصور هو دارها ، مما دعا المصريين الى تلقيب الزوجة بسيدة الدار . وكانت الام تصنع الاسس فى بناء طفلها جسدا وروحا ، فهى التى ترعى صحته وتداعبه ، وتسبغ عليه الحنان والرحمة والحب حتى يشب عن الطوق ويجتاز المرحلة الاولى تحت رعايتها ويدخل المدرسة . وهكذا كانت

16) Petrie, W.F., Tombs of Courtiers, London, 1925, PL. XXII.

(١٧) محمد انور شكرى ، المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(١٨) سليم حسن ، مصر القديمة فى عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الاهناسى ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص٣٣٦ .

الام المصرية القديمة هى الامينة على تلك الفلذات والحريصة على أن تجعل منها لبنات قوية .

وفى مجال التعليم والثقافة ، يمكن للباحث أن يلاحظ انساده المصريين برجاحة عقل بعض النساء وباتساع ثقافتهن . ولدينا نص يتحدث عن سيدة احتلت مكانا مرموقا فى مجتمعها ، واكتسبت محبه قومها ، فيصفها بأنها كانت ذات حديث طلى لا يمل ، وكان كل ما يمر بشفتيها كأنه من صنع الهة الحق ، فهى تنطق بكل ما هو حسن وتردد ما يحبه الناس ، و لايمر القول السىء بشفتيها ، كانت امرأة كامله تساعد الجميع وترضيهم ، فكثر الثناء عليها فى مدينتها وأحبها الجميع أشد الحب[19] . ويستدل من دراسة هذا النص على أن المرأة المصريه القديمه كانت تتمتع بنصيب من الثقافة كما كانت تتمتع بحق التعليم تماما مثل الرجل ، وأنه لم يكن هناك حائل بين الاناث والتعليم . ولقد أظهرت بعض الوثائق والنصوص أن من الاناث من كن يعرفن القراءة والكتابة ، ويسهمن فى الثقافة ويتذوقن الادب بل ويتراسلن به [20] . ومن النماذج المعبرة عن ذلك ، كانت هناك سيدة تتولى كتابة رسائل الملكة [21] ، وهناك سيدة أخرى من الدوله القديمة كانت تستطيع قراءة الخط الهيراطيقى بسهولة[22] . ثم هناك من الاسرة

19) Murray, M.A., The Splendour that was Egypt.
ترجمة محرم كمال ومراجعة نجيب ميخائيل بعنوان «مصر ومجدها الغابر» ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٦٥ .

(٢٠) محمد شفيق غربال وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الاول ، القاهرة ، ص١٨٨ .

21) Petrie, W.F., The Royal Officials in Ancient Egypt, 1925, P. 14.

22) Petrie, W.F.. Social Life in Ancient Egypt, London, 1923, P. 124.

السادسة أمــيرة كانت تعتز بألقابهــا وهى القاضية فى القصر وبنت تحوتى • ومن الاسرة الحادية عشرة يشير «خنواردو» الذى خدم فى بلاط احدى زوجات الفرعون ، الى ما كانت تتمتع به سيدته من مركز أدبى ممتاز ، فقد أشار الى اهتمامها باقامة دار للثقــافة فى دندرة لتعليم المرأة وتثقيفها مما يشير الى الدور الذى لعبته نساء تلك المرحلة فى الحياة الادبية الى جانب الرجال [٢٣] • وقد عثر على ثلاث وثائق من الدولة الوسطى لقبت فيها المرأة بلقب كاتبة[٢٤] ، وأغلب الظــن أنهن أخذن مهنة الكتابة عن آبائهن ، حيث كان المعتاد أن تتوارث هذه الطبقة تلك المهنة • وهناك أم الملك أحمس الاول من الدولة الحديثة التى وصفت بأنها عالمة «رخت خت»[٢٥] ، أى التى تعرف كل شىء • وقد عثر ضمن آثار الملك توت عنـــخ أمون على أداة للكتــابة تخص الاميرة مريت أتون Merytaton ابنة الملك اخناتون ، وهى عبــارة عن محبرة ومقلمة ، مما يشير الى أنها كانت تمــارس الكتــابه ، وربما الرسم[٢٦] • وقد تخلفت بعض الرسائل عن عصر الرعامسة استخدمت فيما بعد كنماذج تعليمية • وقد كتبتها بعض السيدات أمثال (ستيكا) موسيقية حتحور ، وموسيقية الاله تحوتى ، وأخرى هى موسيقيــة أمون • ومن العصور المتأخرة ، كانت هناك زوجة الكاهن بادى أوزير التى اشتهرت برأيها السديد فى كتــابة الارباب ومعرفتها بالكتــابه الهيروغليفية[٢٧] •

---

(٢٣) أحمد بدوى ، فى موكب الشمس ، فى تاريخ مصر الفرعونية من آخر الضحى الى أول الاصيل ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٥٩ •

24) Lesko, B.S., Op. Cit., P. 17.

(٢٥) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٩٠ •

(٢٦) أحمد بدوى ، محمد جمال الدين مختار ، المرجع السابق، ص١٣١ •

(٢٧) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٩١ — ١٩٢ •

وبالنسبة للدور العظيم الذى لعبته المرأة فى حياة الاسرة المصرية القديمة يمكن الاشارة الى أن الحياة فى مصر القديمة قد جمعت أفراد الامة من رجال ونساء فى وحدة اجتماعية مترابطة تسودها النظـرة التقدمية ، وتوجهها العلاقة بين الرجل والمرأة القائمة على مبـادىء انسانية لا على روح العبودية والسيطرة مما جعل أيام الحياة تجرى لديهم جميلة سهلة ، ومما طبع مجتمعهم بتلك الروح الصفو العـذبه التى كانت تسوده . ويمكن دراسة هذا الدور من نواحيه المختلفـه بتناول بعض التقاليد المصرية القديمة .

فبالنسبة لتقاليـد الزواج ، كانت العـادة المتبعـة هى التبكير بالزواج ، فقد كان بقاء الرجل أعزبا أمرا نادرا . وقل أن نجد مقبرة لمصرى قديم لم يذكر فيها اسم زوجته ، أو ترسم صورتها الى جانب صورته على جدرانها . ولم يكن هناك سن محدد للزواج على الرغم من أن المصريين كانوا يفضلون الزواج فى سن مبكرة ليتيسر لهم الوقت الكافى لتربية الاطفال ، كما أن فيه صيانة للشباب . وقد جرت التقاليد المصريه القديمه على أن يكون الوالد هو الذى يعطى الخطيب الشاب ابنته ليتخذها زوجة[٢٨] . ومن المحقق أن الزواج كان يقوم على عقد كتابى ثابت ، ولو أنه فيما يتعلق بعقود الزواج ، فللأسف لم يعثر حتى الآن على مصادر تصف لنا كيفية عقد الزواج فى العصور المختلفة. وبسبب هذا النقص الكبير ، ثار جدل حول هذه النقطة بحيث أن البعض يرى أن الزواج فى العرف المصرى القديم كان ينعقد ويتم مشافهـه بمجرد التراضى بين الزوج ووالد الزوجة دون الحاجة الى اجراءات مكتوبة . ولكن البعض الآخر يرى أن الزواج كان ينعقد ويتم كتابة.

---

(٢٨) أدولف ارمان وهرمان رانكة ، مصر والحياة المصرية فى العصـور القديمة ، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر ، ومحـرم كمال ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص١٦١ .

وينبغى الاشارة الى أن عقود الزواج لم تعــرف بين تراث المصريين القدماء الا من عصور متأخرة ، وهى عقود كتابية مدنيــة مبنية على حرية التعاقد • ولربما اشترطت الزوجة بعض الضمانات لتدرأ عنهــا خطر الانفصال ، ولتحفظ حقوقها وحقوق أطفالها • ولقد وصلت الينا أربعة عقود من العصر المتأخر وهى متشابهــة • ويرجع تاريخ آقدم عقد زواج مصرى الى القــرن الرابع ق•م• والعقد موجود بالمتحف المصرى ويعود الى عام ٢٣١ ق•م• ، وهو بين كل من تاحاتر وأمحوتب• ويقرأ فيه على لسان الزوج : « ••• لقد اتخذتك زوجة ، وللاطفــال الذين تلدينهــم لى كل ما أملك وما سأحصل عليه • الاطفــال الذين تلدينهم لى يكونون أطفالى ، ولن يكون فى مقدورى أن أسلب منهم اى شىء مطلقا لأعطيه الى آخر من أبنائى ، أو الى أى شخص فى الدنيا• سأعطيك من النبيذ والفضة والزيت ما يكفى لطعامك وشرابك كل عام• ستضمنين طعــامك وشرابك الذى سأجريه عليك شــهريا وســنويا • وسأعطيه اليك أينما أردت • واذا طردتك أعطيتك خمسين قطعــة من الفضة ، واذا اتخذت لك زوجة ثانية أعطيتك مائة قطعة من الفضة •• »• وفى ذيل العقد ، وقع الموثق الرسمى • ومما تجدر الاشــارة اليه أن الزوجة تظهر فى العقد وكأنها المرجع الاخير فى أمر هذا الزواج[٢٩] •

وكان من المألوف أن يكون للرجل زوجة شرعية واحدة • أما تعدد الزوجات ، فان الكثيرين يقولون بأخذ المصرى القديم بهذه القاعدة • الا أن اباحة تعدد الزوجات كانت تتحكم فيه الظروف الاقتصــادية مما جعله مقصورا على الاسرة المالكة وطبقة النبلاء • وربما كان تعدد الزوجات بين الملوك الفراعنــة يعود الى أسباب سياسية فى معظــم الاحوال • وعلى ذلك ففى الامكان القول بأن حالات تعــدد الزواج الحقيقية كانت تعتبر استثناء • فقلما صادفتنا زوجتان تعيشان معــا

---

(٢٩) ادولف ارمان وهرمان رانكة ، نفس المرجع ، ص١٦٢ •

فى بيت واحد وفى وقت واحد ، كما هو الحال مع أمينى، من عصر الدولة الوسطى وزوجتيه[٣٠] (نبت سخت نت رع) و (حنوت) . ويوجد مثل هذا التعدد فى الزواج عند الملوك فى الاسرة الثامنة عشرة مثل تحوتمس الرابع وأمنحوتب الثالث والرابع الذين تزوجوا لأسباب سياسية من أميرات من بلاد بابل وميتانى . وكذلك فى الاسرة التاسعة عشرة مثل رمسيس الثانى الذى تزوج من نفترا مرنى موت Naftera-merne-mut واسى نفرى Ese Nefre .

وعلى ذلك فان الزواج وتكوين الاسرة عند المصريين القدماء كان أمرا بالغ الاهمية ونستطيع أن نلمس ذلك الاتجاه فى أقوال الحكماء ، يقول حكيم الدولة القديمة بتاح حوتب[٣١] Ptah-hotep الذى عاش من حوالى ٤٥٠٠ عام ينصح ابنه « ... اذا كنت شخصا عاقلا ، فاحبب زوجتك التى تعيش فى منزلك بصدق وأمانة . اشبع جوفها ، واكس جسدها . واعلم أن العطور خير علاج لأعضاء جسدها. وادخل السرور على قلبها طيلة أيام حياتها . فهى حقل يدر الخير لسيده ... » .

أما الحكيم آنى[٣٢] Ani الذى عاش من حوالى ٣٣٠٠ عام فيقول لولده خنسوحوتب « ... اتخذ لك زوجة وأنت فى شبابك ، حتى تلد لك ابنا . وأنت شاب . علمه ليصبح رجلا . فما أسعد الشخص الذى تكثر ذريته ، ويحييه النـــاس (باحترام) بسبب أولاده ... لا تكثر

---

(٣٠) أدولف ارمان وهرمان رانكة ، نفس المرجع ، ص١٥٩ .

31) Wilson, J.A., «The Instruction of the Vizier Ptah-hotep» (in) Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament, Princeton, 1969. P. 413.

32) Wilson. J.A.. « The Instruction of Ani » — (in) ANET, PP. 420—421.

الاوامر الى زوجتك فى منزلها ، اذا كنت تعلم أنها سيدة صالحة .
لا تقل لها «أين هو ؟ احضريه لنـــا» اذا كانت قد وضــــعته فى مكانه المعهود . لاحظ بعينيك ، والزم الصمت ، حتى تدرك جميل مزاياها .
ويالها من سعادة عندما تضم يدك الى يدها ، وكثير من الناس هنـــا لا يعرفون كيف حال الانسان دون حدوث شقاق فى منزله ... ان كل رجل يستقر فى منزل يجب أن يجعل قلبه ثابتا غـــير متأرجح .
وذلك بألا يحـــاول الجرى وراء امرأة ، (أخرى) ، ولا تجعلها تسرق قلبك ... »[٣٣]* .

ولعل أمتع النصوص التى وردت الينا تتحدث عن العلاقات بين الزوجة وزوجها هو ذلك النص الذى يشكو فيه رجل زوجته التى كانت تدعى عنخيرى Ancheri والتى اعتقد أن روحها تطارده وتسبب له كثيرا من المتاعب . يقول النص « ... وعندما استدعيت لأرحل الى الجنوب مع فرعون ، كنت دائما بأمكارى معك ، وقضيت الشــــهور الثمانية دون أن آكل أو أشرب كما يفعل الناس . وعندما عدت الى منف استأذنت من فرعون وحضرت اليك وبكيت كثيرا أمام منزلك ... انظرى لقد أمضيت حتى الآن ثلاث سنوات وأنا بمفردى .. »[٣٤] .

---

33) Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature, Vol. 1, Berkeley, 1973, p. 143.

(*) الادب المصرى القديم حافل بكثير من النصوص التى تعبر عن حب الرجل لزوجته . ففى قصة البحار الغريق مثلا نجد ان الحيـــة الهـــة الجزيرة طمأنته بنجاته ورجوعه الى وطنه حيث قالت : لسوف تحتضن أبناءك وتقبل زوجتك وترى بيتك ، وهذا أجمـــل من كل شىء آخر .

34) Gardiner, A., and Sethe, K., Egyptian Letters to the Dead, London, 1928.

ولم يقتصر هذا التعاطف فى الحياة الزوجية على أفراد الشعب، بل تخطاه الى الملوك الذين لم يجدوا غضاضة فى بعض الاحيان من أن يسجل الفنانون لهم مظاهر الود والحب التى تربطهم بزوجاتهم فيظهر أفراد الاسرة وحدة واحدة مؤتلفة تحتمع حول رئيسها • فاذا جلست الزوجة بجانب زوجها أو وقفت بجانبه ، عبرت عما يصلهما من روابط • واذا ظهر الاولاد التصقوا بهما ، مما يؤكد الروابط العائلية• ونلمس مثل ذلك التعاطف والترابط فى صور الملكة تى زوجة أمنحوتب الثالث ، وفى نقوش نفرتيتى وهى تصاحب أخناتون سواء فى دور العبادة أو فى شرفات القصر ، وحين يخرجان للنزهة أو عندما يداعبان أطفالهما • ويلاحظ مثل ذلك التعاطف كذلك فى صور توت عنخ أمون وهو يجلس بجوار زوجته •

ولعل هذا يوضح تماما كيف كانت العلاقات بين الزوج والزوجة فى مصر ، وهى علاقات كانت تقوم على الود والاحترام ، وكانت المرأة ولا شك تنال الكثير من عناية زوجها • ولكن ليس معنى هذا أن الحياة الزوجية كانت دائما تمر فى وئام كامل ، اذ كانت هناك ولا شك لحظات شقاء • فقد عثر على قطعة لخاف فى دير المدينة تقول ان صاحبها قد تغيب عن عمله بسبب مشاجرة مع زوجته • وفى فقرة من قصة الاخوين[٣٥] « ••• وعندما وصل (الزوج) الى منزله ، وجد زوجته نائمة ، ••• فلم تصب الماء على يديه ، كعادتها ، ولم تشعل المصباح، اذ وجد منزله فى ظلام ••• » •

وبالنسبة للام والامومة ، يمكن ملاحظة مدى ما بلغته النساء فى مصر القديمة من التقدم الذى لا نظير له فى أى قطر من أقطار الشرق

35) Wilson, J.A., « The Story of Two Brothers » — (in) ANET, P. 24.

القديم ، مما ساعد على احتلالهن مكانا رفيعا جعلهن خليقات بأن يكن أمهات لتلك الاجيال التى أنشأت هذا الوطن ، وأقامت حضارته الرفيعة وأعطته لواء الزعامة فى العالم القديم • كان المصريون يدعون الى حب الام والعطف عليها والبر والاحسان اليها ، ويذكرون فضل الام عليهم وأهمية رضاها عنهم • ومن أجمل ما تقرأ عن التوصية بالام فى الادب المصرى القديم ، كلمات الحكيم آنى(٣٦) حين أخذ يعدد لابنه أفضالها عليه فيقول « ••• أحملها كما حملتك ••• أنها أدخلتك المردسة الى حيث تتعلم الكتابة ، وظلت تذهب من أجلك كل يوم ، تحمل اليك الخبز والجعة من منزلها • فاذا ما شببت واتخذت لك زوجة وأصبح لك بيت خاص ، فضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك وكل ما فعلته من أشياء لأجل تربيتك • لا تجعلها توجه اللوم اليك ، ولا تجعلها ترفع يديها الى الاله ، لئلا يستمع الى شكواها ••• » •

وأما فيما يتعلق بالتوريث والوراثة ، فنظرا لأهمية مكانة الأم فى الاسرة ، ودورها فى الوراثة والتوريث ، وحقها فى الوصاية على أطفالها اذا ما توفى زوجها ، اهتم المصريون بتسلسل النسب من ناحية الام• وكثيرا ما ذكر ذلك على شواهد القبور وفى النصوص الجنزية • ولكن عادة الانتساب للام لا نجدها فى الدولة القديمة مطلقا ، ولو أنها انتشرت فى الدولة الوسطى • بل أكثر من هذا ، وجدنا فى الدولة الوسطى أن نظام التوريث فى أسر النبلاء وحكام الاقاليم كان يأتى عن طريق النساء لا الذكور ، بمعنى أن الابن لم يكن هو الوريث بل يرث الابن الاكبر للبنت• ومن الغريب أنه فى عصر الاسرة التاسعة عشرة كان والد الام هو المعتبر الوصى الطبيعى على الشاب الناشىء ، مما

36) Wilson, J.A., « The Instruction of Ani » — (in) ANET, P. 420 ; Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature. Vol. II, Berkeley, 1976, P. 141.

يدل على أن الصلة الوراثية كانت أكيدة الاواصر بين الحفيد وجده لأمه • وقد ظن بعض المؤرخين من أجل ذلك أن نظام التوريث انما كان يأتى عن طريق الأم • وانما الثابت أن هذه الحالة فردية ، والغالب والسائد أن الاسرة المصرية القديمة كانت تقوم على أساس أبوى[٣٧]، فكان المعتاد أن ينتسب الشخص الى أبيه •

ونحن نعرف أنه كانت للمرأة المصرية القديمة أموالها وممتلكاتها الخاصة بها وأنه كان من حقها هى فقط التصرف فيها بما له من ذمة مالية منفصلة ومستقلة عن ذمة زوجها • وهناك وثيقة من الاسره العشرين لسيدة تدعى نونخت[٣٨] Naunakhte • وهذه الوثيقة عبارة عن وصية تقسم فيها أملاكها بين أولادها محددة تماما نصيب كل فرد منهم ، وحرمت البعض من أولادها من التركة قائلة « ••• انظر لقد كبرت فى السن وتقدمت فيه ولكنهم لا يعنون بى • ومن أتى منهم ووضع يده فى يدى فسأعطيه أملاكى ، والذى لم يضع لن أعطيه شيئا• هذه أسماء الابناء الذين يخصهم شىء من الثلث الخاص بى • ولكن سوف يخصهم نصيب الثلثين الخاص بوالدهم ••• » • ويفهم من هذا بوضوح أنها كانت حرة تماما فى تقسيم أملاكها ولكنها تركت أملاك الأب تقسم بين أولادها حسب القانون •

وهكذا ففى الاستطاعة القول بأن المرأة المصرية لعبت دورا هاما فى حياة الاسرة والمجتمع القديم ، وتركت بصمات واضحة فى معالم الحضارة المصرية القديمة •

---

(٣٧) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص٢١ •

38) Lesko, B.S., Cit., P. 25.

تنشئة الطفل عنـــد قدماء المصريين

الواقع أن الطفولة هى أولى مراحل الحياة وأحقها بالعناية سواء على مســـتوى الاسرة أو المجتمـــع • وتعتبر دراســـة تنشئة الطفل والاهتمام به من أهم المقاييس التى يقاس بها تطور المجتمع وتقدمه ، حيث أن الاهتمام بالطفولة هو فى حد ذاته اهتمام بمستقبل المجتمع•

ولا شك أن العنـــاية بالطفـــولة جزء من الطبيعة البشرية وهى تختلف باختـــلاف المجتمعات من حيث درجة تطـــورها الاقتصـــادى والحضارى والاجتماعى • ان تاريخ البحث فى الطفولة للتعرف على حقائقها والوقوف على مظاهر الرعاية المختلفة يعتبر من الاهمية بمكان حيث يسهم فى التعرف على العوامل والظروف المختلفة التى أحاطت بتنشئة الطفل بطريقة سليمة •

ولقد بدأ الانسان المصرى القديم يفكر فى أطوار نمـــوه وبداية تكوينه حينما صور حياة الجنين فى مراحله المبكرة حيث نقرأ فى نشيد[1] أخناتون :

---

1) Wilson, J.A., Egyptian Hymns and Prayers, « The Hymn to the Aton », (in) Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament, Princeton, 1969, P. 370.

وجيمس هنرى برستد ، تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسى ، ترجمة حسن كمال وراجعه محمد حسنين الغمراوى ، القاهرة ١٩٢٩ ، صص ٢٤٥ — ٢٤٩ •

« ... أنت خالق الجنين فى الأم ،

أنت واهب الحياة للجنين فى رحم أمه ،

وملطفه حتى لا يتكدر فيبكى ،

كيف لا وأنت المربى فى الرحم ،

الذى يعطى نفس الحياة لكل مخلوقاته !

...

أنت فاتح فمه

ومعطيه حاجاته ... » .

ولقد شغف المصرى القديم بحب الاطفال مما دفعه الى الحرص على الانجاب بل والتبكير بالزواج حتى يتمكن من تربية أطفاله قبل أن تتقدم به السن . ويمكن ملاحظة ذلك الاتجاه مما جاء فى نصائح آنى[2] Ani « ... ما أسعد الشخص الذى يكثر أهله ويحبيه الناس باحترام بسبب أولاده ... » . ونرى مثل ذلك القول فى نصائح بتاح حوتب[3] Ptah-Hotep « ... اذا كنت رجلا ... فليكن لك ولد فذلك شىء يسر الاله ... » . ونستطيع القول بأن ذلك ربما يعود الى طبيعة المجتمع المصرى القديم كمجتمع زراعى يتطلب المزيد من الايدى العاملة . وعلى ذلك فان كثرة انجاب الاولاد كان فى الواقع مصدر رزق للفلاح المصرى القديم . وبالاضافة الى ذلك ، فان الاولاد فى تلك المرحلة لم يكونوا عبئا على ذويهم طالما هم فى سن الطفولة .

---

2) Wilson, J.A., Proverbs and Precepts, « The Instruction of Ani », (in) ANET, PP. 420 ; Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature, Vol. 11, Berkeley, 1976,P.141.

3) Wilson, J.A., Proverbs and Precepts, « The Instruction of the vizier Ptah-Hotep », — (in) ANET, P. 413.

فقد كانوا يسيرون حفاة الاقدام ، وغالبا ما يخرجون متجردين تماما من الثياب[٤] كما تشير الى ذلك نقوش الدولة القديمة . ولو أن هذا الامر يحتمل الشك[٥] علما بأن النقوش المصرية القديمة أظهرت ملابس أطفال الطبقة الراقية منذ عصر الدولة الوسطى . ومهما كان الامر فان هؤلاء الاطفال لم يكلفوا آباءهم سوى القليل من النفقات . وعلى ذلك فربما كانت تلك الاسباب الاقتصادية البحتة من العوامل التى أدت الى الاكثار من النسل .

ومن أجل مزيد من الرعاية للطفل ، حرص المصريون القدماء على العناية بالأم خلال شهور الحمل . ولقد ظن المصريون فى ذلك الوقت المبكر الى أن غذاء الجنين وتنفسه انما يصله عن طريق الأم [٦] . وليس أدل على حرص المصريين على رعاية الحامل وتأمينها مما قد تتعرض له من أخطار أثناء مرحلة الحمل من تخصيصهم لآلهة خاصة تقوم بحماية الحوامل اسمها تاؤرت [٧] كما كانت العادة المتبعة أن تقوم المرأة خلال شهور حملها بلبس التمائم لتبعد عنها روح الشر .

---

(٤) بيير مونتيه ، الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ، ترجمة عزيز مرقس منصور ، مراجعة عبد الحميد الدواخلى ، القاهره ١٩٦٥ ، ص ٧٥ .

(٥) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، الجزء الرابع ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص٩ .

6) Abdel-Halim, N., The Problem of the Royal Placenta in Ancient Egypt, Reprint from the Book of 50th Anniversary of Archaeological Studies in Cairo University, Part III, Special Issue from the Journal of Faculty ot Archaeology, Cairo, 1978, P. 84.

(٧) نجيب ميخائيل ابراهيم ، المرجع السابق ، ص٦ .

ولعل اهتمام المصريين القدماء بالتعرف على نوع الجنين[٨] ذكرا كان أم أنثى يوحى باعطاء أهمية خاصة للمرأة المصرية القديمة أثناء مرحلة الحمل .

وما أن يحين موعد الولادة حتى يبدأ نوع آخر من الحرص على تسهيل عملية الولادة مثل تلاوة الادعية لسلامة الحامل ، واللجوء الى القابلات المتخصصات والاستعانة بكرسى الولادة[٩] ، بالاضافة الى استخدام بعض العقاقير فى حالة الولادة العسرة . وعندما تتم عملية الولاده ، تظهر مشاعر الاسرة نحو نوع المولود . وقد درج المصريون القدماء على الفرح اذا بشروا بالولد بعكس البنت . وربما كان تفضيل الذكر على الانثى يرجع الى تكوين المجتمع المصرى القديم، فالولد يحمل اسم ابيه ويساعده على عمله بالحقل فى حياته ، ويتولى دفنه ، ويؤدى له الطقوس الجنزيه بعد مماته . ومما يشير الى الرغبه الشديدة فى انجاب الذكور قصة الأمير الموعود[١٠] « حدث ذات مرة أن ملكا لم ينجب ولدا فتضرع للآلهة أن ينجب ابنا ، ... فوضعت (زوجته) ولدا ... » وعلى الرغم من تفضيل الذكر على الانثى ، يرى بعض العلماء [١١] أن المصريين القدماء لم يكرهوا الانثى ، بل كانوا على العكس يرحبون بمقدمها ويطلقون عليها من الالقاب ما يشير الى فرحهم بها مثل نوب كا بمعنى «ذهبيه النفس» ، وسات مريت

---

(٨) احمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار ، المرجع السابق، ص١٢٤.

9) Blackman, A.M., « Some Notes on the Story of Sinuhe and Other Egyptian Texts » — (in) JEA, London, 1936, PP. 42—43 ; Faulkner, R.O., « Brief Communications Kégemni Once Again », — (in) JEA, London, 1951, P. 114.

(١٠) أدولف ارمان وهرمان رانكة ، المرجع السابق ، ص٤١٨ .

(١١) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص١٧ .

بمعنى «الابنة الحبيبة» • ولقد بلغ من اهتمام المصريين القدماء بالطفل حرصهم على محاولة التعرف على مستقبله والتنبؤ بحظه فكانوا من أجل ذلك يلجأون الى استشارة مجموعة من المعبودات عرفت باسم (الحتحورات السبع) بغرض التنبؤ بمصير المولود ، بل وبنوع الموت المقدر له • ويستدل من قصة الامير الموعود على ذلك الاتجاه « ••• وعندما اجتمعت الالهات الحتحورات ليقررن حظه قلن سوف يلقى حتفه بتمساح أو ثعبان أو كلب ••• » •

ومهما كان المستقبل الذى ينتظره ذلك الطفل ، فان الامر كان يتطلب تسمية المولود ، حيث لم يكن لدى المصريين القدماء ما نطلق عليه فى وقتنا الحاضر «اسم العائلة» • وقد اختلفت الاسماء التى أطلقها المصريون من أسماء بسيطة مثل نى Ti أو مركبة على هيئة جملة[١٢] مثل جد بتاح أيوف عنخ Djed-Ptan-louf-Ankh بمعنى «يقول بتاح أنه سيحيا» • وفى بعض الاحيان كان الاسم يعبر عن أمنية مثل «الحلوة جاءت» ، أو كان يحمل مدلولا دينيا يعبر عن تبعية الطفل للاله مثل «خادمه رع» أو «بنت حتحور» • وكان على الوالدين أن يقوما بقيد اسم المولود فى وثائق الدولة الرسمية التى كانوا يطلقون عليها اسم سجلات (دار الحياة)[١٣] •

وكان من مظاهر رعاية الطفل فى مصر القديمة ، الاهتمام بمرحلة الرضاعة • فقد أشارت النصوص المصرية القديمة الى حرص الام على ارضاع وليدها لفترة كانت تستغرق ثلاثة أعوام • فمن أقوال الحكيم آنى [١٤] لولده خونسو حتب ، وهو ينصحه بالبر بأمه مبينا افضالها

---

(١٢) بيير مونتيه ، المرجع السابق ، ص٧٨ .

13) Griffith, F., Stories of the High Priests of Memphis, Oxford, 1900, P. 19.

14) Wilson, J.A., The Instruction of Ani (in) ANET. P. 420.

عليه « ... ضاعف كمية الخبز التى تقدمها لأمك ... لقد كنت عبئا ثقيلا عليها .. (ولكنها) ظلت مغلولة بك وأعطتك ثديها فى فمك مدى ثلاث سنوات باستمرار ... » . هذا وقد اختلف العلماء فى تفسير امتداد فترة الرضاعة لمدة ثلاث سنوات . فبينما يرى البعض [١٥] احتمال الشك فى تقبل هذه الفترة الطويله نسبيا على أنها الفترة الطبيعية للرضاعة على أساس أنه كان يصعب على الأم المصرية ارتباطها برضيعها طوال هذه الفترة ، بجانب ما تتحمله من تبعات منزلية وأسرية ، يرى البعض الآخر[١٦] أن الحكيم آنى ربما قصد من اظهار طول فترة الرضاعة الاشارة الى اهتمام الأم بطفلها طوال هذه الفترة. وفى الطبقات القادرة كانت ظاهرة اتخاذ المراضع واضحة ، كما كانت لهن مكانة خاصة فى أسرة الرضيع ظهرت فى كثير من النقوش والصور[١٧] .

وبانتهاء مرحلة الرضاعة ، تبدأ مرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة الطفولة المبكرة والتى تمتد عادة حتى دخول المدرسة . ويكون نمو الشخصية فيها عادة سريعا . ولم يفت المصرى القديم أن يهتم بتكوين الطفل فى تلك المرحلة بمحاولة استخدام اللعب كوسيلة من وسائل التربية ، لما فى ذلك من أثر كبير فى تنمية قدرات الاطفال . وقد قدم المصرى القديم الكثير من نماذج اللعب لأطفالهم فى هذه المرحله مثل اللعب المتحركة بالخيوط بعضها فى هيئة أقزام راقصة ، أو عرائس مصنوعة من الخشب ، أو الفخار . ولاشك أن تلك اللعب كانت وسيلة للمتعة بجانب كونها تدريبا للمقدرة على تفهم الاشياء فى تلك المرحلة.

---

(١٥) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص٢٣ .

(١٦) نجيب ميخائيل ابراهيم ، المرجع السابق ، ص٧ .

17) Petrie, W.F., Tombs of Courtiers, London, 1925, PL. XXII.

وعندما يشب الاطفال عن الطوق ، كانوا يدخلون مرحلة اللعب الجماعى مما كان له قيمة تربوية كبيرة سواء من ناحية بناء الجسم أو العقل ، ومما أكسب هؤلاء الاطفال الكثير من المهارات والثقة بالنفس وعودهم التنافس واحترام نظام الجماعة .

وبعدئذ يمر الطفل بمرحلة جديدة عندما يبدأ استعداده فى الذهاب الى المدرسة . ولما كانت المدرسة تعمل فى تكامل مع البيت وتكون جزءا لا يتجزأ من مراحل النمو فى حياة الطفل ، وتساعده فى تكوين شخصيته جسميا وعقليا واجتماعيا ، لذلك حرص المصرى القديم على ارسال أبنائه الى المدرسة . ومن ناحية أخرى ، كانت الظروف الاجتماعية السائدة آنذاك ترى فى التعليم السبيل الذى يمهد للدخول فى مناصب الدولة . ولهذا شجع الآباء أبنائهم فى طلب العلم . وقد أشارت نصوص دواوف[18] بن خيتى وهو ينصح ابنه المسمى ببى عندما أرسله الى المدرسة بأن « ... يضع قلبه وراء الكتب ، وأن يحبها كما يحب أمه، لأنه ما من شىء يعلو على الكتب ... » وكان التلميذ عادة يؤخذ بالشدة والحزم ، حيث تفاوت العقاب ما بين التوبيخ الى الضرب الى التذنيب لمن أهمل الدرس ، كما أشارت الى ذلك نصائح دواوف « ... لا تقض يوما واحدا دون عمل والا فسيكون الضرب نصيبك فان أذنى الصغير موضوعة على ظهره وهو يسمع ويطيع عندما يضرب ... » .

والى جانب الدور الهام الذى كانت تشارك به المدرسة البيت فى تنشئة الطفل المصرى القديم ،فان تربية النشء كانت تتطلب فى الواقع تعليمه فلسفة الحياة العملية وآداب السلوك والمعاملة . ومن أجل هذا

---

(١٨) أدولف ارمان وهرمان رانكة ، المرجع السابق ، صص٣٥٣، ٣٥٦ .

زخر الادب المصرى القديم بالكثير من نصائح الحكماء التى تضمنت اتجاه المصريين الى تنشئة أبنائهم على أخلاق وصفات فاضلة ومنها الصدق والامانة والتحدث عن الخبرة والدراية والتأمل ، والبعد عن الثرثرة ، وتحاشى الغضب أثناء الكلام • وتشير نصائح بتاح حوتب[١٩] الى الكثير من تلك الحكم ومنها تحذير الابناء من غرور العالم « ••• لا يداخلك الغرور بسبب علمك ولا تتعال لأنك رجل عالم • أستشر الجاهل كما تستشير العالم ••• » • وفى التمسك بالحق تشير تلك الحكم « ••• ما أعظم الحق ، فان قيمته خالدة ،••• انه (الحق) مثل الطريق السوى أمام الضال • ولم يحدث أبدا أن عرف عن عمل السوء أنه أوصل صاحبه سالما الى مأمنه ••• » • كما عنيت تلك النصائح كذلك بآداب المائدة « ••• اذا كنت مدعوا الى مائدة من هو أعظم منك ، فخذ ما يعطيه لك ، ولا تسدد نظرات كثيرة اليه ••• غض من طرفك حتى يحييك ، ولا تتكلم حتى يخاطبك • اضحك بعد أن يضحك ، فان ذلك يدخل السرور على قلبه ••• » وعن احترام الابن لابيه ، تقول النصائح « ••• ما أجمل أن يصغى الابن عندما يتكلم والده! فسيطول عمره من جراء ذلك • ان من يسمع يظل محبوبا من الاله (ولكن) الذى لا يسمع مكروه من الآلهة ••• » •

أما تعاليم أبو كايجمنى[٢٠] Kagemni لولده فيشير الى العمل فى صمت والاقلال من الكلام « ••• دع اسمك يعلو ، وفمك صامت ، فسوف تستدعى الى المراكز العليا ••• » •

---

19) Wilson, J.A., Proverbs and Precepts, « The Instruction of the Vizier Ptah-Hotep », — (in) ANET. PP. 412—414.

20) Gardiner, A.H., « The Instruction Addressed to Kagemni and his Brethren », — (in) JEA, Vol. 32, London, 1946. P.73.

وبالنسبة لنصـــائح الملك خيتى لابنه مرى كارع[٢١] فيشير الى اتباع اللياقة فى الحديث مع الآخرين « ... كن لبقا فى الحديث ،... لأن اللسان(؟) ... كالسيف(؟) ... » . والحث على عمـل الخـير « ... هدىء من روع الباكى ... لا تقتل رجلا اذا كنت تعرف جميل مزاياه ، كنت تقرأ معه الكتابات(؟) ... » .

وتتناول نصائح أمنمحات الاول[٢٢] تحذيرا لابنه سنوسرت الاول ممن يخونون العهـد ويقابلون الاحسان بالاساءة « ... لا تثـق فى أخيك ، ولا تعرف لك صاحبا ... (حتى) عندما تنام ، اجعل من نفسك حارسا على نفسك ... » .

أما نصائح أمنموبى[٢٣] لولده فكانت نحثه على عدم مصاحبـة الاحمق ، وعدم الاندفاع والتروى قبل الكلام « ... لا تتخذ الرجل الحاد الطبع لك صاحبا ،

ولا تزره لتحادثه

وامنع لسانك من مقاطعة رئيسك ... » .

---

21) Gardiner, A.H., New Literary Works from Ancient Egypt, pap. Petersburg 1116A, recto « The Instruction for King Mery-Ka-Re », — (in) JEA, Vol. 1, London, 1914, P. 26.

22) Wilson, J.A., Egyptian Instructions, « The Instruction of King Amen Em. Het », — (in) ANET, P. 418.

23) Griffith, F., « The Teaching of Amenophis the Son of Kanakht. Papyrus B.M. 10474 », (in) JEA, Vol. XII, London, 1926, P. 208.

وعلى ذلك ففى الامكان القول بأن أساس تنشئة الطفل كان هو التربية المنزلية ودور الوالدين الواضح فى تشجيع أبنائهم على التعليم وتنشئتهم على محاسن الاخــلاق • وازاء هذا كان الابنـــاء يحملون لآبائهم هذا الصنيع ويحترمونهم ، وليس أدل على ذلك من نصــيحة يوجهها أحد كبار الكهنة حيث يقول « ••• منــذ درجت من حجــر أمى ••• كنت أدخل وأخرج وأروح وأغدوا بأمر (أبى) وعلى ضوء من هديه ، لم أخالفه قط ، ولم أهمل واجبــا كلفنى به ، ••• وكان يثنى على من أجل ذلك ••• »[٢٤] •

ويتضح مما سبقت الاشارة أليه أن الطفولة فى نظــر المصريين القدماء كانت بلا شــك المرحلة الصالحة للتعليم والتلقين اذ تترســم خلالها فى ذهنه وأحاسيسه المبادىء والقيم التى يجب أن يتمسك بها وتلك التى يجب أن يعــرض عنهــا • وعلى ذلك فيمكن القــول بأن الانسان المصرى القديم لم ينس أن يتفهم الدعائم الاساسية فى تنشئة أطفاله وأن يركز على الاهتمام بمراحل الطفــولة المبكرة التى يتكيف فيها الطفل بالبيئة والمجتمع تكيفا قويا يستمر أثره طوال حياته •

---

(٢٤) احمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار ، المرجع السابق، ص٢٢١ •

الفصل الرابع

الحلى فى مصر القديمـة

موادها وصياغتهـا والغرض منهـا

استطاعت مصر فى العصر الفرعونى أن تؤدى دورا أصيلا فى كافة مجالات النشاط الانسانى وأن تتفـوق فى المضـمار العـلمى والفنى والحضـارى • وهذه المرحلة من تاريخ مصر الهـام تعتبر مرحـلة أساسية تمهد لمراحل لاحقة عليها تصل بنا حتى العصر المعاصر •

ما من شك فى أن الالوان ومظاهر التـألق تنعكس فى الحلى اذا أجيد حبكها، فالحلى مرآة ينعكس عليها المفهوم الجمالى ، وهى مظهـر من مظاهر الذوق الفنى واحدى ظواهر تطوره • ان دراسة الحـلى تسهم فى تصوير جانب من عادات المجتمع المصرى القديم وتقاليـده وامكانياته المادية . فازدهار صناعة الحلى فى مجتمع ما يتأثر الى حد كبير بمستوى الحياة الفكرية والاقتصادية وبالرقى الاجتماعى وكذلك النشاط التجارى . زد على ذلك أن هذه الدراسة تعتبر حيوية لأنهـا تتصل بطبيعة الناس •

واستطرادا فى تقدير التراث المصرى القديم ، أعتقد أن دراسته علميا تساعد فى ارتقاء الذوق المصرى الشعبى ، كما أن تزويد المتاحف بنماذج من ذلك الانتاج يساعد أيضا على مقدرة الصائغ المصرى أن

يبـــدأ من تراث مصر قديم وعريق • ففن صـــياغة الحلى من أقدم الفنون التى عرفتها مصر وأبدع فيها الفنان المصرى • وقد اتجهت بعض مدارس الفن المعاصر الى محاولة اقتباس أو تقليد ذلك الفن المصرى الرفيع • ولعل هذا الفصل يلقى بعض الضوء على فن صناعة الحلى ، حتى نستطيع أن نقف على حقيقة جانب من جوانب انتـــاج تراثنا الفنى القديم •

ويلمس الدارس فى تاريخ مصر القديم ، اهتمام المصريين القدماء بالزينة واستخدامهم العديد من المواد فى محيط بيئتهم منذ عصـــور ما قبل التاريخ مما ساعد على ازدهار هذا الجانب فى حياتهم • وتذكر كارولين وليامز Williams, C.R. [1] « ••• أن صناعة الحـــلى فى مصر الفرعونية قد بلغت شأنا كبيرا حتى أنه من العسير أن تقـــارن بهذه الصناعة فى عصرنا الحاضر ••• » • وقد ساعد المصريون القدماء على الابداع فى صناعة الحلى عوامل كثـــيرة أشـــار اليها وليـــام هيز Hayes, W.C. [2] عنـــد ذكره أن قدرات المصريين الفنية فى صياغة الحلى ترجع الى توافر المعادن والاحجار شبه الكريمة بكثرة ، وكذلك لوفرة ثرائهم • ولم يقتصر استخدام الحلى على النساء ، بل أيضـــا استخدمها الرجال لما لها من وظائف فكرية ، بالاضافة الى كونها حلى للزينـــة •

ومن ناحية أخرى صنع الفنان المصرى القديم حليا لها وظيفـــة

1) Williams, C.R., Catalogue of Egyptian Antiquities, Gold and Silver Jewellary and Related Objects, New York, 1924,P. 1.
2) Hayes, W.C., The Scepter of Egypt, New York, 1953, P. 228.

دينية خاصة هادفة الى ارضاء الآلهة أطلقت عليها اسم الحلى الجنزية تدفن مع الموتى فى منازلهم الابدية لتحقق غرضا دينيا بحتا .

وآلهــة الدنيــا الثانيــة هم أوزيريس Osiris وخنتــى أمنتيو Khentiamentiu وأنوبيس Anubis وهؤلاء هم الآلهة الذى كان المصرى القديم يتقدم اليها ببعض الحلى الجنزية لارضائها . ونحن نعرف أن المصرى القــديم وضــع مع جثته ابتــداء من عصر الدولة الوسطى أو أواخرها بعض التمائم Amulets ولم تكن هذه التمــائم يعتقد فى استخدامها كزخرف ، بل هى عبارة عن أحجبة يتقدم بهــا المصرى ببعض الادعية للآلهة فى العالم السفلى لكى يساعدوا على جعل هذه الحياة الابدية حياة مليئة بالسعادة والهناء . ولا يوافق بعــض المؤرخين على أن المصرى القديم كان يأخذ هذه الحلى معه لكى يرضى بها الآلهة ، بل لأنه كان يعتقد بأن الحياة فى الدنيا الثانية هى صورة من حياته فوق الارض ، وأن ما تزين به من حلى فى حيــاة الدنيــا الأولى لعله سوف يحتاج اليه فى عالمه الثانى الذى اعتقد أن فيه حياة وفيه مرح أيضا ، ويحتاج فيه الانسان الى نوع من أنواع التزين . وكانت هذه العوامل جميعها خير حافز للمصرى القديم على الابداع فى صناعة الحلى فوصل بها الى قدر كبير من الاكتمال الفنى .

كانت الأساور تشكل من قرون الحيوانات أو العظام أو العاج ، وأحيانا تصنع من النحاس أو الصوان الرقيق [٣] ، وقد حلت محلها بعد ذلك أساور أعرض مصنوعة من بعض المعادن كان يتحلى بهــا الرجال والنساء على السواء على أذرعهم وسواعدهم .

---

(٣) أ.ارمان و هـ . رانكه ، المرجع السابق ، ص٢٣٧ .

وكذلك الخلاخيل كانت تستعمل لتزيين رسغى الرجلين ، وكانت ذائعة الاستعمال لدى سيدات مصر القديمة كما هى فى الوقت الحاضر مع الفارق لدى الفلاحات .

والى جانب عقود الخرز البسيطة التى كانت تزود فى الغالب بالتمائم ، كان يتحلى الرجال والنساء منذ الدولة القديمة أيضا بقلائد عريضة .

أما التحلى بالأقراط، فيشير ارمان[٤] أنه قد دخل مصر من الخارج فى بدء الدولة الحديثة . فكان الأمراء يلبسون فى البداية حلقات بسيطة يتخذونها أقراطا ، ولكن سرعان ما استعملت النساء أشكالا متنوعة ، فتطورت الحلقات الى الاقراص المستديرة والاشكال الشبيهة بالأزرار «كلبس» ومعلقات الأذن الكبيرة الحجم .

أما الخواتم ، فيبدو أنها كانت تدخل فى جميع العصور ضمن الحلى المصرية ، وكان المصريون يضعون منذ أقدم العصور ، الخواتم فى أصابعهم مصنوعة من الاصداف وكانت بسيطة على هيئة حلقات ، ثم تطورت بعد ذلك فى أشكالها ، ويمكن اثبات استعمالها .

ومن الحلى كذلك ، زينة الرأس أو العصائب ، والحلية الصدرية التى كانت على شكل سلسلة تتدلى منها التمائم ، وهى تقابل ما يعرف لدى الفلاحات «باللبة» . ومن بين أدوات الزينة كانت الدمالج التى كانت تلبس حول الساعد تحت الكوع مباشرة ، وأبسط أنواعها يشبه ما تلبسه الفلاحات اليوم .

---

(٤) أ. ارمان ، و هـ .رانكه ، نفس المرجع ، ص٢٣٧ .

ولم يكـن استخدام الحـلى قاصرا على الافراد ذكورا واناثا فقط ، بل تعداه الى حلى الموميـات . وزيادة على ذلك ، فالتماثيل والآلهة كانت لها نصيب من حلى الزينة .

استخدم المصرى القديم فى صناعة الحلى مختلف المواد العظمية والصدفية والعاجية والمعادن وكذلك الاحجار شبه الكريمة . كما أنه اتجه فى بعض الاحيان الى استخدام وسائل صناعية مثل استخدام الزجاج ، وأصبحت هناك صناعة للحلى من مواد مقلدة تشبه بعـض المواد الاصلية ، وكان تقليدها يتم بوسائل لعل أقربها وأسهلها هو صنع نظائرها . وكانت هذه الوسائل الصناعية متقنـة لدرجة تلفت الانتباه . وفى هذا المجال وعلى سبيل المثال ، أشار كثير من البحاث الى صناعة التزجيج وهى صناعة ما يسمى القاشانى المصرى Fiance وكان يفضل تلوينه باللون الازرق والاخضر . وقد عثر فى مقابر فجر التاريخ على خرز وعقود وعلى تماثيل صغيرة من القاشانى .

واذا استعرضنا المعـادن التى استخدمها الصـائغ المصرى فى صناعة الحلى ، فاننا نرى المصريين يحصلون على النحاس منـذ عصر الحجر والنحاس من مناجم شبه جزيرة سيناء ، أما المواد البرونزية فقد استخدمت منذ الدولة الوسطى[٥] . وبالنسبة للحديد ، فقـــد وجد حقا فى مقابر العصر الباكر ولكن فى حالات قليلة للغاية ، فحبات خرز عصر جرزة هى أقدم حديد [٦] مشغول معروف . ويبدو أنه لم يكثر استخدامه فى الصناعة الا فى الدولة الحديثة . وعلى نقيض ذلك،

---

(٥) ا. لوكاس ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكى اسكندر ، ومحمود زكريا غنيم ، ومراجعة عبد الحميد أحمـد ، ص ٣٥٧ .

(٦) م. مرى ، المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .

استخدمت الفضة والذهب فى الصناعة فى مصر منذ أقدم الأزمنة حيث صنع المصريون تمائم من الفضة من عصور ما قبل الأسرات • وكانت الفضة فى نظر قدامى المصريين أنفس المعادن الثمينة ، فسائر النصوص القديمة تذكرها قبل الذهب • وفوق هذا ، فان ما وجد فى المقابر من الحلى الفضية أندر بكثير من الحلى الذهبية ، وترجع هذه الظاهرة الملحوظة الى أن الفضة لا توجد فى مصر ، بل كانت تستورد [٧] •

ان نظرة سريعة الى المراحل الزمنية التى مرت بها صناعة الحلى الذهبية فى مصر القديمة ، قد تعكس تطور صناعة الحلى بوجه عام خلال عدة عصور متتالية • وقد عبرت مرجريت مرى بكفاية عن مدى أهمية صناعة الحلى فى مصر القديمة بقولها « ••• كانت أبدع وأدق صناعة معدنية مصرية هى صناعة الذهب • فما من بلد قديم أو حديث باستثناء محتمل لصانعى عصر النهضة فى ايطاليا ، بلغ المستوى المصرى فى جمال الرسم أو دقة الصناعة • وقد بدأ عمل صانعى الحلى منذ بدأ عصر الأسرات • وأول ما يطالعنا عن مهارة صانع الحلى المصرى، الاساور الاربع التى عثر عليها فى مقبرة زوجة الملك جر ، وهى لذلك ذات أهمية عظمى فى تاريخ صناعة الحلى والذهب ، وتاريخ هذه الاساور يرجع الى الأسرة الأولى ••• »[٨] • ثم أشارت مرجريت مرى الى صناعة الذهب فى عهد الأسرة الثانية عشرة بناء على ما عثر عليه فى دهشور واللاهون بما يتضمنه من قلائد وتيجان وأساور بمشابك مطعمة وأحزمة من الودع ورؤوس من الذهب وعقود من حبات الخرز، فوصفت تلك القلائد بأنها تدل على كمال فى الصناعة • وأضافت أن حلى اللاهون كانت من نفس الطراز الدهشورى ماعدا التاج • واعتبرت الذهب المحبب «ذو الحبيبات» نوعا آخر من الزخرفة وجد فى هذا

---

(٧) أ• لوكاس ، المرجع السابق ، صص٣٨٨ — ٣٨٩ •
(٨) م• مرى ، المرجع السابق ، صص٣٩٩ — ٤٠٤ •

العصر • ويبدو أنه دخل مصر خلال عصر الأسرة الثانية عشرة • وقد تابعت صناعة الحلى تطورها خلال المراحل التاريخية المتتابعة •

وفى الامكان تقسيم هذا الموضوع الى الجانبين الرئيسيين التاليين:

- تصنيف الحلى من الناحية الفنية مع التعرض للجـــانب الوظيفى والفكرى للحلى الدنيوية والجنزية •

- المواد المستخدمة فى صناعة الحلى وبعض طرق صياغتها •

تصنيف الحلى من الناحية الفنية

فى الاستطاعة تصنيف الحلى من الناحية الفنية الى مجموعتين :

أولا : الحلى الدنيوية :

أ ـ حلى الرأس والرقبة والصدر وتشمل :

ـ الشعر المستعار والدبابيس والامشاط .

ـ عصائب الرأس .

ـ الاقراط .

ـ العقود والصدريات .

ب ـ حلى الاطراف والخصر وتشمل :

ـ الخـواتم .

ـ الاساور والدمالج .

ـ أحزمة الخصر .

ـ الخلاخيل .

ثانيا : الحلى الجنزية :

ـ الرقبية الجنزية .

— الاقنعة الجنزية .
— الاساور والخلاخيل .
— أحزمة الخصر .
— الجعلان والتمائم .

أما فيما يتعلق بالحلى الدنيوية ، فيلمس الدارس منذ عصر الاسرة الاولى ، توافر عدد من الاثار المصرية المتصلة بزينة الرأس. وقد اعتمد ذلك على ما يتناسب مع تقاليد المصريين أنفسهم آنذاك ، فقد كان من عاداتهم قص الشعر (*) . وكان من الطبيعي ضرورة استخدام وسيلة معينة لحماية الرأس بعد قص الشعر للرجال دون النساء . وقد أدى ذلك الى استعمال قلنسوة تؤدى تلك الغاية ، أو استخدام الشعر المستعار لنفس الغرض أيضا .

ولكن نظرا لاهتمام المصريين القدماء بالناحية الجمالية مع تحقيق الجانب الوظيفى ، فكان من الطبيعى استخدامهم بعض الحلى لتوفير الناحيتين الجمالية والوظيفية . وفى هذا الصدد استخدمت الدبابيس والأمشاط العظمية والعاجية وغيرها من أدوات الزينة ، ومثال ذلك ما عثر عليه فى المقابر الملكية للأسرتين الأولى والثانية فى أبيدوس من شعور مستعارة . ويتجه ارمان الى اعتبارها أول نموذج لها فى الآثار المصرية (1) .

وقد كان للشعر المستعار أشكالا مختلفة ، فمنه ما كان على هيئة جدائل ، ومنه الشعر المسترسل على الكتفين ، والشعر المجعد ، وكذلك الخصلات الملفوفة حلزونيا أو مضفرة على هيئة ضفائر رفيعة ،

(*) ربما يمكن تفسير ذلك لأغراض صحية وقائية بالنسبة لمناخ مصر العليا بصفة خاصة .

(1) أ. ارمان و هـ.رانكه ، المرجع السابق ، ص٢٢٩ ، هامش ٤ .

والاخيرة تشبه الى حد كبير ضفائر نساء قبائل البشاريين اليوم • وفى الدولة القديمة ، كان هناك نوعان من الشعر المستعار يختلفان فى الشكل ، فأحدهما يشبه الشعر المجعد القصير ، والآخر يشبه جدائل الشعر الطويل • أما فى عهد الدولة الوسطى ، فلا يوجد من الآثار ما يدل على وجود تغيير فى طريقة ترجيل الشعر •

وفيما يتعلق بدبابيس الشعر ، فقد كانت تصنع من العظم والعاج ، وكانت تستخدم فى تزيين الشعر المستعار كما كانت تظل فى الرأس حلية وزينة ، ثم اقتصرت المرأة فى الدولة الوسطى على استعمالها فى ترتيب الشعر المستعار ونزعها بعد تصفيفه •

أما فيما يختص بالأمشاط ، فكانت تستخدم لفرق الشعر وتسريحه ، وكان يوجد منها شكلان ، أحدهما بسيط ذو صف واحد ، والآخر ذو صفين • وكانت هذه الامشاط تصنع من الخشب بعد أن كانت تصنع من العاج • وكانت على نماذج مختلفة وأنيقة ، فبعضها حافته مقوسة تقويسا رشيقا ، وبعضها محفور عليه زخارف على هيئة الزهور وأوراق الاشجار ورؤوس الحيوانات، وغيرها كانت تتزين بآلهة الحب حتحور •

أما فيما يتعلق بعصائب الرأس ، فانه لما كان الشعر لدى المرأة يضايقها أثناء حياتها اليومية سواء فى المنزل أو الحقل أو غير ذلك ، وكذلك فى الاجواء المختلفة ، وبصفة خاصة أثناء فصل الشتاء ، فانه من الاقرب الى الطبيعى أن تلجأ المرأة الى لف شعرها برباط يحفظه ويبقى خصلات الشعر بعيدة عن عينيها ، فيحقق لها امكانية الحركة دون ازعاج • وقد اتجه ونلوك (٢) Winlock الى القول فى هذا الصدد

---

2) Winlock, H.E., The Treasure of El-Lahun, New York, 1934, P. 26.

أن الفلاحين فى مصر القديمة كانوا يستخدمون الحشائش الخضراء كى يلفون بها شعورهم للخلف ، ثم تطورت هذه العصائب وحل محلهـا فى الأسرة الأولى عصائب من الذهب الخالص استعملتها الطبقات العليا. وفى الأسرة الرابعة ، كانت عصائب الرأس تصـنع من الذهب اللين . وكان طولها يكفى لتحيط الرأس وفى نهايتها ثقوب يمر بها شريط من الكتان يربط على هيئة عقدة من الخلف . ويتجه ونلوك الى الاعتقاد بأن شرائط الكتان هذه قد اختفت فى الأسرة الخامسة ، وأن العصائب صنعت من الذهب الصافى ، وكانت تحلى بزهرتى اللوتس مكان العقدة الخلفية ، وكذلك بريشتين من المعدن فى طرفى العصبة. وكانت مثـل هذه العصبة تلبس كذلك فى نهاية الدولة القديمـة وفى عهـد الدولة الوسطى . وتمثل أربطة الشعر الخاصة بالأميرة سات حتحور أونيت من الأسرة الثانية عشرة تطورا هاما فى صناعة هذه العصائب ، اذ أننا نشاهد الشرائط الخلفية تختفى ويحل محلها ريش من الذهب ، كمـا يحل محل زهور اللوتس وريدات صغيرة .

هذا وقد وجد فى قبر الأمـيرة سـنب تى سى Senebtisi من الأسرة الثانية عشرة فى اللشت عصبة مكونة من ثلاثة أجزاء مستقلة مصنوعة من سلوك الذهب الملفوفة وتتشابك هذه الاجزاء مع بعضها فى مؤخرة الرأس بخيوط ذهبية رقيعـة تمر داخل حلقـات الرباط الذهبية ، وذلك لكى تمسكها من الخلف . أما فوق الجبهة فتتماسك الاجزاء الثلاثة بواسطة أسلاك تمر مباشرة بدلا من أن تتخذ أشكالا لولبية . والجزء العلوى من هذه العصبة منفصل بينما يكون الجزءان الآخران دلاية على هيئة قلب تتدلى فوق الجبهة . ومن المهم هنـا أن نذكـر أن هـذه العصـبة لم يعثـر عليهـا أثريا فـوق رأس

سنب تى سى بل وجدت بعيدة عن جسدها ، بينما عثر على عصبة شعر فوق الرأس فى مقبرة تى [٣] .

وأود الاشارة الى التاج ضمن حلى الرأس والرقبة حيث انه حلية لزينة الرأس بجانب كونه رمزا للسلطان . وقد اتخذ الفنان المصرى القديم بعض الرموز الملكية الالهية التى من أهمها ثعبان الكوبرا . وقد عثر على تاجين ضمن كنوز دهشور وتخص الأميرة خنوميت من الأسرة الثانية عشرة، ويختلف أحدهما عن الآخر . وأجملهما صنع ليشبه اكليلا من زهور آذان الفار توصلوا الى عمله بصنع زهور ذات خمسة فروع من الفيروز تتوسطهما قطعة صغيرة من العقيق الاحمر . ونظمت هذه الزهور فى أسلاك ذهبية تمسكها من حين لآخر حلية تتكون من أربع زهور لوتس مصنوعة بشكل الصليب .

أما فيما يتعلق بالأقراط ، فيتجه ارمان الى الاعتقاد بأن التحلى بالأقراط قد وفد على مصر من الخارج ، وأن حلقات الأذن فى أصلها من الجنوب . أما الأقراط التى كانت على هيئة الاقراص ، وما يتدلى منها على الصدغين فقد وفدت من آسيا [٤] . ويلمس الدارس لتطور هذه الحلية أن الأمراء والملوك كانوا يعلقون حلقات بسيطة يتخذونها أقراطا لآذانهم . ومازال الامر كذلك حتى انتقلت عادة لبس الاقراط الى النساء فاتخذنها لأنفسهن حلية ، وغالين فيها مغالاة جعلتها على أشكال مختلفة بل ومتعددة . وحينئذ لم يقتصر الامر على الحلقات البسيطة ، بل تعداها الى الاقراص المستديرة أو الكلبسات بلغة

3) Mace, A.C., and Winlock, H.E., The tombs of Senebtisi at Lisht, New York, 1916. P. 58.

(٤) أ. ارمان و هـ. رانكه ، المرجع السابق، صص٢٣٧ — ٢٣٨ .

اليوم ، وزدن عليها المعلقات الكبيرة والاشكال الشبيهة بالأزرار • ثم زاد تنوع أشكال الاقراط فرأينا ما هو على شكل الأوزة ذات الجناحين، أو الجعل المجنح • وهنا تنبغى الاشارة فى هذا الصدد الى أن استخدام المصرى القديم للأقراط التى اتخذت هيئة الجعل المجنح أنه وجد فى هذه الحشرة التى هى الجعل نوعا من أنواع الشبه بما يحدث عندما يخرج من لاشىء من رمال الصحراء فى الصباح المبكر ، يدفع أمامه كرة من روث الحيوان • وداخل هذه الكرة البويضات ، فقدس هنـــا الجعل •

فالانسان الاول كان يعتقد فى قوى خفية يراها ويشعر بتأثيرها ولا يفهم كنهها • فأراد أن يصـــور لنفسه هذه الظـــاهرة الطبيعية ، فاعتقد أنها تتمثل فى تلك القوى التى تخرج هذه الحشرة من باطن الارض • حتى أن كلمة أتوم Atum معناها الذى ليس ثم أصبح ، والذى خلق نفسه من نفسه • فاعتقد أن هذه القوى هى بعينها التى تدفع بقرص الشمس على صفحة السماء ، وأن هذا القرص يشـــبه الى حد كبير الكرة الصغيرة التى تتكون من روث الحيوان • وليس معنى ذلك أن المصرى القديم قد تعلق بالعنصر الزخرفى المتمثل فى هذا الجعل لهذا السبب ، اذ أن الجعلان ظهر فى الدولة القديمة فى وقت لم تكن فيه تلك العقيدة أصبحت ثابتة فى نفوس الناس مثل ثبوتهـــا فى الأسرة الخامسة • وعلى هذا لا يجوز لنا أن نرجع العناصر الزخرفية كلها الى معانى دينية وأن نغالى فى كل شىء ونرجعه الى بعض المعانى العميقة فى نفس المصرى القديم • اذ أن المصرى اتخذ أيضا من ثعبان الكوبرا عنصرا زخرفيا ونفذها فى كثير من القلائد • فالمصرى القديم

ينتمى الى جيل له بأسه، وكانت أقدامه ثابتة فى شئون الحضارة. وعلى ذلك لا يجوز أن نفسر كل شىء عند المصرى القديم بتفسيرات عميقة. كان هذا فيما يتعــلق بقيــم المصرى القديم فى مجال انتاجه الفنى . وعن أشكال الاقراط رأينا منهــا أنواعا ذات دلايات مختلفة الطــول والقصر ، وبعض الاقراط لم تكن مزركشة ، وأحيــانا كانت تزخرف بوريدات صــغيرة ، على حــين وجــدت فى الاقراط ذات المعلقــات «الدلايات» بعض الزخارف الفنية . هذا وقد وجدت فى بعض الاقراط فجوة ضيقة تضغط فيها الأذن ، كما كان البعض الآخر مزودا بدبوس ينفذ فى الأذن المثقوبة .

وأعتقد أن اتجاه المصرى القديم الى استخدام بعض الاشكال النباتية وتنفيذها على هيئة حلى كالوريدات مثلا ما هو الا نتيجة تأثره بالبيئة المحيطة حوله حيث يلمس بصورة دائمــة الزهور والنباتات ، فأراد أن يعبر عنها فى مجال الحلى فاستخدمها وعبر عنها .

أما العقود، فقد كانت فى أول الأمر لاتزيد عن حبات الخرز تنظمها خيوط بسيطة، وكانت تضم الى حباتها بعض التمائم فى أغلب الاحيان. والى جانب هذه العقود البسيطة، كانت توجد عقود أخرى أكثر تركيبا، تنتظم فيها عدة خيوط أو فروع من الخرز . وبعــض العقود كانت تختلف حباته بين دلايات تحمل رموزا دينية كعقد الأميرة خنوميت الذى يحمل رموزا كرمز الحياة «عنخ» ، ورمز الخلود «جد» ، ورمز الســعادة «واس» .

وكانت العقود أو القلائد تثبت حول الرقبة بثقــل من الخــلف يتدلى على شكل شرابة لكى يحفظها فى مكانها .

وحينما جاءت الدولة الوسطى ، لم يقتصر الصائغ المصرى على القاشانى أو الاحجار شبه الكريمة فى صناعة مثل هذه القلائد ، بل لجأ الى استخدام الذهب والفضة بجانب هذه المواد .

أما فيما يختص بحلى الاطراف والخصر ، فأبدأ بالخواتم . فلقد كان المصريون القدماء يحلون أصابعهم بالخواتم منذ عصور ما قبل الأسرات ، حيث كان العـاج والصـدف يشـكل على هيئـة رؤوس حيوانات (٥) . ولعل أشـكال الخـواتم المعـروفة ترجع الى الدولة الوسطى وفى بعضها فص محلى بحبيبات دقيقة . وهذا النوع يحتمل أن يكون منقولا من حضارة جزيرة كريت . فمن المعلوم أن مؤثرات حضارية قد بدأت تظهر فى مصر منذ عهد الدولة الوسـطى وافدة من الحضارة المينوية (٦) من كنوسوس فى جزيرة كريت . ولكننا نعتقـد أن هذا القول يحتاج الى مراجعة ، ذلك بأن ترتيب حبات الخـرز على هذا النحو المتراص مستقى فيما نعتقد من طبيعة البيئة المصرية ، فهذا التراث مأخوذ من ثمرة السنط المصرية والرجوع بهذه الفكـرة الى تقليد البيئة أرجح فى الرأى من ارجاعها الى بيئات أجنبية .

وقد استخدمت الخواتم فى أول الامر كأختـام لتوثيـق كافة المكاتبات الرسمية والخاصة . وقد نقش عليها بعض الزخارف التى ربما يكون لها تجاوبا تفاؤليا (٧) فى حياة الانسان المصرى القـديم ،

---

5) Capart: Primitive Art in Egypt, Engl. Transl. by: Griffith, A.S., London, 1905. P. 5.

6) Kantor, J., H., The Aegean and the Orient in the Second Millennium B.C., Bloomington, U.S.A., 1947.

7) Mac Iver, R., and Mace, A.C., El Amrah and Abydos, London, 1902, P. 18.

وقد نقش على بعض الاختام اسم ولقب صاحبه أو كتابات أو رسوم. وقد اتخذت الاختام أشكالا مختلفة ، فقد عثر على أنواع منها البسيط الذى صنع على هيئة حلقة من المعدن ، ومنها أنواع معقدة اتخذت أشكال رؤوس الحيوانات ، ومنها ما ثبتت فيه الاحجار شبه الكريمة . ولقد دخلت فى صناعة الاختام الكثير من المواد المعدنية كالبرونز والحديد والنحاس والذهب والفضة ، وكذلك المواد الخزفية الملونة ، والاحجار شبه الكريمة .

ويتجه هيز (٨) الى الاعتقاد بأن الجعلان صارت تستخدم كأختام منذ بدأت الدولة الوسطى ، بعد أن كانت فى الاصل تقوم بوظيفتها كتمائم . هذا بجانب الوظيفة الاقتصادية لتلك الاختام لما لها من فاعلية فى كافة المعاملات التجارية .

وهكذا تكشف دراسة التحلى بالخواتم عن كثير من أصول العادات التى اتبعها الانسان المصرى القديم . فقد رأينا أن استعمالها لم يكن لغرض الزينة فحسب ، وانما جاوز هذه الغاية الجمالية الى غايات أخرى ، كاستخدامها فى توثيق الرسائل والالتماسات وللتعبير عن شخصيته . وقد اعترف المجتمع بفائدتها حتى أنها تستعمل حتى الآن فى المجتمعات المعاصرة .

أما الاساور والدمالج ، فقد اتجه ارمان الى الاعتقاد بأن الانسان المصرى القديم قد استخدمها منذ أقدم العصور (٩) . وقد

8) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 238.

(٩) ا. ارمان و هـ.رانكه ، المرجع السابق ، ص٢٣٧ .

عثر على نماذج منها مصنوعة من قرون الحيوانات أو عظامها ، أو من العاج أو من الصوان الرقيق (الظران)(*) . ثم استعمل الصائغ المصرى بعد ذلك المعادن والاحجار شبه الكريمة فى صياغتها . وكان الرجال والنساء يستعملون هذه الحلى ، حيث كانت الاساور تلبس لتزيين الرسغين ، بينما كانت الدمالج تلبس حول السواعد .

وقد أشارت كارولين وليامز (١٠) الى التطور الذى دخل صناعة هذه الاساور خلال المراحل الزمنية المختلفة فى مصر القديمة ، فأوضحت أن الاساور كانت تقتصر فى بادىء الامر على فرع رفيع ينظم به خرز . ومثال ذلك الاساور التى عثر عليها منتمية الى عصر ما قبل الأسرات. ثم بدأ الصائغ المصرى يطور فى صناعة الاساور منذ عهد الأسره الأولى ، فأدخل المشابك فيها . وتدلنا أساور زوجة الملك جر على تطور هام فى صناعة الحلى فى هذه الفترة المبكرة . وقد اكتشف بترى هذه الاساور على ذراع زوجة الملك جر فى أبيدوس . أما عن التصميم الفنى فى صناعة هذه الاساور ، فالاسورة الأولى منها تتكون من ثلاثة عشر قطعة ذهبية وأربعة عشر قطعة من الفيروز . وقد صنعت الاسورة على شكل افريز واجهة قصر تعلوها مجموعة من نوع الاله حور على هيئة صقور . وزخارف الفيروز فى الاسورة الأولى تعتبر أقدم عهدا من زخارف الذهب . وقد لوحظ كذلك على الثقوب الموجودة فى قطع الفيروز أنها تتجانس مع التجاويف الثلاثة تحتها بينما لا نجد مثل هذا التجانس على القطع الذهبية . ويشير بترى الى احتمال

(*) يملك متحف برلين مجموعة جميلة منها .

10) Williams, C.R., Op. Cit., P. 10.

تقليدها من العلامة الهيروغليفية جر ، ولو أنه يعتقد أن ذلك أمر غير نهائى [١١] أما الاسورة الثانية ، فتختلف فى تصميمها اختلافا واضحا عن الاسورة الأولى • فعلى جانبى السوار الثانى توجد مجموعة من الخرز يربطها ببعضها سلك ذهبى مضفر بشعر سميك • وتوجد الوريدة الذهبية فى مجموعة الخرز الامامية • وهذه الوريدة مقتبسة من قلب زهرة اللوتس ، وقد صنعت مفرغة وبها ثلاثة ثقوب من كل جانب • أما مشبك السوار فقد صنع على هيئة «زرار» و «عروة» ويتخذ الزرار هيئة كرة ذهبية لحم فيها مشبك مصنوع من سلك ذهبى • ولا يوجد أى أثر من اللحام ظاهرا [١٢] •

أما الاسورة الثالثة ، فهى تتكون من ثلاث مجمــوعات خرزية مشابهة فى التكوين • احداها وهى الوسطى أكبر حجما من الاثنتــين الاخريين • وينتظم وسط كل مجموعة خرزية ثلاث حبــات من خرز اللازورد الارجوانى • ويذكر بترى أن لونها كان فريدا فى نوعه • أما حبات الخرز الذهبية ، فيشير بترى الى أنها قد شكلت بطريقة تشــبه مثيلاتها التى عثر عليهــا دى مورجان De Morgan من عصر منى ، والتى كانت الخرزات الذهبية فيها تصنع من سلك حلزونى سميك من الوسط • وكانت الاسورة تثبت على الساعد بواسطة قفل على هيئة زرار وعروة أيضا •

أما رابع الاســاور التى تخص زوجة الملك جر ، فقــد اختلفت اختلافا كليا فى تشكيلها عن الثلاث السابقات • فقد صنع كل طرف

---

11) Petrie, W.M.F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, Part II, London, 1901, P. 17.

12) Petrie, W.M.F., Ibid., P. 17.

من السوار من خرزات ذهبية بينما توجد فى الوسط خرزات مصنوعة من الجمشت . هذا وقد تبين أن واحدة منها مصنوعة من الحجر الجيرى ولونها بنى داكن . وكل من هذه الخرزات له حافتين يتوسطهما تجويف عميق . ويوجد شعرتان مررتا خلال الخرز المثقوب ، واحدة من كل جانب . وقد حفظت الشعرتان فى مكانهما بخيط ذهبى رفيع (١٣) .

ويلمس الدارس لهذه الاساور الابداع الفنى والتحكم الدقيق فى الزخرفة والتنويع بين الذهب والاحجار شبه الكريمة التى استخدمها الصائغ المصرى فى صناعتها . ولعل الاسورة الأولى منها خير شاهد على براعة الصائغ المصرى فى هذه الفترة المبكرة . وفيما يتعلق بصناعة تلك الاساور ، يتجه دريوتون (١٤) الى الاعتقاد بأن الصانع المصرى قد تجنب الملل والثقل فى صناعتها . ويؤكد كذلك أن زخارف الذهب كانت أكثر رقيا فى صناعتها من زخارف الفيروز وأحدث منها عهدا .

أما أساور الدولة القديمة التى استرعت الانتباه ، فهى الاساور الخاصة بالملكة حتب حرس والتى صنعت من الذهب والفضة والنحاس ورصعت بالأحجار شبه الكريمة .

هذا وقد تطورت صناعة المشابك الذهبية فى الاساور فيما بعد ، كما زادت صفوف الخرز بها ، حتى وصلت الى ما بين ثمانية وستة عشر فرعا فى عهد الأسرتين الخامسة والسادسة .

أما أساور الدولة الوسطى ، فيميزها أن مشابكها تتخذ شكل المينا المطعمة ذات الحواجز المعروفة بـ Cloisonne ويظهر ذلك

13) Petrie, W.M.F., Ibid., P. 18.

(١٤) أ. دريوتون ، ج. فاندبيه ، المرجع السابق ، ص٢٤٩ .

بوضوح فى حلى الأسرة الثانية عشرة التى عثر عليها فى دهشور •

أما حلى الخصر ، فقد كانت الاحزمة تصنع من ضفائر من صفوف الخرز الاخضر والازرق • وترجع هذه الاحزمة فى قدمها الى عهد حضارة البدارى • ومن أبدع الاحزمة التى تنتمى الى الدولة القديمة، حزام عثر عليه المرحوم الاستاذ عبد السلام حسين فى سقارة وهو ينظف طريق معبد بتاح شبسس من الأسرة الخامسة وهذا الحزام موجود بالمتحف المصرى ، ومسجل تحت رقم (٨٧٠٧٨) وبه مشبك جميل ، كما أنه يتكون من شريط طويل من الذهب مزود بكثير من الثقوب • وفى هذه الثقوب توجد مجموعة من أجمل الانواع الخرزية• ومن أبدع نماذج الاحزمة كذلك ، ما عثر عليه ضمن كنوز دهشور واللاهون ، ويخص أميرات الدولة الوسطى • وقد وصف سميث (١٥) Smith هذه الاحزمة بأنها كانت مصنوعة من الذهب الذى شكل على هيئة الاصداف ورؤوس الأسود • ويضيف ونلوك(١٦) Winlock أنه قد عثر فى كنوز الأميرة سات حتحور بدهشور على حزام للخصر به ست من هذه الاصداف ، كل واحدة منها أقصر بحوالى سنتيمتر واحد عن الاصداف الموجودة فى حزام سات حتحور أونيت من اللاهون • وحزام سات حتحور أونيت يتكون من خرزات كروية الشكل مصنوعة من الجمشت ، ويفصل بينها رؤوس أسود مصنوعة من الذهب بعضها كبير الحجم والبعض الآخر صغير ومزدوج • ويلاحظ فيه عقد

---

15) Smith, W.S, The Art and Architecture of Ancient Egypt, 1958, P. 112.

16) Winlock, H.E., The Treasure of El Lahun. New York, 1934, PP. 37—40.

مزدوج من الجمشت يخص نفس الأميرة ويتضح التناسق التام فى الشكل بين العقد والحزام • ويلاحظ كذلك وجود مخلبين ذهبيين ومشبك على هيئة عقدة ذهبية فى العقد [17] • ويتجه ونلوك الى الاعتقاد بأن الأميرة مريت كان لها حزامين ، أحدهما يتكون من أصداف كبيرة ويشبه الى حد كبير حزام سات حتحور أونيت • بينما صنع الآخر من أصداف صغيرة• والنوع الاخير كان معروفا جيدا فى قبور بعض الخاصة من عهد الدولة الوسطى •

أما الخلاخيل ، فكانت ذائعة الاستعمال لدى سيدات مصر القديمة كما هى فى الوقت الحاضر لدى الفلاحات • وكانت على أشكال مختلفة، فمنها البسيط الذى يتكون من قطعتين مستديرتين من المعدن ، ومنها المعقد الذى يتكون من صفوف من الخرز الدقيق تتشابك مع بعضها بمشابك • وقد وصف ونلوك [18] الخلاخيل التى عثر عليها ضمن كنوز اللاهون • وكانت هذه الخلاخيل تتكون من دائرة تتألف من ثلاثة وعشرين صفا من الخرز الدقيق تتشابك مع بعضها بثمانية قضبان ذهبية زودت بمشبك • ومن الواضح أن القضبان الذهبية كانت تمنع الخرز من أن ينفرط عقده • ومازالت هذه الخلاخيل حتى وقتنا الحاضر حلية تختص بها المرأة الشرقية بوجه عام • ومن المحتمل تواجد بعض الصلة بين هذه الحلية المصرية الاصل وبين ما يناظرها فى الهند • والواقع فان هناك بعض العناصر المشتركة بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة الهندية بوحه عام • ولكن قدم الحضارة المصرية ليدفع الى الاعتقاد بأن الاصول الاولى لهذا الانتاج كان فى الحضارة

17) Hayes, W.C., Op. Cit., PP. 234—235.

18) Winlock, H.E., Op. Cit., P. 47.

المصرية القديمة . هذا عن الناحية الوصفية لحلى الزينة التى استعملها الانسان المصرى القديم فى حياته الدنيوية .

أما فيما يتعلق بالحلى الجنزية ، فلقد عثر فى مقابر قدماء المصريين على حلى وعلى خرزات كانت تتحلى بها المومياوات . وكانت هذه الحلى اما تصنع خصيصا ليزين بها جسد الميت ، واما كانت تستعمل فى حياته الدنيوية ثم توضع معه فى مقبرته فى صندوق منفصل .

والحلى الجنزية كانت تشمل العقود والرقبيات العريضة ، والاقنعة الجنزية وأحزمة الخصر ، والاساور والخلاخيل ، وكذلك الجعلان والتمائم . ومن نماذج الحلى التى عثر عليها ، الرقبية العريضة التى وجدت على جسد واح Wah وتنتمى الى نهاية الأسرة الحادية عشرة . وهذه الرقبية تتكون من ثمانية صفوف من الخرز الأنبوبى المصنوع من القاشانى الازرق الذى تشوبه الخضرة ، بالاضافة الى صف آخر من الدلايات ! وقفلين فى نهايتى العقد صنعا من نفس المادة وشكلهما شبه دائرى (١٩) . ثم تطورت الرقبية الجنزية بعد ذلك فى الأسرة الثانية عشرة ، فأصبحت أقل عرضا من مثيلاتها فى الأسرة الحادية عشرة ، وصارت تضم صفوفا أقل ، بالاضافة الى أن الخرزات التى صنعت منها الرقبية صارت كذلك قصيرة وسميكة . وقد لوحظ أن معظم الرقبيات الجنزية التى تنتمى للأسرة الثانية عشرة قد صنعت من خرز متعدد الالوان . وفى مقبرة سنب تى سى فى اللشت

19) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 307.

وجدت رقبيتان [٢٠] بهما دلايات وأقفال مصنوعة كلها من معجـون مغطى بوريقـات الذهب وبخرزات من الفيروز والعقيق والقاشـانى الاخضر • وتظهـر مميزات الرقبيات الجنزية المنتمية لمعهـد الأسرة الثانية عشرة بوضـوح فى رقبيـة لسنب تى سى • ويلاحظ فى هذه الرقبية بأنها قد زودت بقفلين على هيئة رأس صقر مما يؤكد الصفة الدينيـة لتلك الحـلى • أما عينى هذين الصـقرين فكانتا مرصعتين بالعقيق • وقد لوحظ أن القفلين ليس بهمـا ثقوب لتعـليق الخيـط عليها ، ويترتب على ذلك أن مثل هذه الرقبيات كانت تغطـى الصدر والكتفين فقط من الامام دون أن تمر حول الرقبة ، أو بمعنى آخر ، أنه لم تكن هناك وسيلة لقفلها • هذا وقد وجدت كذلك رقبية ثالثـة لسنب تى سى [٢١] فى اللشت تعتبر فى الواقع نموذجا حيا للرقبيـة الذهبية • وقد صنعت هذه الرقبية من قطعة نحاسية شكلت على هيئة الرقبية ، ثم غطيت من السطحين بوريقات من الذهب ، وحفرت الاقفال والدلايات على سطحها الامامى •

ويشير وليام هيز الى أنه كان هنـاك ما يزيد على خمسة عشر نوعا مختلفا من الرقبيات الجنزية ، أطلق على كل منهـا اسم خاص بها ، كالرقبية الذهبية ، ورقبية الفيروز ، والسحر الأعظم [٢٢] •

أما فيما يختص بالأقنعة الجنزية ، فيشير رشيد أنه فيما يتعـلق بنشأتها ، فمن المحتمل القول بأن الانسان المصرى القديم قد حاول

20) Hayes, W.C., Ibid., P. 307.

21) Garstang, J., The Burial Customs of Ancient Egypt, London, 1907, PP. 110, 113, 173.

22) Hayes, W.C. Op. Cit., P.P.306-307.

التغلب على القوى الشريرة التى كانت تهدد أمنه باستخدام طريقة جديدة ترجع الى أصول افريقية ، وهى صنع أقنعة ومسوخ طينية تحمل أشكالا شيطانية وكان يرتديها الانسان أو يضعها فى منزله أو مقبرته كنوع من اخافة هذه القوى الشريرة وبالتالى ابعادها عنه ٠ وربما كان لاتصال المصريين التجارى والحضارى مع افريقية الزنجية له نتائجه المباشرة وغير المباشرة فى هذا الصدد ٠ ولاشك أن الانسان المصرى القديم قد هدف من وضع أقنعته الجنزية الى تأمين عنصر الوقاية لذاته فى حياته المستقبلة فى العالم الآخر ، وخلال اجتيازه كافة الصعوبات التى من المحتمل مواجهته اياها فى رحلته الابدية[٢٣]٠

ولو أننى أرى أن تطور القناع فى مصر القديمة كان معروفا ، حيث بدأ هذا التطور أولا بصناعة ما تسميه بالرأس البديلة ٠ والرأس البديلة هذه كانت توضع فى المقبرة على أساس أن الرأس عند التحنيط فى أول ظهوره كانت جزءا من الجسم الذى يتهشم ، وكانت ملامح الرأس ولاشك ملامح غير طبيعية بعد عملية التحنيط البدائية ٠ وقد بدأ بالتحنيط مع الملوك ابتداءا من الأسرة الثالثة ، ثم استمر مع الملوك حتى أواخر عصر الأسرة الرابعة ، ثم بعد ذلك أصبحنا نجد هناك محاولات لتحنيط جسم الانسان اذا لم يكن تابعا للأسرة الملكية ٠ ولاشك بأن فكرة المحافظة على ملامح الوجه فكرة عند المصرى القديم حتمتها ايمانه بأن الكا لا يمكن أن تتعرف على الجثة الا اذا كانت كاملة الشكل والملامح ٠ ومن هنا بدأ المصرى القديم يحرص تمام الحرص على وضع تمثال للكا ٠ وقد بلغت هذه التماثيل حدا من

---

(٢٣) رشيد الناضورى ، المغرب الكبير ، الجزء الاول ، ١٩٦٦ ، ص ٢١٨ ٠

الكمال فاقت به كل الحضارات القديمة • ثم تبع ذلك أن فكرة التمثال ووضع تلك الاشياء فى الاجزاء العليا من المقبرة قد بدأت تضمحل على أساس الثورة الاجتماعية التى بدأت فى عصر الأسرة السادسة • وبأن المصرى القديم كان يلجأ الى حجـرة الدفن فيضع فيهـا كل ما كان يضعه على هيئة نقوش وعلى هيئة مناظر فى الحجرات العليا لكـى لا تقع تحت تأثير السلب والنهب والتهشيم ، ومن هنا بدأ القنـاع يظهر • وهذا القناع ظهر بشكل واضـح فى أواخر عصر الاضمحلال الاول ، ثم بدأ يستقر فى الفن المصرى فى نهاية العصور بحيث اننـا عندما نلاحظ فى العصر المتأخر والعصر البطلمى نجد أنواعا مختلفة سديده التسبه بالانسان ، وكانت توضع فوق رأس الجثة • وكان يجتهد فى صنعه فيجعل وجهه فى صورة هى بعينها ملامح صاحب هذه الجثة• ونحن نرى هدا بشكل واضح فى الثلاثه توابيت الخاصة بتوت عنـخ أمون ! وحدلك فى القناع الذهبى الدى وضع على وجه الجثة • وأعتقد بأن الديانة المصرية القديمة لم تكن تحـرص فى يوم من الايام على ابعاد الارواح الشريرة • فالديانة المصرية من الديانات القديمة التى ليس فيها أرواح شريرة ، والديانة المصرية هى الديانة الوحيدة التى لم يكن فيها آلهة تميل الى سفك الدماء • ولم يعثر فى أية وثيقـه على أن هناك آلهه تطلب من الانسان المتعبد لها أى تضحية بشرية أو سفك الدماء بشكل من الاشـكال • ولذلك فان الارواح الشريرة هى تلك الارواح التى تتمثل فى بعـض الصعوبات التى يلقـاها الميت فى طريقه الى الدنيا الثانية •

أما بالنسبة للمجتمع الافريقى الغير متحضر ، فان وضع القناع كان متعلقا بتلك القوى الخفية التى تتجسد فى الحاكم أو الكـاهن

أو الساحر ، وعلاقة هذه الشخصية بالطبيعة . كما كان هناك بعـــض المعلقات التى يمكــــن أن نقول عنهـــا بأنها أرواح شريرة فيجب اذا ابعادها عن كيان هذا الحاكم طوال ما هو موجود وطوال ما هو حى يمارس عمـــله . وأن هذه العملية تنقلب وتنعكس على الطبيعة فاذا مرض الحاكم فى يوم من الايام ، قلت المحصولات ومرضت الماشية.

وهكذا كان هذا الربط قويا الى درجة أنهـــم كانوا يعلقون آمالا كبيرة على ربطها بالارواح الشريرة . ولكن هذا لم يكن فى يوم من الايام من مظاهر الحضارة المصرية القديمة .

آما جارستانج فيشير فى هذا المجال الى أن الاقنعة الجنــــزية كانت تتشكل على تقاطيع الوجه وتتصل بهـــا لحية من الخشب ، فى الوقت الذى يسترسل فيه الشعر المستعار أمام الكتفين . وكان القناع مصنوعا فوق التابوت الآدمى الشـــكل مما نسميه بالاستكو Estko وهو عبارة عن لفائف مثبتة فوق بعضها ومصنوعة من الكتان المصرى وفوقها طبقة من الجص ثم تلون طبقة الجص بملامح الوجه . وكانت هذه الاقنعة الجنزية تنسق تنسيقا بديعا مع رقيبات مماثلة لها (٢٤) . وقد ظهر هذا التنسيق فى الحلى الجنزية المنتمية لعهد الدولة الوسطى. ومن النماذج الموضحة لذلك، القناع الذى عثر عليه على جسد شنم حتب فى مير من الأسرة الثانية عشرة . ويجانب القناع يلاحظ وجود ثعبان الكوبرا على الجبهة ، ولحية صناعية . ومثل هذه الرموز فى الاقنعـــة كانت تعبر فى الواقع عن أمنيات الميت ورغباته (٢٥) .

---

24) Garstang, J., OP. Cit., PP. 110, 113, 173.

25) Hayes, W. C., OP. Cit., P. 310.

أما الاساور والخلاخيل الجنزية ، فقد عثر عليها ممسكة فى مكانها بأربطة ، ولم تلتف التفافا كاملا حول مفصلى القدمين أو رسغى اليدين. ولعل الاساور والخلاخيل التى وجدت على جسد واح تعطينا فكرة طيبه عن وضع هده القطع فى نهاية الأسرة الحادية عشرة . فاننا نشاهد أنها كانت نتميز بطولها ووسعها عما كانت عليه فى أوائل الأسرة الحادية عشرة (٢٦) .

وبالنسبه لأحزمه الخصر الجنزيه ، فقد عثر على نماذج متعددة لها . من ابدعهــا الأحزمه الخاصــة بسنب تى سى والتى وجدت فى اللشت (٢٧) . وفى أحد هذه الأحزمة الخاصة بسنب تى سى يظهـر المفهوم الفكرى فى صناعة الحلى الجنزية ، ويتضح تأثر الفنان المصرى القديم بالبيئة المحيطة حوله . وقد صنع هذا الحــزام من خرزات القاشانى الدقيقة ، كمــا نقشت على مشــبكه الرموز الهيروغليفية سنب تى سى ويتدلى من الحزام قطعة طويلة تشبه الى حد كبير ذيل الحيوان ، كما يتدلى على جانبى هذه القطعة اثنان وعشرون شريطا . هذا وقد صنعت هذه الشرائط من الخرز على هيئة تمثل نباتات مصر العليا والسفلى . ويلاحظ أن الاشرطة المدلاة من الحزام من ناحيته اليمنى قد اتخذت شكل نبات الزنبق Lily اشارة للجنوب ، بينمــا اتخذت الشرائط المدلاة من ناحيته اليسرى شكل نبات البردى Papyrus اشارة للشمال . ويعنى تشكيل الخرز فى الاشرطة على هذا النحــو أن جسد سنب تى سى لابد أن يواجه الشرق أثناء وضعه فى القبر ، وقد كانت هذه هى عادة الدفن المتبعة فى عصر الدولة الوسطى من مصر القديمة (٢٨) .

---

26) William, C.R., OP.Cit., P. 11.

27) Mace, A.C. and Winlock H.E., The Tomb of Senebtisi at Lisht, New York, 1916, P. 68.

28) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 309.

أما عن الجعلان التى استعملت ضمن الحلى الجنزية ، فاننا نشاهد الدقة المتناهية فى صناعة هذه القطع الصغيرة وتشكيلها على هيئة الجعل . وكان الصانع المصرى يطرق الجزء السفلى الذى تشغله انسيقان مستويا ، ثم يحفر عليه الاسم أو بعض الرسوم السحرية(٢٩). وفى هذا المعنى ، يشير برنتون الى أن الجعلان التى كانت تستعمل كتمائم للموتى كانت تختلف عن جعلان الاحياء ، اذ تنحت بها الارجل فى مكان القاعدة الملساء ، لتشير بذلك الى أنها جعلان حقيقية (٣٠) . ويطلب لذلك فاعليتها الدينية فى حياة صاحبها فى العالم الآخر . وفى الدولة الوسطى شاعت رسوم الجعلان وكانت غالبا حلزونية ومرتبة فى زخارف معقدة وجميلة . وكانت الجعلان سواء الملكى منها أو الخاص تشبه فى دقتها الجعلان الحقيقية . وكانت تصنع اما من الحجر أو القاشانى ، ثم أصبح الاستياتيت المزجج باللون الازرق والاخضر شائع الاستعمال فى الاسرة الثانية عشرة . كما كانت بعض الجعلان تصنع من العقيق أو الجمشت . ولما كانت هذه الاحجار صلبة ويصعب النقش عليها ، فقد غطيت قاعدتها برقيقة ذهبية تنقش عليها العلامات المطلوبة . ولم تكن قيمة هذه الجعلان تتركز فى أشكالها أو المواد التى صنعت منها بقدر ما كانت تحتوى على نقوش تحمل أسماء وألقاب أصحابها وأمنياتهم وأشكال الآلهة ، بالاضافة الى أشكال الحيوانات والطيور .

ويحوى متحف المتروبوليتان بنيويورك حوالى ستمائة من الجعلان التى تنتمى لعهد الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة . ومن بينها

29) Hayes, W.C., Ibid., P. 237.

30) Brunton, G., Lahun, 1, The Treasure, London, 1920, P. 113.

جعــل يخص واح • وقد صــنع هذا الجعل من الفضة ونقش عليه أسماء واح و مكت رع بالذهب انساحب اللون • وتظهر على الجعــل رسوم لثعبان الكوبرا ونقــوش هيروغليفية أخرى • ويصــف ونلوك ثلاثة جعلان وجدت ضمن كنوز الاميرات الثلاث ، ويرجع استعمالهـــا اما للزينة الشخصية أو كتمـــائم • وقد صنعت اثنتـــان من الدهب الخالص ، بينما صنعت الثالثة من اللازورد ، ووجد بكل منها ثقب أفقى للتعليق • ومن الواضح أنها كانت تلبس وهى مدلاة من حبــل يلتف حول الرقبـــة أو المعصـــم بحيث يتوســـط الجعل المصنوع من اللازورد الجعلين الآخرين [٣١] • ويميل ونلوك الى الاعتقاد بأن هده الجعلان ربما لا تدخل فى نطاق الحلى الجنزية ، حيث أنها كانت متينة الصنع ومنسقة بعناية • ومن ناحية أخرى عثر على جعـــارين أخرى مصنوعة من اللازورد ضمن كنوز اللاهون ، من بينها جعــل يحمــل شـــعار أمنمحات الثالث ، وآخر خال من النقوش وكلاهما وجد مـــع التاج [٣٢] • هذا وقد عثر على بعض الجعلان التى اتخذت شـــكل القلب • ويعتقد ونلوك أن السبب فى اتخاذ هذا الشـــكل انما يرجع الى اعتقاد المصريين القدماء بأن القلب ليس مركز الحياة فحسب ، بل هو مركز العاطفة والروح كذلك ، مما يربطها أيضا بالجانب الدينى بالاضافة الى نطاقها الفنى [٣٣] •

أما عن التمائم العـــديدة التى حاول الانسان المصرى القـــديم وقاية نفسه بها منذ زمن قديم ، فنتذكر منها ذلك الجعل الصغير الذى

31) Winlock, H.E., The Treasure of Three Egyptian Princesses, New-York, 1948, P.27.
32) Brunton, G., Op. Cit., P. 113.
33) Winlock, H.E., OP.Cit., P.41.

كان يعد حماية جيدة لمن يرتديه ، وكذلك عقد به عدد معلوم من العقد . فمثلا احداها فى المساء وأخرى فى الصباح حتى يتم منه سبع عقد . وكان من هذا القبيل كذلك أن تنظم سبع حلقات من الذهب ، وسبع حلقات من الحجر فى سبعة خيوط من الكتان تعقد بها سبع عقد . وكان من الممكن أن تضاف الى هذا أيضا وسيلة خاصة كخاتم نقشت عليه صورة يد وتمساح ، أو كلوحة صغيرة عليها طائفة من صور الآلهة ، أو أى علامة أخرى مما يجلب الحظ . واننا لنعرف الآن هذه الاشياء الاخيرة وخاصة من التمائم التى كانت تطلق على الموميات كما رأينا من قبل ، والتى تزخر بها مجموعات الآثار . ولكن لا يعرف عما كان ينسب الى كل هذه التمائم من كفاية ، ولا عن الاساس الذى كانت تعتمد عليه قدرتها على التأثير . ولا يكاد المصريون أنفسهم فى العصر المتأخر يحدثوننا عن ذلك بشىء واضح . وكل ما كان ممكنا أن يخبرونا به هو أنه فى سائر هذه التمائم تكمن القوى التى تسمو على الطبيعة ، والتى تملكها الآلهة ، والتى تستقر فى أسمائهم الخفية ، والتى يمكن كذلك أن تحل فى الاشياء المقدسه كتيجان الملكة الزاخرة بالسحر . ومن شأن التمائم والرقى التى تنقل الى الانسان نصيبا من هذه القوى التى كان يعتمد عليها فن السحر .

المواد المستخدمة فى صناعة الحلى

وقبل الاحاطة بطرق الصياغة الفنية لتلك الحلى سـواء كانت الدنيوية أو الجنزية ، فتنبغى الاشارة الى المواد الرئيمسية المعدنيـة والاحجار شبه الكريمة ، والزجاجية والخرزية وغيرها ، والتى اعتمد عليها الانسان المصرى القديم فى صناعته وصياغته لتلك الحلى • فقد استخدم العديد من امكانيات بيئته • فنراه يستعمل محـار البحـر وأصداف المياه العذبة ، وقرون الحيوانات والعاج • ثم يتجه الى مجال المعادن ، والاحجار شبه الكريمة ، والمواد الخزفيـة والزجاجية • ويمكن تصنيف المواد التى استخدمها فى صناعة الحلى الى الاقسـام التالية وهى :

اولا :

فيما يتعلق بالمعادن ، فأقدم معدن اكتشفه المصرى القـديم هو النحاس ، وقد اعتبر المؤرخون تلك المرحلة بمثابة حلقـة جديدة فى تاريخ الحضـارة المصرية القديمة والتى عرفت باسـم عصر الحجر والنحاس أو العصر الانيوليتى أو الكالكوليتى ٤٥٠٠ ق•م• وقد فتح ذلك مجالا لمداومة البحث عن امكانيات معدنية أخرى • وأشهر المعادن التى عرفت هى الذهب والحـديد والرصـاص والفضـة والبرونز والالكتروم والنحاس الاصفر •

وتنبغى الاشارة فى هذا الصدد الى أهم المعادن التى استخدمت فى مصر القديمـــة لصناعة أدوات الزينـــة الشخصية ، ونذكر منهـــا النحاس الاحمر والذى يرى بعض المؤرخين أولوية استخدامه فى مصر القديمة . ولو أن لوكاس (٣٤) يتجه الى الاعتقاد بأن الذهب وليس النحاس الاحمر هو أول ما اكتشف واستعمل . ويرجع ذلك من جهـــة الى قابليته للطرق فيسهل صياغته حليا ، الا أنه يعود فيذكر بأنه قد وجدت فى مصر القديمة آثار نحاسية أقدم عهـــدا مما وجد من الآثار الذهبية . ويعلل برنتـــون ذلك بأنه ربمـــا لم يكن أقدم المصنوع من الذهب قد دفن فى المقابر ، أو لعل المقابر التى دفن فيها قد نهبت(٣٥) .

هذا وتوجد خامات النحاس فى مصر فى منطقتين ، هما ســـيناء والصحراء الشرقية . وفى سيناء يوجد النحاس فى وادى مغارة وسرابيت الخادم وفى وادى النصب (جنوب غرب شبه جزيرة سيناء) . وتشهد على ذلك التجارب المعملية التى أجريت لتحليل النحاس الاحمـــر من آثار الاسرتين الأولى والثانية ، فاستبان وجود عنصر المنجنيز بها ، مما يدل على أن مصدره سينائى . كما توجد أدلة على أن تعـــدين النحاس فى منطقة سيناء كان معروفا منذ الدولة القديمـــة على أقل تقدير ، بل أن نقوش وادى مغارة تسجل نقشا من الاسرة الأولى .

أما نقوش سرابيت الخادم ، فتبدأ من الدولة الوسطى ، وكذلك نقـــوش وادى النصب . وهذه النقوش جميعها تشـــير الى استمرار

---

(٣٤) أ. لوكاس ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكى اسكندر ، ومحمد زكريا غنيـــم ، ومراجعة عبد الحميد أحمـــد ، صص٧٤٢ — ٧٤٣ .

35) Brunton, G., and Thompson, G.C., The Badarian Civilization, London, 1928, PP.7,27,33 and 41.

المناجم عامة . أما الاشارة الى النحاس فقليلة ، ولكنها مؤكدة منذ الدولة القديمة .

وقد استخلص المصريون القدماء النحاس من خاماته بطريقة الصهر ، ودليل ذلك وجود مناجم قديمة فيها بقايا منشآت استخراج النحاس ، وكذلك وجود أكوام من مخلفات النحاس وبقايا عملية الصهر من الدولة القديمة . كما يشير بعض العلماء الى بقايا فرن قديم عثر عليه فى سيناء يغلب على الظن أنه كان يشبه غرفة مغلقة . وبعد الصهر ترفع مواد الاحتراق حتى يبرد المعدن ثم يكسر الى قطع أصغر للاستعمال . ويصف بترى [٣٦] طريقة تشكيل النحاس بعد صهره وذلك بصبه فى قوالب مفتوحة نحتت فى قطع سميكة .

أما الذهب ، فقد عرفه المصرى القديم منذ عصور ما قبل الأسرات . ويوجد الذهب عادة فى الطبيعة اما فى صخور الكوارتز ، أو فى الرمال الطفلية التى تخلفت من تفتت الصخور التى تحتوى على مادة الذهب ، ثم يكتسحها تيار مائى جف فيما بعد فتركها خلفه الى أن وجد على هذه الصورة . وفى مصر عثر على الذهب فى مناطق واسعة بين وادى النيل والبحر الاحمر فى الصحراء الشرقية جنوبا من طريق قنا والقصير الى حدود السودان [٣٧] . أما شبه جزيرة سيناء فلم يعثر فيها على الذهب .

---

36) Petrie, W.M.F., The Arts and Crafts of Ancient Egypt, P. 100.

37) Liewellyn, A., (in) Bull. Institution of Mining and Metallurgy, 352, 1934, P.23.

وما من شك فى أن المصريين القدماء من أمهر الباحثين عن الذهب، اذ لم تكتشف أية رواسب يمكن استغلالها الا وقد اكتشفوها • ولم يقل عدد المناجم التى استغلت قديمـــا لاستخراج الذهب من خاماته الكوارتزية عن مائة مركز [٣٨] •

وبالاضـــافة الى الموارد المحلية للذهب فى مصر ، ظن بترى [٣٩] أنه كان يجلب الى مصر منذ الاسرة الاولى من آسيا ، واستند فى تفسير ذلك الى احتواء الذهب على مقدار من الفضة يبلغ السدس تقريبا • ولكن للرد على ذلك توجد حقيقة أثبتتها التحاليل الكيمائية ، وهى أن الذهب المصرى يحتوى دائما على الفضة بنسبة تبلغ ١٦٪ أو أكثر •

وعلى ذلك فاننا نستطيع القول ، بأن مناجم الذهب المصرية كانت هى المصدر الرئيسى لهذا المعدن • ويتجه لوكاس الى القول باحتمال اعتماد مصر على الذهب الوافد اليها من الخارج ، سواء فى شـــكل هدايا كنوع من ابداء الولاء للحاكم المصرى القديم ، أو فى شـــكل غنائم • ويستنتج لوكاس احتمال كون الكتل العشر الذهبية التى وجدت بالطود بمصر العليا وترجع الى عهد الاسرة الثانية عشرة ، قد وردت الى مصر هدايا من الخارج • ولكـــن يصعب التيقن فى ذلك بصـــفة نهائية •

---

38) Greaves, R.M., and Little, O.H., The Gold Resources of Egypt (in) Report of the xv International Geology Congress, South Africa, 1929, PP. 123-127.

39) Petrie, W.M.F., OP. Cit.,P.83.

والمعروف عن الذهب المصرى أنه يستخرج عادة فى حالة غير نقية ، حيث يكون مخلوطا بنسبة صغيرة من معادن أخرى ، كالفضة أو النحاس أو الحديد أو غيرها من الفلزات (٤٠) . ولعل هذا هو السبب فى تنوع ألوان الذهب فى الآثار الذهبية القديمة . ففى بعض النماذج يكون أصفر فاقع أو أصفر قاتم أو أحمر . واللون الاصفر البراق يدل على وجود نسبة قليلة من هذه الشوائب . أما اللون الشاحب أو المعتم ، فسببه وجود نسبة أكبر من الشوائب الفضية والنحاسية التى تتأكسد بتعرضها للجو . أما الذهب البنى المائل لنحمرة ، فيدل الكشف الكيمائى على احتوائه على كل من النحاس والحديد . أما اللون الاحمر ، فيرجع بعض الكيمائيين سببه الى تلوث الذهب ببعض المواد العنصرية .

ولقد ظهرت براعة المصريين القدماء فى تعدين الذهب والحصول عليه من موارده الطبيعية ، فاتبعوا طريقة الترسيب لتعدين الذهب الفضى ، وهى تتلخص فى غسل الرمال والحصى التى تحتوى على الذهب بالماء الجارى الذى يحمل معه المواد الخفيفة ، تاركا حبيبات الذهب الثقيلة خلفها . والاخيرة كانت تجمع ثم تصهر لتتكون منها كتلا صغيرة عثر على بعضها بهذه الصورة (٤١) .

كما أنهم استخدموا طريقة أخرى لفصل الذهب من العروق الكوارتزية ، حيث كان الصخر يحطم بالفؤوس ثم يحمل الى خارج المنجم ، وهناك يفتت فى أوانى حجرية كبيرة حتى يصير صغير الحجم . ثم تجرى عملية صحنه بالرحى اليدوية حتى يصير مسحوقا

40) Lucas, A., and Harris, Ancient Egyptian Materials and Industries, London, 1962, P. 224.

41) Lucas, A., and Harris, Ibid., P. 228.

ثم يغسل بالماء فوق سطح مائل حتى ينفصل الذهب . وقد عثر على الكثير من الآثار الذهبية كالأساور الاربعة لزوجة الملك جر ، والحلى الخاصة بالملكة حتب حرس ، وكذلك الآثار الذهبية التى عثر عليها ضمن كنوز دهشور واللاهون فى عصر الدولة الوسطى .

أما الذهب الفضى (الالكتروم) فهو نوع من الذهب الذى عرفه المصرى القديم ، ولونه أصفر باهت يقترب من لون الكهرمان . وهذا النوع من الذهب ما هو الا سبيكة من الذهب والفضة ، قد تكون طبيعية ، وفى بعض الاحيان صناعية . ومن المرجح أن يكون الالكتروم قد وجد فى مصر بصورته الطبيعية . وليست هناك نسبة ثابتة لهذا الخليط المعدنى حيث أنه كلما ارتفعت نسبة الذهب كان الخليط ذهبا ، بينما اذا ارتفعت نسبة الفضة ، دخل فى عداد الفضة . وفى كلتا الحالتين لا يسمى الكتروما . أما اذا احتوت السبيكة على ٢٠٪ أو أكثر من الفضة فهى الكتروم . وقد قام لوكاس (٤٢) بتحليله كيمائيا فوجد نسبة الفضة فى الالكتروم تتراوح بين ٢٠٫٣٪ ، ٢٩٪ . ولاشك أن فكرة خلط المعادن مع بعضها كانت تتجه الى التوصل لمركب يكون أصلب من عناصره المفردة . فالالكتروم مثلا يتميز بأنه أصلب من الذهب ، ولهذا فهو أصلح منه فى صناعة أنواع معينة من الحلى التى تتطلب الصلابة . وهذا يدل على براعة المصريين القدماء فى مضمارى البحث العلمى والتكنولوجيا ويشير اشارة واضحة الى علامات التطور فى صناعتهم .

أما الفضة ، فتوجد على هيئة معدنية وغير معدنية . كما توجد

---

(٤٢) أ. لوكاس ، المرجع السابق ، ص٣٧٤ .

مشوبة بالذهب فى معظـم الاحيـان • وخامات الفضة الاصلية هى كبريتور الفضة ، ويكون اما خالصـا أو مختلطا بالأثمد والزرنيخ أو كلوريد الفضة • وهذه لا تنتج سوى ثلث فضة العالم • أما البـاقى فيأتى من خامات الرصاص والزنك وخامات النحاس الاحمر التى تنتج الفضة ذات المرتبة الاقل • ولم تعرف الفضة أو خاماتها فى مصر رغم احتواء الذهب على الفضة • وكان المصريون القدماء لعدم معرفتهـم بها يسمونها الذهب الابيض • ولكنها رغم ندرتها ، فقد صنع منهـا الانسان المصرى تمائم فى عصور ما قبل الأسرات (٤٣) • وكانت هذه الآثار الفضية نادرة جدا حتى الاسرة الثامنة عشرة • وللتدليل على ذلك نجد أن الآثار التى عثر عليها فى مقبرة الملكة حتب حرس (٤٤) تدل على أن الفضـة كانت فى ذلك الوقت أندر من الذهب وأنفس منه • بينما استخدم الذهب فى صنع أقداح وأطباق • وكانت هناك عشرون خلخالا مرصعة بالفيروز واللازورد والعقيق وكلها من الفضة • ويرى بترى (٤٥) أن الفضة التى استعملت فى عصر ما قبل الاسرات ربما كانت تسـتورد • أما المصنوعات الفضية من الدولة الوسطى فربما كانت آسيوية المصدر • ولعل ما يرجح ذلك أن الوثائق المصرية لا تشـير الى مصادر الفضة حتى قيـام الدولة الحديثة • وربما كانت الآثار والكتل الفضية التى عثر عليها بجهة الطود ويرجع تاريخها الى الاسرة

---

43) Petrie, W.M.F., Prehistoric Egypt, London, 1920, PP. 27-43.

44) Reisner, G.A., The Tomb of Queen Hetep Heres, (in) Bull. Of. Met. of Fine Arts, Boston, xxv, 1927 (Special Number).

45) Petrie, W.M.F., Op. Cit., P. 27.

الثانية عشرة ، هدايا واردة من آسيا . هذا وتختلف نسبة الفضـــة المختلطة بالذهب فى مصر بين ٧ر٩٪ ، ٢٤٪ ، وتصل أحيانا الى ٢٩٪ فى بعـــض المصوغات . ورغم وجود الفضـــة فى خام الذهب ، فان المصريين لم يتعرفوا على طريقة فصل المعدنين حتى العصور اليونانية. ورغم ذلك فقد عرفوا كيف يطلون النحاس بالفضة . وأهم ما استخدمت فيه الفضة صناعة الخرز والعقود والحلى ، كما كانت تطرق كالذهب الى صفائح وأوراق رقيقة وتستعمل لتغطية الاخشاب .

أما عن الحديد ، فيوجد فى الطبيعة على هيئة حبيبات صـــغيرة فى بعض الصخور البركانية ، كما يوجد على هيئة كتل كبيرة فى بعض المناجم . الا أن هناك مصدرا آخر للحديد غير هذه المناجم ، فقـــد تسقط من الشهب قطعا صغيرة تحتوى على مادة الحديد الخام وهذا يسمى حديدا نيزكيا (٤٦) . أما خامات الحديد فى مصر ، فقد استعمل أحدها وهو الهيماتيت . وقد عرف هذا النوع منـــذ عصور ما قبـــل الاسرات فى صناعة الخرز والتمائم والحلى الصغيرة . وتوجد خامات الحديد فى مصر بالصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء ، وكذلك يوجد فى واحات الصحراء الغربيـــة (٤٧) . ومن الآثار الحديدية التى عثر عليها ، تميمة حديدية برأس فضية ترجع الى عهد الاسرة الحادية عشرة، عثر عليها بالدير البحرى . وبتحليلها وجد بها ١٠٪ من النيكل ، مما يرجح بأنها من أصل نيزكى .

46) Hume, W.F., Geology of Egypt, Vol. 11, Part 111, Cairo, 1937, PP. 848-852.

47) Nassim, L., Minerals of Economic Interest in the Desert of Egypt, (in) Report of Congres International. De Geog. Le Caire, 1925, 111, 1926, PP. 164-165.

أما عن الرصاص ، فيرى بترى (٤٨) أنه كان من أول المعادن التى استخدمها المصريون منذ عهد ما قبل الاسرات . ويرجع ذلك الى وفرة خاماته وســهولة استخراجه من المنــاجم المصرية . ويعتبر جبــل الرصاص أهم منطقة توجد بها خامات الرصاص فى مصر وهو يقــع جنــوب القصير . هذا وقد استخدم الرصـــاص لأغراض مختلفة فى الصناعة من بينها صناعة الحلقات والعقود . واستخلاص الرصـــاص من خاماته يعتبر من أبسط عمليــات التعــدين . ويتم ذلك بتحميص الخام بالنار على سطح الارض ، أو فى حفرة صغيرة حيث يتجمــع فيها ما ينصهر من الرصاص .

على أن المصريين لم يقفوا عنــد استعمال هذه المعــادن ، بل تجاوزوها الى الاحجار شبه الكريمة فاستخرجوها وصاغوا منها الحلى وغيرها من أدوات الزخرف والزينة .

ثانيــا :

أما فيما يتعلق بالاحجار شبه الكريمة ، فقد استخدمها المصرى القديم فى صناعة التمائم والخرز والجعلان وغيرها من حلى الزينــة الشخصية . ويرجع استعمال هذه الاحجار الى فترة البدارى وعصر ما قبل الأسرات (٤٩) . وليس من هذه الاحجار فى الحقيقة ما يعتبر كريما (٥٠) . فلم يعرف المصرى القديم الماس أو حجــر الأوبال أو

---

48) Petrie, W.M.F., Op. Cit., P. 27.

(٤٩) سليم حسن ، مصر القديمة فى مدينــة مصر وثقافتهــا فى العهــد الاهناسى ، ج٢ ، ص٦٩ .

50) Hume, W.F., OP.Cit., P.860.

الياقوت الاحمر وغيرها من الاحجار الكريمة • وأغلب الاحجار شبه الكريمة التى استخدمها المصرى القديم كان من المنتجات المحليـــة ، ولو أن بعضها كان يجلب كجزية أو ضمن غنائم الحروب •

ومن أهم الاحجــار التى استعملت فى مصر القديمــة الجمشت Amethystويدخل فى تركيبه الكيمــائى الكوارتز الذى يلونه آثار من المنجنيز • وقد اســـتخدم هذا الحجــر فى مصر القديمة فى صـــناعة الاساور وخرز العقود والجعارين • ويعود استعماله الى عصر ما قبل الأسرات [٥١] • ومن الآثار التى عثر عليهــا مصـــنوعة من الجمشت خرزة نقادة الموجودة الآن فى متحف الجامعة بلندن • ويؤكد بترى أن هذه الخرزة صنعت من الجمشت ، بينما ينفى لوكاس ذلك لصلابتها • هذا وقد عثر كذلك على خرزات من الجمشت فى أساور زوجة الملك جر • ثم زاد استخدام الجمشت بعد ذلك فى حلى الدولة الوسطى • ويوجد هذا الحجر فى مصر وأهم مناطقه جنوب شرقى أسوان [٥٢] ، ومنطقة سفاجة بالصحراء الشرقية [٥٣] •

أما الفلسبار الاخضر Feldspar، فقد استعمله المصرى القـــديم منذ العصر الحجرى الحديث [٥٤] فى صناعة الخرز فى بادىء الامر ،

---

51) Petrie, W.M.F., OP.Cit., P.44.

52) Nassim, L., OP.Cit., P.167.

53) Mines and Quarries Department, Report on the Mineral Industry of Egypt, 1922,P.37.

54) Thompson, C., The Neolithic Industry of the Northern Fayum Desert, (in) Journ. Royal Anthrop. Inst. LVI, 1926,P.313.

ثم زادت الحاجة اليه بعد ذلك فى تطعيم الحلى حتى أن الصـــائغ المصرى بدأ يستعمله فى نطاق واسع فى عهد الدولة الوسطى . وتدلنا على ذلك المصادر الاثرية التى خلفتها الاسرة الملكية من كنوز اكتشفت فى دهشـــور واللاهون . ويتميز هذا الحجر باعتـــامه واكتسابه لونا باهتا غير متناسق فى توزيع الالوان . وقد استخرج المصرى القديم الفلسبار الاخضر من أماكن وجوده بالصحراء الشرقية (٥٥) . واننـــا لنلمس فى الآثار المصرية أنه كثيرا ما تداخل هذا الحجر مع غيره من الاحجـــار الاخرى ذات اللون الاخضر ممـــا أدى الى تسميته خطأ بأم الزمرد . ولما لم تكن له علاقة بالزمرد ، فأعتقد أن هذه التسمية خاطئة ولا أساس لها من الصحة .

وقد عرف الانسان المصرى القديم من الاحجار شبه الكريمـــة اللازورد Lapis Lazuli ، وهو حجـــر معتـــم ذو لون أزرق قاتم ، يتخلله أحيانا بقع أو عروق بيضاء ، وفى أحيان أخرى تكون به نقـــط صفراء دقيقة تظهر كأنها ذرات من الذهب . والظاهر أن هذا الحجر لم يعثر عليه فى مصر ، غير أن الادريس (٥٦) قد ذكر أنه يوجد منه منجم فى الواحات الخارجة . وأهم منبع له هى بلدة بدخشان (٥٧) فى بـــلاد الافغانستان . وكان اللازورد يستعمل فى مصر القديمة منـــذ عصور ما قبل الاسرات (٥٨) وما بعدها . وقد استعمله المصرى القديم

---

55) Ball, J., The Geog. and Geol. of South Eastern Egypt, 1912,P.272.

(٥٦) الجغرافيا ، الترجمة الفرنسية لاميديه P., Amédée ، المجـــلد الاول ، طبعة باريس ، ١٨٣٦ ، ص١٢٢ .

57) Lucas A., and Harris, Op. Cit., P. 398.

58) Pétrie, W.M.F., OP. Cit., P.44.

فى صناعة الخرز والتمائم والجعارين ، وكذلك فى ترصـيع الحـلى وخاصة فى عصر الدولة الوسطى .

أما العقيق الاحمر Carnelianفقد عرفه المصرى القديم كذلك . وهو حجر شبه شفاف ، وترجع حمرته الى وجود مقـدار صغير من أكسيد الحديد فيه . ويوجد العقيق الاحمر بكثرة على شكل حصوات فى الصحراء الشرقية . وقد استعمل كثـيرا منـذ عصـور ما قبـل الأسرات [٥٩] . وكانت تصنع منه الخرز والتعاويذ ، ثم اسـتخدم بعد ذلك فى ترصيع الحلى والاثاث والتوابيت .

أما حجر السرد Sard ، فهو نوع من العقيق الاحمـر القـاتم اللون . وبعض أنواعه تقرب فى لونها من السواد . وقد اسـتخدم المصرى القديم هذا الحجر منذ عصور ما قبل الأسرات وما بعـده فى حالات قليلة . ويرجع لوكاس امكان تواجد السرد فى مصر .

ومن الاحجار شبه الكريمة التى عرفها المصرى القـديم كذلك الفيروز Turquoise وهو يتركب من فوسفات الالمونيوم المائية الملونة بكمية صغيرة من أحد مركبات النحاس . ولونه أزرق سماوى . وفى بعض الاحيان يكـون أزرق مائل الى الخضرة ، وفى حالات قليـلة يكون أخضر اللون . ويوجد الفيروز على هيئة عروق ، وكان يستخرج من وادى مغارة وسرابيت الخادم فى شبه جزيرة سيناء [٦٠] . وقد استعمل الفيروز فى مصر منذ العصر الحجرى الحديث ، وفترة البدارى،

---

59) Lucas A., and Harris, OP. Cit., P.392.

60) Mines and Quarries Department, Op. Cit., P. 38.

وعصور ما قبل الأسرات [٦١] . وقد وجد كذلك فى أساور زوجة الملك جر [٦٢] وكذلك استخدم الفيروز فى ترصيع عدد من الخلاخيل وجده ريزنر فى مقبرة الملكة حتب حرس . كذلك وجد بكثرة فى الأسرة الثانية عشرة فى كنوز دهشور واللاهون [٦٣] .

وكذلك عرف المصريون القدماء اليشب Jasper ، وهو نوع من السليكا الكثيفة غير النقية . وقد يكون اليشب أحمر ، أو أخضر ، أو بنى ، أو أسود . والنوع الاول من هذا الحجر وهو اليشب الاحمر كان يستعمل بصفة خاصة فى مصر القديمة وذلك لصناعة الخرز والتمائم ولترصيع الحلى . ويرجع تاريخ استعمال هذا الحجر فى مصر الى عصر ما قبل الأسرات . وقد وجدت تميمة وخرزة من اليشب الاخضر تعود الى فترة البدارى . وكذلك عثر على خرز مصنوع من اليشب من الاسرة الرابعة . كما وجدت جعارين من الدولة الوسطى مصنوعة من اليشب [٦٤] . هذا ويوجد اليشب على شكل عروق فى بعض الصخور فى الصحراء الشرقية بالقرب من وادى الصاغة ، وفى وادى أبو جريدة [٦٥] .

وقد استعمل المصريون القدماء كذلك حجر الملاخيت Malachite ، وهو خام للنحاس لونه أخضر . ولم يعثر عليه فى المقابر

---

61) Petrie W.M.F., Op. Cit., P. 44.

62) Petrie W.M.F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, 11, London, 1901, PP.17-19.

63) Lucas, A., and Harris, OP. Cit., P.404.

64) Lucas, A., and Harris, Ibid.,PP,397-398.

65) . Hume, W.F., OP.Cit., P.862.

القديمة الا على هيئة مسحوق ، وقد عثر عليه منذ عصر البدارى ٠ وكان يستعمل أحيانا لصنع الخرز منذ عصر ما قبل الاسرات وكذلك فى الاسرة الاولى (٦٦) ٠ وكثـــيرا ما خلط بعض العلماء بين الملاخيت وغيره من الاحجـــار الخضراء كالفيروز الاخضر ، والفلسبار الاخضر كما حدث فى القلادة المستخرجة من دهشور فى الاسرة الثانية عشرة ، والحزامين اللذين وجدا فى هذه الاسرة واتضح أن أحدهما من الفلسبار الاخضر ، والثانى من الفيروز (٦٧) ٠ وقد عثر على الملاخيت فى شبه جزيرة سيناء ، وفى وادى مغـــارة ، وسرابيت الخادم ٠ كذلك وجد فى الصحراء الشرقية ٠

ويأتى بعد ذلك فى قائمة الاحجار شبه الكريمة التى عرفت فى مصر القديمـــة ، الكـــوارتز والبـــللور الصـــخرى Quartz, Rock-Crystal والكوارتز نوع من السليكا البللورية ، وهو عديم اللون اذا كان نقيا، ويطلق عليه فى هذه الحالة اسم البللور الصخرى ٠ ولكنه قد يكـــون معتما أو اسمرا يقترب من السواد ، وفى هذه الحالة يسمى الكوارتز الدخانى ٠ وهذا النوع الاخير يوجد فى منجم ذهب قديم فى روميت بالصحراء الشرقية (٦٨) ٠ ويوجد الكوارتز بكثرة على هيئة عروق فى الصخور البركانية فى الصحراء الشرقية وعند أسوان (٦٩) ٠ هذا وقد استخدم البللور الصخرى على نطاق ضيق فى مصر القديمة منذ عصور ما قبل الاسرات (٧٠) ، وذلك فى صناعة الخرز ٠

---

66) Petrie, W.M.F., OP. Cit., P.37.
67) Lucas, A., and Harris, OP. Cit., P.400.
78) Ball, J., OP. Cit., P.353.
79) Lucas, A., and Harris, OP. Cit.,P.403.
70) Petrie, W.M.F., Prehistoric Egypt. London, 1920, P. 44.

أما عن المرجان Coral ، فهو عبارة عن هياكل صلبة لمخلوقات بحرية • وقد يكون لونه أبيض ، أو أحمر فى ألوان شتى ، أو أسود • والمشهور منه هو الابيض والاحمر • وهناك نوعان من المرجان ، أحدهما متشعب ، والآخر أنبوبى • وقد عثر على المرجان الانبوبى منذ عصر البدارى ، وعصر ما قبل الاسرات حيث وجدت خرزات مصنوعة منه [٧١] • كذلك عثر على المرجان فى مقابر بلاد النوبة التى يرجع عهدها الى الدولة القديمة [٧٢] •

ثم نجد المصريين القدماء قد عرفوا كذلك نوعا آخر من الاحجار شبه الكريمة وهو حجر سيلان أو (العقيق البجادى الاحمر) Garnet وهو ذو لون أحمر داكن ، وفى بعض الاحيان يكون لونه أسمر مع ميل للاحمرار • وطبيعة هذا الحجر شبه شفاف ، ويلاحظ أنه يتكون من أحجار صغيرة استعملت فى صناعة الخرز منذ عصور ما قبل الاسرات • ويوجد بكثرة فى غرب سيناء ، وعند أسوان ، وفى الصحراء الشرقية [٧٣] •

وفضلا عما تقدم عرف المصريون القدماء نوعا آخر من الاحجار شبه الكريمة وهو حجر الدم Haomatite • وقد استخدم المصريون النوع الاسود من هذا الحجر فى صناعة التمائم وأدوات الزينة الصغيرة والخرز من عهد ما قبل الاسرات • وحجر الدم يتركب كيمائيا من أكسيد الحديد ، ويوجد على صور وألوان مختلفة ، منها الاسود والاحمر والبنى • وتعتبر مصر غنية بهذا النوع من الاحجار

71) Brunton, G., and Thompson, G.C., Op. Cit., PP. 38-56.
72) Reisner, G.A., Arch. Survey of Nubia, Report for 1905, Cairo, 1907, P. 42.
73) Hume, W.F., OP. Cit., P.863.

شبه الكريمة حيث نراه يوجد بكثرة فى الصحراء الشرقية (٧٤) .

تلك هى الاحجار شبه الكريمة التى زاحمت المعادن بين أيدى المصريين القدماء فى صناعة الحلى وغيرها من أدوات الزخرف والزينة، وأعجب من ذلك أن المصريين القدماء قد مدوا بصرهم الى أنواع أخرى من المواد كالخزف والزجاج ، فأعملوا فيهما ما أعملوه فى المعادن والاحجار شبه الكريمة من الحذق ومهارة الصناعة .

ثالثا :

وفيما يتعلق بالقاشانى والزجاج ، فقد عرف المصريون القدماء صناعة القاشانى منذ عصر ما قبل الاسرات . وقد كانت الفكرة الاساسية فى صناعة القاشانى هو تكسية الفخار بطبقة خزفية . كما عثر على العديد من النماذج الخزفية من عهد الاسرتين الاولى والثانية، وهى الآن بالمتحف المصرى ، ولهما أهمية كبرى فى هذه الصناعة . وتختلف ألوان الحشو فيها بين الابيض الناصع والرمادى والاصفر ، وكذلك البنى الفاتح والقاتم (*) . أما من الاسرة الثالثة ، فالحشو أبيض . ويشير لوكاس الى أن الفحص الميكروسكوبى لمادة الحشو سواء كانت دقيقة أو خشنة تشتمل على حبوب مدببة من الكوارتز الخالص . كما تشير الى أن مادة الحشو البيضاء كانت من مسحوق الكوارتز المصرى أو البللور الصخرى ، أو حصى الكوارتز البيضاء . بينما يدخل الرمل والحجر الرملى فى مواد الحشو البنية والرمادية ،

---

74) Lucas, A., and Harris. OP.Cit., P.395.

(*) يشير هذا اللون الى أن المادة المستعملة هى الرمل المسحوق أو الحجر الرملى المسحوق .

ويتدرج اللون تبعا لنقاء المادة . أما اللمعان الخارجى فهو طلية التزجيج وتكون غالبا ملونة باللون الأزرق والاخضر أو الازرق الضارب الى الخضرة . كما أن الزجاج يدخل فى تركيب هذه الطلية الزجاجية من الناحية الكيمائية ، فيما عدا أن نسبة أكسيد الكالسيوم فيها أقل ، بينما نسبة السليكا فيها أكبر عما هو مألوف فى الزجاج القديم . هذا وقد تنوعت ألوان التكسية من اللونين الاخضر والبنفسجى فى الاسرة الثالثة ، الى اللون الازرق اللامع فى الاسرة الرابعة ، الى الازرق والاخضر فى الاسرة الخامسة ، الى الازرق الغامق الذى يميل الى اللون البنفسجى فى الاسرة السادسة . وأخيرا اللون الاخضر والازرق الفاتح الملون بالاسود .

والقاشانى كانت له أنواع متعددة فى مصر القديمة ، فمنه القاشانى ذو الطبقة الاضافية وفيه طبقة تزيد على الحشو الداخلى وطلية التكسية . والقاشانى الاسود ، والقاشانى الزجاجى ، وأخيرا القاشانى ذو الطلية الزجاجية .

أما الزجاج ، فقد عرف أيضا بدليل ما عثر عليه من نماذج متعددة بعضها ينتمى الى عصر ما قبل الاسرات . ومن نماذج ذلك العصر ، العقد الذى وجده ماك ايفر (٧٥) MacIver فى أبيدوس ، وهو مصنوع من الخرز الزجاجى الاخضر والازرق والاصفر . ولو أن بك Beck يتردد فى تأريخه لعصر ما قبل الاسرات . ومن الآثار الزجاجية المنتمية لعصر الاسرة الاولى ، عثر على عدة قطع زجاجية استعملت فى ترصيع جزء من صندوق خشبى عثر عليه أميلينو فى أبيدوس (*) .

---

75) MacIver, D.R., and Mace, A.C., El-Amrah and Abydos, London, 1902, P. 54.

(*) موجود بمتحف الاشموليان باكسفورد .

والمثال التالى من عهد الاسرة الخامسة يتكـون من مجموعة الخـرز والتمائم الصغيرة التى عثر عليها سكياباريللى فى بلدة الجبلين (**) ، ومن الاسرة السادسة ، رأينا الخرزة التى فحصها بك (٧٦) . وكذلك عثر مـيرز (٧٧) Myres على بعض الآثار الزجاجية التى تنتمى للدولة القديمة . ويتجه ارمان الى الاعتقاد بأنه لم يبق من الدولة القديمة شىء واحد من الزجاج ، غير أنه يذكر أن عدم العثور على الزجاج فى ذلك الوقت ليس معناه عدم صناعته. كما أن هذه الحالة السلبية لايصح ان توضع فى ميزان الاعتبار (٧٨) . أما من الدولة الوسطى ، فقـد عثر ونلوك بالدير البحرى على خرز زجاجى أزرق يرجع الى عهـد الاسرة الحادية عشرة(٧٩) . كذلك عثر على عامود زجاجى يحمل اسم امنمحات الثالث (***) . وتنبغى الاشارة هنا الى ما قرره ارمان من أن صناعة الزجاج قد تقدمت تقدما ملموسا فى عهد الدولة الوسطى .

(**) المجموعة بالمتحف المصرى تحت رقم ٦٤٨١٦ .

76) Beck, H.C., Glass Before 1500 B.C, Ancient Egypt and the East., 1934, P. 16.

77) Mond, R. and Myres, O.H., Cemetries of Armant, 1, PP. 21, 72, 83.

(٧٨) أ. ارمان ، هـ. رانكة ، المرجع السابق ، ص٥٢٩ .

79) Winlock, H.E., (in) Bull. of Met. Mus. of Art, New York, 1921, P. 52.

(***) يوجد حاليا بمتحف برلين تحت رقم ١٨٤٣٩ .

بعض طرق صياغة الحلى

من المواد المعدنية والخزفية والزجاجية والخرزية

فى مجال صياغة المعادن ، كان النحاس يجمع ككتل تمهيدا لصهره فى بواتق على النار • وكان يقوم بهذه العملية رجال معهم أنابيب نفخ مصنوعة من القصب (البوص) تنتهى بفم من الطين • ثم تلى عملية الصهر خطوة أخرى يصب فيها المعدن المنصهر فى قوالب حتى يبرد بدرجة كافية • ثم يطرق بعد ذلك بأحجار ملساء ليصبح صفائح بالسمك المطلوب • وآخر عمليات صياغة النحاس هو عملية القطع ، وفيها يقطع المعدن حتى يتخذ الشكل المناسب •

أما الذهب ، فتدلنا النقوش التى عثر عليها فى مقبرة تى بسقارة وغيرها بتفاصيل عن عملية صياغته • كان الذهب يوزن ككتل ، ثم يقيد الوزن كاتب خاص ، ثم يصهر بعد ذلك بواسطة وضع الكتل فى اناء يدخل الى النار • وكان العمال ينفخون النار بالهواء بواسطة أنابيب من البوص والفخار • ثم يلى ذلك صب المعدن المنصهر فى قوالب خاصة • وبعد ذلك تبدأ عملية الطرق حتى تأخذ الكتلة الشكل المطلوب تشكيلها عليه • فمثلا كان يصنع على هيئة صفائح اذا أريد صياغته على هيئة سوارات أو عقود • وكان الذهب يعاد الى النار بعد أن يتسلمه الصناع «الاقزام» بقصد تحويله الى مصوغات مختلفة • كما

كان يصاغ بطريقتى الطرق والصب ، وتنقش صفائحه بالبارز والغائر. هذا وقد استخدم الذهب على هيئة حبيبات صغيرة للاغراض الزخرفية وعلى هيئة رقائق لتغطية الاثاث (٨٠) . ويمكـن القول أن المصريين برعوا فى هذه الناحية من صياغة المعادن حتى أنه لا توجد عملية حديثة من عمليات صياغة الذهب الا واستعملها قدماء المصريين . ويؤيد هذا القول كثير من المؤرخين والاثريين وعلى رأسهم بترى (٨١) ويدلل على دقة هذه الصناعة فى مصر القديمة بأن بعض العينات من صفائح الذهب المصرى القـديم قد تراوحت فى سمكهـا ما بـين ١٧ر. ، ٥٤ر. من الملليمتر (٨٢) .

وينبغى التعرض بعد ذلك الى صناعة المواد الخزفية والزجاجية، وهما يختلفان فى طبيعتهما عن طبيعة المعادن ، ويحتاجان الى حذق فى الصناعة ، وتطور فى الصياغة . حيث أن الطبيعة الهشة للخـزف والزجاج تحتاج الى مهارة خاصة فى معالجتها . وربما عرف المصريون صناعة القاشانى مصادفة حينما أوقدوا نارا نتج عنها انصهار بعـض الاحجار شبه الكريمة كالكوارتز فتخلف عنها طبقة لامعة فوق الرمال. والطريقة المعروفة فى تشكيل القاشانى فى مصر القديمة كانت تتـم بصب المادة الخزفية فى قالب ثم تهذب التفاصيل بالأزميل . وكان هذا هو المتبع عند صناعة القطع الصغيرة . أما القطع الكبـيرة ، فكانت

---

80) Lucas A., and Harris, Op. Cit., P. 230.

81) Petrie, W.M.F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, 11, London, 1901, PP. 17-19.

82) Petrie, W.M.F., The Arts and Crafts of Ancient Egypt, London, 1910, PP. 38-96.

تصب أجزاؤها الصغيرة منفصلة ، ثم تلصق بنفس المادة وتوضع بعد ذلك فى النار • وقد عثر فى تل العمارنة على أوانى مليئة بالالوان التى كانت تستعمل فى صناعة المواد الخزفيـــة • وبالفحص الميكروسكوبى لجسم المادة الخزفية يتضـــح وجود الكوارتز اذا كان لون الخـــزف أبيض ، أما اذا كان لونه رماديا أو أصفر فاننا نستطيع أن نجد مسحوق الرمل أو الحجر الرملى أو الظران • وبطبيعة الحال فان لون المادة الخزفية يختلف تبعا لمقدار نقاء المادة المكونة لها • وقد قام لوكاس بتحضير نماذج شبيهة بتلك التى وجدت فى المقابر ، واستنتج منهـــا أن الزجاج يدخل فى تركيب الخزف من الناحية الكيمائية ، حيث أنه يتطلب وجود مـــواد كيمائيـــة مثـــل سليكات الصوديوم أو سليكات البوتاسيوم • ويؤيده فى ذلك جاكسون Jackson الذى قام بتحليل مماثل اتضح منه أن السليكا والصودا الملونين بمخلوط النحاس لابد من نسجهما سويا حتى يتم تصنيع هذه المادة •

أما صناعة الزجاج ، فقد كانت تدخل فى تشكيله عناصر مختلفة مثـــل رمل الكوارتز وكربونات الكالسيوم والنطرون أو رماد النباتات بالاضافة الى كمية صغيرة من المادة الملونة • وكانت هذه المواد تخلط فى جفنة من الخزف ، وتسخن فى فرن خاص حتى تنصهر وتمتزج مع بعضها • ثم يلى ذلك صب الزجاج المنصهر فى قوالب • وفى بعـــض الاحيان كان الزجاج يشكل اما على هيئة عيدان رفيعة أو على هيئة خرز • هذا وقد وجد بترى (٨٣) بتـــل العمارنة أدلة على استعمال

83) Petrie, W.M.F., Tell El-Amarna, London, 1894; PP. 26-27.

جفنات صغيرة لصهر الزجاج تتراوح أعماقها وأقطارها بين بوصـــتين وثلاث بوصات . ولكن تبين من حجم الاوانى الزجاجية المصنوعة أنه لابد أن تكون قد استخدمت جفنـــات أكبر من هذا بكثـــير . ويوجد بمتحف المتروبوليتان كتلة من الزجاج (٨٤) كبـــيرة الحجم لا يمكن أن تكون قد صهرت الا فى جفنـــة تزيد سعتها عن خمسة آلاف سنتيمتر مكعب .

وفيما يتعلق بصناعة الخرز ، فقـــد استخدم الانسان المصرى القديم الخرز فى صياغة حلى الزينة الشخصية وحلى الموميات . وقد عثر برنتون على كتل من الخرز فى أحزمة للخصر على ثلاثة رجال من عصر البدارى (٨٥) . وأشار ريزنر (٨٦) الى الخرز الذى عثر عليه فى مقبرة الملكة حتب حرس ، كما أشار كارتر (٨٧) الى استخدام الخرز فى تجهيز الحلى الجنزية للموميات بكميات كبيرة .

وكان المصريون القـــدماء يصـــيغون الخـــرز من المواد الطبيعية كالعظام والبذور والاسنان أو من المواد الصناعية كالخزف والزجاج ، أو من المواد المعدنية كالذهب والفضة والالكتروم . وتتجه كارولينـــا وليامز (٨٨) الى الاعتقاد بأن اهتمام المصريين القدماء بصناعة الخرز

84) The Metropolitan Museum of Art, Glass, New York, 1936, P. 2.

85) Brunton, G., and Thompson, G.C., Op. Cit., PP. 27-28.

86) Reisner, G.A., A History of the Giza Nicropolis 11, Harvard University Press, 1955, P. 42

87) Carter, and Mace, A.C., The Tomb of Tutankh Amen, 1, P. 159.

88) Williams, C.R., Op. Cit., P. 9.

كان من أهم الاسباب التى أدت الى تحسين الزينة الشخصية عندهم.

وقد استخدمت قديما طرق مختلفة فى صناعة الخرز . فالخرز الحجرى كان يجهز بواسطة تكسير البللورات والحصى الموجودة فى الطبيعة بالطرق . ثم يجرى تشكيلها الى قطع مناسبة وذلك ببرمها بين حجرتين ثم تصقل بعد ذلك بالحك . أما تثقيب الخرز فكان يتم بعد تنعيمه وقبل صقله أو تزجيجه . وكانت عملية الثقب تتم بواسطة المثقب الذى يزود عادة بسن دقيق للغاية يبلغ قطره حوالى ملليمتر واحد الى ملليمترين (٨٩) . هذا وقد عرف الصانع المصرى القديم المثقب ذى القوس منذ أوائل عصر ما قبل الاسرات . ويوجد بالمتحف المصرى مجموعة من هذا الخرز الحجرى ، يعتقد أنها عبارة عن قطع مستديرة من العقيق الاحمر عثر عليها فى ميت رهينة ويتضح من فحصها انها خرزات لم يكتمل صنعها (٩٠) . ومن الادلة الاثرية التى عثر عليها كذلك ، منظر فى مقبرة من عصر الاسرة السادسة بدير الجبراوى يمثل طريقة ثقب قطع العقيق الأحمر بغير مثقب قوسى (٩١). ويوجد كذلك عدد من الخرزات الحجرية الدقيقة التى ترجع الى عهد الدولة الوسطى فى المتحف المصرى ، وهى مصنوعة من العقيق الاحمر واللازورد والفيروز . وتبلغ دقة الصناعة فيها أن قطر الخرزات يتراوح بين ٥٨ر. ، ٦٤ر. من الملليمتر تقريبا . ولم يستدل على كيفية ثقب هذا الخرز .

---

89) Lucas and Harris, Op. Cit., P. 42.

90) Lucas, A., and Harris, Ibid., P. 43.

91) Davies, N. de G., The Rock Tombs of Deir El-Gabrawie, 1. London, 1907, P. 20.

أما من الخرز الصدفى ، فقد استخدم المصرى القديم ما أمدته به البيئة من أصداف البحر أو المحار أو قشر بيض النعام . وتعود صناعة هذا النوع من الخرز الى العصر الحجرى الحديث . حيث كانت الصدفة تكسر الى قطع مناسبة ثم تهذب الحواف عادة بنصل . وكان الثقب يحفر بعد ذلك من الجانبين بسن غير حاد . وأخيرا يملس جوانب الخرز . وكانت الخرزات الصدفية تنظم معا ، وفى بعض الاحيان كان يصنع منها خرزات حلقية صغيرة وأخرى قرصية .

وبالنسبة للخرز القاشانى ، فقد عرف فى مصر منذ عصر ما قبل الاسرات [٩٢] . ووجدت منه أنواعا مختلفة كالخرز الحلقى والقرصى والانبوبى والبرميلى والكروى . وكان يتبع فى تجهيزه بعض الخطوات الفنية التى تدل على دقة هذه الصناعة المبكرة . فكان الصائغ المصرى القديم يعد خيطا يغطيه بعجينة المادة المستعملة ، وبسمك يتفاوت مع حجم الخرز المطلوب . وكان يتحكم فى السمك ببرمه على لوح خشبى ، ثم تجزأ العجينة الى قطع يتفاوت حجمها مع النوع المطلوب، ثم تجفف هذه القطع وتحرق ، وبعدها تغمس فى محلول الطلية الزجاجية .

ومن أنواع الخرز التى عرفها المصرى القديم ، الخرز الزجاجى. ويعتقد بترى [٩٣] أنه قد عرف هذا النوع منذ عصر ما قبل الاسرات . بينما يذكر لوكاس [٩٤] أن هذا الرأى يفتقر الى الاثبات ، اذ أن

---

92) Lucas, A., and Harris, Op. Cit., P. 45.

93) Petrie, W.M.F., Op. Cit., P. 27.

94) Lucas, A., and Harris, Op. Cit., P. 46.

الخرز الزجاجى فى رأيه كان يصنع فى مصر منذ عصر الاسرة الخامسة فصاعدا .

أما عن طرق صياغة الخرز الزجاجى فهى متعددة وتختلف حسب الشكل المراد تشكيله منها . فهناك نوع كان يصنع بلف الزجاج بعد تسخينه وتليينه حول سلك ساخن من النحاس له قطر الثقب المطلوب، ثم يسحب هذا السلك بعد أن يكون قد انكمش نتيجة التبريد . ويمكن رؤية نقطة صغيرة بكل من جانبى الخرزة فى المكان الذى فصل عنـــده السلك (٩٥) .

وهناك طريقه أخرى لتجهيز الخرز الزجاجى الشبيه بالقصبة . وفى هذا النوع كانت تؤخذ قصبة مجوفة قطرها يقارب قطر الخرزة المطلوبه . ونقص الى قطع يتفاوت طولها حسب طول الخرزة المطلوبه. ثم تستعمل الخرزات كما هى ، أو يتناولها بعض التعديل فى الشكل اما بالحك أو باعادة التسخين . كذلك توجـــد طريقـــة أخرى كانت تستعمل فى صناعة الخرز المطوى . حيث كانت هذه الطريقة تعتمـــد على الحصول على قصبة مطوية من الزجاج على هيئة أنابيب صغيره بواسطة السحب ، ثم تقص منها الخرزات ، ويجرى بعد تشكيلهـــا بعـــد ذلك بالشـــكل المطلوب . وقد أشـــار بك (٩٦) الى طرق أخرى استخدمها المصرى القديم فى صناعة الخرز الزجاجى ، منها طريقـــه كانت تجهز فيها قطعة زجاج سميكة نوعا ما ، ويتساوى طولها مـــع

95) Petrie, W.M.F., **Arts and Crafts of Ancient Egypt**, London, 1909, PP. 121-125.

96) Beck, Classification and Nomenclature of Beads and Pendants, PP. 60-69.

محيط الخرزة المطلوبة ، أما عرضها فيساوى تقريبا طول الخرزة • ثم يجرى طيها حول ساق وتضغط حافتاها معا وتصهران • هذا بالاضافة الى طريقة أخرى لتجهيز الخرز الزجاجى كانت تجهز فيهـــا قطعـــة مستطيلة من الزجاج تشبه فى شـــكلها الخـــرزة المطلوبة • وتثقب فى الوسط وهى طرية بواسطة عود يضغط عموديا على سطحها ، ثم يلوى طرفا القطعة الى أعلى حتى يضمان العود بينهما •

الفصل الخامس

بعض مظاهر العمارة الدينية فى مصر القديمة

من الظواهر الهامة التى تميز تطور المقابر الملكية ، ظاهرة وجود أكثر من مقبرة للملك المصرى القديم • وتعتبر ظاهرة تعدد المقــابر الملكية فى مصر القديمة ، من المشاكل المعقدة التى يواجهها علماء الآثار المصرية • فوجود أكثر من مقبرة للملك الواحد يحتاج بطبيعة الحــال الى تفسير واضح • ويعتقد بعض العلماء[1] بأن تعدد المقابر الملكية يعود الى احتمال استخدام المقبرة الزائدة ، فى التضحية الرمزية أثنــاء احتفال عيد الحب سد • بينما يرى بعض البحاث احتمال اســتخدام مثل هذه المقبرة ، فى دفن الاحشاء الداخلية للملك حتى يسهل حفظها •

وفى الامكان النظر الى هذه المشكلة المحيرة على أساس أنه كانت توجد جبانتين ملكيتين • احداهما فى سقارة ، والاخرى فى أبيدوس • وتقع جبانة سقارة الملكية الى الغــرب من العاصمة الشمالية منف • بينما ترتبط جبانة أبيدوس الملكية بالعاصمة الجنوبية • وتنبغى ملاحظة أن المقابر الملكية بتلك الجبانات قد بنيت فى أشكال مستطيلة سميت بالمصطبة • وتحت المصطبة كانت تقــع غرفة الدفن محاطة بالعــديد من الغرف والمخازن •

واذا ما تتبعنا الملوك الاوائل فى عصر الاسرات والذين شــيدوا

---

1) Edwards, I.E.S., The Pyramids of Egypt, Great Britain, 1967, P. 217.

أكثر من مقبرة لهم ، فاننا نشير فى بداية الامر الى الملك حورعحا فقد عثر له على قبر فى أبيدوس[2] (Tomb B 19) وعلى آثار باسمه فى قبر آخر أكبر منه فى سقارة[3] (Tomb 3357) . فقد كشفت الحفائر فى تلك المقبرتين عن مخلفات أثرية تحمل اسم الملك «حورعحا» معظمها ألواح خشبية وأختام طينية . كما كشف عن مئات الاوانى الفخارية الصغيرة فى سقارة ، وجميعها تحمل اسمه .

أما بالنسبة للملك جر ، فيلاحظ أن مقبرته الجنوبية فى أبيدوس (Tomb O) كانت أضخم من مقبرة سلفه . وكان يحيط بها صفوف تتكون من ٣٣٨ مقبرة خاصة بالخدم وبعض أفراد الحاشية الملكية الذين دفنوا حول مقبرة الملك . ويعتقد بعض المؤرخين أن أفراد الحاشية كانوا يقتلون أنفسهم يوم موت الفرعون أو بعد ذلك . والواقع أن ظاهرة التضحية البشرية فى مصر القديمة كمظهر من مظاهر الولاء نحو الفرعون ، قد مورست خلال الاسرة الاولى كما يتضح فى المقابر الملكية فى أبيدوس ، وبصفة خاصة فى مقبرة الملك جر . ولأمر ما اعتقد المصريون القدماء فى العصور التالية ، أن قبره فى أبيدوس هو قبر المعبود أوزير وكانوا يحجون اليه ويقدمون القرابين له حتى كشفت عن حقيقته حفائر أميلينو .

أما فيما يختص بمقبرة الملك جر الشمالية فى جبانة سقارة الملكية[4]

---

2) Petrie, W.M.F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, 11, London, 1901, Pl. LIX; P. 7.
3) Emery, W.B., Hor Aha, Cairo, 1939; P. 2.
4) Emery, W.B., Great Tombs of the First Dynasty, 1, Cairo, 1949, P. 13.

(Tomb 3471) فكانت أضخم من نظيرتها فى أبيدوس ، كما أظهرت تقدما ملموسا فى تطور العمارة الدينية .

وبالنسبة للملكة مريت نيت فقد اكتشف بترى مقبرتها فى ابيدوس[5] («Y» Tomb) عام ١٩٠٠ . أما مقبرتها فى سقارة (Tomb 3503) فتعتبر أضخم من مقبرة أبيدوس . وقد اكتشف العديد من مقابر الحاشية بجوار مقبرتها فى أبيدوس[6] (٧٩ مقبرة) .

أما الملك جت فقد عثر له على قبر فى أبيدوس («Z» Tomb) وعلى قبر آخر فى سقارة («3504» Tomb) أما المقبرة التى عثر عليها على مقربة من أهرام الجيزة والتى ظهر فيها اسمه مكتوبا على بعض القطع الاثرية ، فيرجح العلماء انها تخص أحد أفراد عائلته أو كبار موظفيه.

وقد استمرت ظاهرة تعدد المقابر الملكية فى عهد الملك أوديمو فاكتشفت مقبرته فى سقارة[7] عام ١٩٣٥ («3035» Tomb) بينما اعتبرت مقبرته فى أبيدوس («T» Tomb) أصغر بكثير عن نظيرتها فى سقارة ولو أنها تفوقها فى تقدم العمارة الدينية .

ومن عهد الملك عدج ايب توجد له مقبرتان احداهما فى أبيدوس

---

5) Petrie, W.M.F., The Royal Tombs of the First Dynasty, Vol. 1, London, 1900, Pl. LXI, P. 10.

6) Petrie, W.M.F., Tombs of the Courtiers and Oxyrhynkhos, London, 1925, P. 2.

7) Emery, W.B., The Tomb of Hemaka, Cairo, 1938, P. 2.

(Tomb «X») والاخرى فى سقارة[8] Tomb 3038 أمامقبرة الملك سمرخت فى أبيــدوس (Tomb «U»)فتفــوق الى حد كبــير مقبرة سلفه الملك عدج ايب • والى الآن لم يعثر لأية آثار تخص الملك سمرخت فى منطقة سقارة •

وبالنسبة للملك قاعا ، فان مقبرته فى أبيدوس تعتبر أقل اتقــانا من مثيلتها فى سقارة (Tomb «3505») •

وما أن جاء عصر الاسرة الثانية ، الا وندر وجود أكثر من مقبرة لأى من ملوك هذه الاسرة • فقد فشلت الابحاث الاثرية فى التعــرف على استمرار ظاهرة تعدد المقابر الملكية اللهم الا فى حالة الملك برايب سن الذى اكتشف له مقبرة فى أبيدوس (Tomb «P») • والملك خعسخموى الذى اكتشفت له مقبرة فى أبيدوس[9] (Tomb «V») •

وعلى الرغم من توقف ظاهرة تعدد المقــابر الملكية بعد العصر الثينى ، الا أن الدارس يلمس وجود بعض المقابر الملكية المتكــررة فى عصر الملك نثرخت زوسر مؤسس الاسرة الثالثة الذى أقام له مقبرة على شكل مصطبة فى بيت خلاف • كما بنى مقبرة ثانية ضمن مجموعته الجنزية بســقارة • وتدل النقوش الموجودة على تلك المقبرة على أن زوسر كان ينوى استخدامها لدفنه[10] ، الا أن غرفة الدفن فيها كانت

---

8) Emery, W.B., Great Tombs of the First Dynasty,. 1, Cairo, 1949, P. 82.

9) Petrie, W.M.F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, 11, London, 1901, Pl. Lx111, p 12.

10) Edwards, I.E.S., Op. Cit., P. 70.

مربعة الشكل وطول ضلعها ١٫٥٧ متر بحيث لا تسع جثمان الشخص العادى الا فى وضـع مقـرفص • ولما كانت هذه الطريقة فى الدفن تتنافى مع عادات دفن الملوك فى الاسرة الثالثة ، فيحتمل أن تكون هذه المقبرة رمزية ، وأنها كانت تستخدم فى التضحية الرمزية للملك أثناء احتفالات عيد الحب سد أو انها كانت مخصصة لدفن الاوانى الكانوبية لحفظ أحشاء الملك الداخلية • أما بعض العلماء ، فيرى أن هذه المقبرة الجنوبية قد تطـورت فى العصور التى تلت عصر زوسر لتصبح هرما جنوبيا •

وعلى ذلك ، يكون للملك زوسر ثلاث مقابر ملكية ، وهى الهـرم المدرج ، والمقبرة الجنوبية ضمن مجموعته الجنزية فى سقارة ، ومصطبة بيت خـلاف • مما يؤكد تكرار الآثار الملكية فى أماكن متفرقة كتعبير عن المراحل التى كانت تتبلور فيها ليس فقط القيم الدينية والسياسية فى المجتمع المصرى القديم ، بل أيضا التقاليد والعادات الاجتماعيـة المتوارثة فى ذلك المجتمع ٠/

ويلاحظ أن الملك سنفرو قد بنى هرمين ، اولهما الهرم الجنوبى وثانيهما الهرم الشمالى • وبجانب تشييد أهرامات سنفرو ، كان يشيد دائما هرما صغيرا جانبيا أو ربما أكثر من هرم واحد وذلك فى الجهة الجنوبية من الهرم الاصلى • ويقارن بعض العلماء بين وظيفـة هذه الاهرامات الجانبية ، وبين المقبرة الجنوبية بالمجموعة الجنزية للملك زوسر وذلك على أساس استخدامها كمدافن للاوانى التى تحتوى على أحشاء الملك أو أنها كانت مدافن للـ « كـا » الملكية • ويميل بعض علماء الآثار الى القول بعدم وجود ما يثبت احدى هاتين النظريتين حتى الآن •

ويمكن للدارس أن يلمح تكرار المقابر الملكية فى عهد الملك ببيى الثانى من عصر الاسرة السادسة وذلك ضمن مجموعته الجنزية حيث توجد بها مقبرةاضافية[11] . كما نلمح مثل هذه الظاهرة فى عهد منتوحوتب الثانى من الاسرة الحادية عشرة ، الذى بنى مقبرة رمزية بجانب قبره . وكذلك سنوسرت الثالث من الاسرة الثانية عشرة فقد عثر له على مقبرة فى دهشور [12] وأخرى فى أبيدوس .

أما أمنمحات الثالث فقد شيد مقبرتين عند مدخل الفيوم احداهما فى هوارة [13] والاخرى فى دهشور .

أما أحمس الاول مؤسس الاسرة الثامنة عشرة فيحتمل أن يكون من أواخر الملوك فى مصر القديمة الذين شيدوا أكثر من مقبرة . فبينما وجدت له مقبرة فى طيبة ، الا أنه شيد لنفسه مقبرة رمزية فى أبيدوس .

أما والدته الملكة تتى شيرى ، فبجانب مقبرتها فى طيبة فقد شيد لها ابنها أحمس الاول مقبرة رمزية هرمية الشكل فى مقاطعة أبيدوس [14] .

وفى الاسرة التاسعة عشرة نجد أن سيتى الاول له مقبرة رمزية فى أبيدوس [15] .

---

11) Edwards, I.E.S., Ibid., P. 207.
12) De Morgan, J., Fouilles à Dahchour, Mars-Juin, 1894, PP. 47 ff.
13) Petrie, W.M.F., Kahun, Gurab and Hawara, London, 1890, Pls. 2-4.
14) Edwards, I.E.S., Op. Cit., P. 244.
15) Frankfort, H., Ancient Egyptian Religion, New York, 1948, P. 19.

وقد اختـــلف العلماء حول وجود أكثر من مقبرة لبعض الملوك الفراعنة . وقد ظهرت عدة نظريات لتفسير تلك الظاهرة . فالنظـــرية الاولى تفترض أن جبانة أبيدوس الملكية كانت تحتوى على المقـــابر الحقيقية(١٦) التى دفن فيها الملوك، بينما احتوت جبانة سقارة مقابر النبلاء وكبار رجال الحاشية . أما النظرية الثانية ، فتفترض العكس ، بمعنى أن الجبانة الملكية فى سقارة هى مكان الدفن لهـــؤلاء الملوك فى الوقت الذى تصبح جبانة أبيدوس بمثابة المقـــابر الرمزية لهـــؤلاء الملوك . ولقد كان العثور على اللوحات الملكية وعلى أساور زوجة الملك جر ، وعلى تواجد الكثير من مقابر الحاشية فى أبيدوس ، فى الوقت الذى لم يعثر فيه على مثل هذا العدد من مقابر رجال الحاشية فى جبـــانة سقارة ، كان ذلك كله من العوامل التى تدعم النظرية الاولى (١٧) .

ومن ناحية أخرى ، فان تواجد جبـــانة سقارة الملكية بجـــانب العاصمة حيث المقر الملكى ، مع تفوق تلك الجبانة من حيث الحجـــم والتصميم عن نظيرتها فى أبيدوس ، ليدعم الافتراض بالنظرية الثانية التى تعتبر جبانة أبيدوس بمثابة ضريح رمزى (١٨) .

---

16) Frankfort, H., kingship and the Gods, Chicago, 1969. PP. 206-207.

17) Petrie, W.M.F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, 11, London, 1901, P. 16.

18) Emery, W.B., Great Tombs of the First Dynasty, 11, London, 1954, P. 4.

الفصل السادس

تطور الوعى القانونى فى مصر القديمة

لاشك أن العدالة هى الصخرة الصلبة التى يرتكز عليها المجتمع فى ارساء الحقوق والواجبات ، وفى تحقيق التوازن اللازم فى المجتمع. ولما كان يستحيل تحقيق العدالة بغير قانون يعطى كل ذى حق حقه . ويحدد لكل فرد من أفراد المجتمع واجباته والتزاماته ، ولما كان الوعى القانونى قد بدأ فى مصر القديمة فى عصر مبكر ، لذلك فان الدراســة التاريخية لفكرة العدالة فى مصر القديمة ، تبدو أهميتها البالغة حيث أنها تعطينا نمــوذجا حيــا لتطــور الشرائع فى الماضى . ان الفكرة الاجتماعية فى العقاب باحلال العمل المنظم للعدالة محل عنف العدوان الذى تمليه القوة لم يكن بخاف على المصريين القدماء .

ولا نهدف من وراء تلك الدراسة الى تحليل النظم القانونية فى مصر القديمة ، وتفصيل قواعدها ، بل الى اظهار الدور الذى لعبــه التاريخ فى نشأة وتطور تلك النظم . فمما لا شك فيه أن التاريخ يلعب دورا بالغ الاهمية فى تكوين الفكر الانسانى . فكل ما يسود حضارة من الحضارات من أفكار ومعتقدات لم يولد بين يوم وليلة ، بل تكون على مر الزمن . ولا تخرج النظم القانونية عن هذا الامر . فالتنظيم القانونى عمل معقد ، ولا يستطيع المشرع أن يبتدعه من وحى خيــاله لكى يفرضه على المجتمع . بل هو ثمرة من ثمرات تطور المجتمع ونتيجة

لمجموعة مختلفة من العوامل ســواء كانت سياسية أو اقتصــادية أو دينية أو فلسفية •

وعلى ذلك فانه يمكن القول بأن التنظيم القانونى لأى مجتمع من المجتمعات ، انما هو وليد ظروف تاريخية فهو ينمو ويزدهر ويتطور داخل المجتمع متــلائما مع ظروف هذا المجتــع ، ومتفاعلا مع باقى الظواهر الاجتماعية الاخرى ، لا ينفصل عنها بل يتأثر ويؤثر فيها • ولذا تختلف النظم القانونية من مجتمع لآخر نتيجة لاختلاف البيئــة مع غــيرها من الظــروف المحيطة بها • فلكل شعب ولكل عصر نظمه القانونية ، التى تتناسب مع الظروف السائدة ودرجة الرقى التى وصل اليها هذا المجتمع •

لمحــة تاريخيــة :

لكى نلقى الضوء على جوانب هذا الموضــوع ، يلزم القول بأن القانون الذى خضع له الناس فى مصر القديمة ، كان يتكيف دائما مع اختلاف المراحل التاريخية التى مر بها التاريخ المصرى القديم • ففى العصر الثينى ، لا توجد أى وثائق تشير من قريب أو بعيد عن كيفية نظام العدالة والتقاضى • وفى عصر الدولة القديمة ، يمكن القول بأن النظم القانونية قد نشأت واستكملت أطوار نموها فى ذلك العصر • وكان نظام الجمع بين السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية فى يد الملك الاله واضحا • وكانت الاحكام تصدر باسم الملك وحده باعتباره صاحب السلطة القضائية الاولى ، وكان ذلك يتمشى مع العصر الذى بلغت فيه النزعة الفردية شأنا عظيما فى مجال الوعى القانونى • الا أن الامور لم تسر على هذا المنوال الى نهاية عصر الدولة القديمة نظــرا

لتطور الظروف السياسية وتغير معالم الصورة بالنسبة لفلسفة نظـام الحكم فى النصف الثانى من الدولة القديمة • ويعود ذلك الى انهيـار السلطة المركزية لتفسح الطريق أمام النظام اللامركزى •

ومع نهاية عصر الدولة القديمة ، ومع استقلال حكام الاقاليم ، نسبت الاحكام القضائية الى آلهة تلك الاقاليم بدلا من الملك • ولقد كان ذلك نتيجة طبيعية لتمتع حكام الاقاليم بمطلق السلطات ومنهـا السلطة القضائية داخل أقاليمهم • ثم قامت الثورة الاجتماعية الاولى ضد الاقطاع • وحينما بدأ عصر الدولة الوسطى ، حاول ملوكها اعادة السلطات الى القانون وظهرت بالتالى القوانين العادلة المتسمة بالنزعة الاشتراكية • وبعد غزو الهكسوس ، بدأت صحوة البلاد الكبرى مع بداية عصر الدولة الحديثـة ، واستمرت نفس النظم القانونيه التى كانت سائدة أثناء عصر الدولة الوسطى بعد أن تخلصت نهائيا من بقايا النظام الاقطاعى • وتجدر الاشارة الى أن الالتزام بالقانون ومحاولة الوصول للحقيقة ، وانصاف المظلوم كانت من أهم ما يميز المحاكمات التى جرت فى عصر الدولتين الوسـطى والحديثة [1] • وفى نهـاية المطاف ، يتمخض الوعى القانونى المصرى بعد مروره بتطور طويل الى أن يأخذ مسحته المدنية ممثلا فى مجمـوعة قانونية تعـود الى الملك باكن رنف Bak-en Renef (بوخوريس) وقد وصفه ديودور [2] بقـوله

---

1) Faulkner, R.O., «The Installation of the Vizier», (in) J.E.A., Vol. 41, London, 1955, PP. 23, 28-29.

(٢) ديودور الصقلى فى مصر ، القرن الاول ق.م. نقله من اليونانيـة وهيب كامل ، القاهرة ١٩٤٧ ، فقرة ٩٤ ، ص١٦٢ •

« ورابع المشرعين هو الملك بوخوريس ، وكان عاقلا ، امتاز بدهائه فنظم جميع شئون الملك وشرع بالتفصيل أصول المعاملات الخاصة ، وقد كان حكيما فى قضائه الى حد أن كثيرا من أحكامه مازال لفرط سداده مأثورا الى يومنا هذا » .

مصادر المعرفة القانونية فى العصر الفرعونى :

لاشك أن تطور الوعى القانونى يتطلب دراسة الوثائق المرتبطة بالقواعد والنظم القانونية التى تم العمل بمقتضاها على تحقيق العدالة فى المجتمع المصرى القديم . وقد تكون هذه الوثائق مباشرة مثل البرديات والنقوش التى توجد على جدران المعابد والمقابر ، أو غير مباشرة مثل الاشارات العابرة التى جاءت على لسان المؤرخين والأدباء. وبالرغم من أن القانون المصرى يعد من أقدم النظم القانونية التى عرفتها البشرية ، وأنه قد وصل الى درجة كبيرة من الرقى والازدهار ، الا أننا نلاحظ قلة الوثائق التى تتحدث عن النظم القانونية ، والتى يمكن التعرف بموجبها على تلك النظم .

أولا : المصادر المباشرة :

أما فيما يتعلق بالمصادر المباشرة للمعرفة القانونية ، فتشتمل على :

١ ـ المصادر التى تضمنت نصوص تشريعية :

على الرغم من أنه لم يصلنا عن أى عصر من عصور التاريخ المصرى القديم مجموعة قانونية متكاملة [٣] شبيهة بتلك المجموعات

(3) Wilson, J.A., «A Royal Decree of Temmle Privilege», (in) A.N.E.T., P. 212.

القانونية التى خلفتها الحضارة العراقية القديمة ، الا أنه ثبت تاريخيا أن مصر القديمة عرفت عدة تقنينات تشريعية أولها تقنين تحوت Thoth الذى أطلق عليــه اله القــانون (٤) ، وكذلك مجمــوعتى بوخوريس وامازيس (٥) Amasis وأخيرا تقنين الملك الفارس داريوس الاول (٦) Darius I

ومن ناحية أخرى ، عثر على برديات تتضــمن نصــوص تشريعية فى صورة قوانين أو مراسيم ملكية ترجع الى بعــض الملوك الفراعنة ، ومن ذلك مرسوم الملك نفر اير كارع (٧) Nefer-Iri-Ka-Re أحد ملوك الاسرة الخامسة ، ومرسوم الملك ببــى الاول (٨) Pepi I من الاسرة السادسة ، وكذلك مرسوم قفط الذى صدر فى عهد نوب حبر رع انتف(*) Nubkheprure-Intef ومن ناحية أخرى تضمنت نقوش رخميرع (**) وزير تحوتمس الثالث ما يستدل منها على وجود ملفات

---

(٤) عمر ممدوح مصطفى ، اصول تاريخ القانون ، تكــوين الشرائع وتاريخ القانون المصرى ، الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص١٥١ .

(٥) ديودور الصقلى فى مصر ، المرجع السابق ، فقرة ٩٥ ، ص١٦٢ .

(٦) ديودور الصقلى ، نفس المرجع ، فقرة ٩٥ ، ص١٦٣ .

7) Wilson, J.A., Op. Cit., PP. 212.

8) Wilson, J.A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, P. 99.

(*) تذكر قائمة الكرنك نوب خبررع قبل الاسرة السابعة عشره .
Breasted, J.H., A.R., 1, P. 339, n.b.

(**) على المقبرة رقم ١٠٠ فى طيبة .
Davies, N. de G., The Tomb of Rekh-mi Re at Thebes, (Publications of the Metropolitan Museum of Arts, XI, New York, 1943, PP. 84-88, Pls. XIV.

للقوانين [٩] .

ومن القوانين التى وصلت الينـا ، قانون الملك حور محب [١٠] Horemheb الذى نظـم موضـوعات قانونيـة عديدة بعضـها خاص بالعقوبات والبعض الآخر خاص بالضرائب . وكذلك مرسوم سيتى الاول [١١] .

ب ـ البرديات المرتبطة بالنظم والقواعد القانونية :

وصل الينا العديد من الوثائق المثبتة للمعاملات بين الافراد والتى يمكن التعرف من خلالها على النظم القانونية فى العهد الفرعونى ، مثل العقود والتصرفات القانونية التى كانت تجرى بين الافراد مثل عقود البيع والايجار والزواج والوصية وغيرها .

ومن وثائق القضايا المدنية التى تتعلق بحق الملكية والنزاع حول الميراث ، تلك القضية التى عثر عليها على جدران مقبرة فى سـقاره لأحد كتاب بيت خزينة معبد منف ويدعى مس Mes وهذه القضية أثارت الكثير من المنازعات فى المحاكم . ويستدل من دراستها على ما يؤكد مساواة الرجال والنساء من ناحية الملكية أمام المحـاكم [١٢] . وقد امدتنا الاسرة العشرين بالكثير من الوثائق القانونية المتعلقة بالقانون الجنائى مثل ما يتعلق بقضية سرقة المقـابر [١٣] ولاسيما فى عهـد

---

9) Breasted, J.H., A.R., 11, § 712, P. 281.

10) Breasted, J.H., A.R., 111 §§ 45, 67, PP. 22-23.

11) Griffith, FLl., «The Abydos Decree of Seti I at Nauri», (in) J.E.A., Vol. XIII, London, 1927, PP. 199-208.

12) Gardiner, A., Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961; PP. 268-270.

13) Peet, T.E., The Great Tomb-Robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty, 2 Vols., Oxford, 1930.

رمسيس التاسع (ستب ان رع) • وتشير بردية أبوت (١٤) Abbot Papyrus الى سرقة مقابر الملوك فى عهده •

ثانيا : المصادر غير المباشرة :

أما فيما يتعلق بالمصادر غـير المباشرة ، فنعنى بها الاشـارات العابرة التى قد ترد على لسان المؤرخين أو الادباء • ويمكن أن يستشف منها معلومات ذات قيمة قانونية ، ولو أنها لا تتعلق مباشرة بالنظم القانونية ومنها :

أ ـ الكتابات الادبية :

ومن نماذج الكتـابات الادبية التى تلقـى الضـوء على الحالة السياسية والاجتماعية فى البلاد ، تشير الى نص الحكيم ايبوور (١٥) Ipu-wer الذى يصف الحالة السيئة التى آلت اليها البلاد فى أواخر عصر الدولة القديمـة ، ونصـائح (*) الملك الاهنـاسى خيتى لابنه مرى كارع (١٦) Meri-Ka-Re والتى تتضمن وصـفا صادقا للحيـاة

14) Botti, G., «Who Succeeded Ramesses I X 7, Neferkere», (in) J.E.A., Vol. XIV, London, 1928, PP. 48-51. and Peet, T.E., «The Chronological Problems of the Twentieth Dynasty», (in) J.E.A., Vol. XIV, London, 1928; PP. 61-73.

15) Wilson, J.A., «The Admonitions of Ipu-wer», (in) A.N.E.T., PP. 441-444. انظر : Wilson, J.A., «The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipzig, 1909.

(*) النصائح مدونة على بردية لينتجراد تحت رقم ١١١٦ أ • انظر : Golénischeff, Les Papyrus Hiératiques no. 1115, 1116 A et 1116 B de L'Ermitage Impérial a St Petersbourg (St-Petersburg, 1913), Pls. IX-XIV.

ويعتقد أن صاحب هذه النصائح هو الملك واح كارع خيتى الثالث. Wilson, J.A., «The Instruction for King Meri-Ka-Re», (in) A.N.E.T., P. 415, n. 1,

16) Wilson, J.A., Ibid., PP. 414-418.

السياسية والاجتماعية التى كانت عليها البلاد فى ذلك العصر • ومن الآثار الادبية كذلك ، التى يستدل منها على مفهوم العدالة شــكوى خون أنبو (*) Khun Anup (القروى الفصيح) والتى تتضمن الكثير من المبادىء (١٧) التى تدعو للعدل ورفع الظلم والمعاناة عن الضعفاء • واذا كانت الكتابات الادبية تلقــى لنا الضوء على الحيــاة السياسية والحالة الاجتماعية السائدة فى المجتمع المصرى القديم ، الا أنها تمس بطريقة غير مباشرة الكثير من النظم القانونية القائمة فى تلك الحقبة من الزمان •

ب ـ كتابات المؤرخين القدماء :

تمدنا كتابات المؤرخين القدماء بكثير من المعـلومات عن النظـم القانونية فى العصر الفرعونى ، وتشير الى أن مصر القديمة قد أسهمت مشاهمة فعالة فى تكوين الفكر القانونى لدى غيرها من الشعوب ان لم تكن مصدرا لبعض النظم التى عرفتها تلك الشعوب • وفى هذا الصدد، نشــير الى ما أورده المؤرخ ديودور الصــقلى (١٨) « ••• فكثــيرا من العادات التى نشأت فى مصر ، لم تنل تأييد أهل البلاد فحسب ، بل حظى باعجاب اليونانيين الشديد • ولهذا كان أعظم من امتــازوا

(*) عثر على اربع نسخ من قصة القروى الفصيح ، ثلاثة منها موجوده بمتحف برلين تحت أرقام
10499 «R», 3023 «Bl» and 3025 «B2».

17) Gardiner, A.H., «The Eloquent Peasant», (in) J.E.A., Vol. IX, London, 1923, PP. 5-25.

(١٨) ديودور الصــقلى فى مصر ، المرجــع الســابق ، فقــرة ٦٩ ، صص ١٢٤ ــ ١٢٥ •

بالتفوق الذهنى شديدى الحرص على زيارة مصر ليتعلموا قوانينها ونظمها التى رأوها جديرة بالدرس ... » . ولقد اقتبس ليكرجوس الاسبرطى ، والفيلسوف أفلاطون ، وسولون الاغريقى ، كثيرا من السنن المصرية فى شرائعهم [19] .

وعلى الرغم مما بلغته السلطه القضائية فى مصر القديمة من الخبرة والدراية ، وعلى الرغم من هذا الرصيد من الثقة التى تجاوز حدود البلاد ليمتد الى شعوب أخرى ، الا أن أغلب الدراسات التاريخية للقوانين القديمة لم تتجاوز أكثر من عصرى الاغريق والرومان . وكانت على النقيض شحيحة بالنسبة للعصر الفرعونى الذى لا جدال فى أن مشكلات السياسة والقانون فيه كانت ترتفع بجانب مشكلات الاخلاق والدين والعلوم الى مستوى العلوم الاصيلة .

مفهوم فكرة العدالة لدى قدماء المصريين :

تعد فكرة العدالة من الافكار السامية التى خاض فيها منذ القدم فلاسفة اليونان وفقهاء الرومان . والواقع أن العدالة هى احدى الفضائل التى تتلخص فى إعطاء كل فرد حقه ، أو ما هو واجب له . وتتضمن فكرة العدالة المساواة بمعناها العام . اذ يجب أن يتساوى كل ذى حق فى المطالبة بحقه واقتضاء ما يجب له . فالعدالة تهدف فى المقام الاول الى اقامة العدل بين الناس . وفكرة العدالة بهذا المعنى وثيقة الصلة بالقانون ، فالقانون يهدف أساسا الى تنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع واعطاء كل ذى حق حقه . ولقد حرص قدماء

---

(19) نفس المرجع ، فقرة 98 ، ص169 .

المصريين كل الحرص على تحقيق العـدالة • فكانت العـدالة بهـذا المعنى ، الهدف الاساسى للقوانين المصرية القديمة ، كما ينطق بذلك العديد من الوثائق التى جاءت بها الاكتشافات الاثرية • وقد ظهرت فكرة العدالة فى أول الامر على هيئة أحكام الهيه يوحى بها الى الحاكم أو الملك عند الفصـل فى النزاع المرفوع اليه ، فيصدر الحكـم على اعتبار كونه الهاما صادرا من الآلهة • ونظرا للعلاقة الوثيقة بين الدين والقانون فى تلك المرحلة المبكرة ، كانت تلك الاحكام تستمد قوتها من صفتها الدينية ، ومن الهيبة المكتسبة من هذا المصدر الالهى • ولقد ظهرت تلك الاحكام الالهية لدى الجمـاعات القديمة سـواء من ظلت منها على الفطرة فى نظام القبيلة ، أو التى تطورت الى نظام المدينة • ولقد ساعد تغلغل الطابع الدينى وهيمنته على جميع شئون المجتمـع المصرى القديم على اختلاط الفكرة القانونية بالعقيدة الدينية • وقد ازدادت فكرة الارتباط بين الدين والقانون وضوحا فى عهـد الاسرة العشرين عندما طغى نفوذ كهنة الاله أمون ، حيث كان العمل يجرى فى القضاء على استفتاء الاله أمون فى المسائل الجنائية والمدنية[٢٠] .

وبعد انتهاء المرحلة المبكرة للقانون والتى أخذت صـورة الاحكام الالهية ، ظهر العرف بتكرار القضايا المتماثلة وتشابه الحكم الصادر فى كل نوع منها ، وانتهى الامر بتسجيل العرف فظهرت بذلك فكـرة القانون • وبجانب تلك القواعد القانونية ، كانت هناك مبادىء العدالة التى كانت تتفق مع روح العدل الكامنة فى النفس السائدة فى كل عصر •

أما فيما يتعلق بمدى عمق فكـرة العـدالة لدى المصريين

---

(٢٠) عمر ممدوح مصطفى ، المرجع السابق ، ص١٩١ .

القدماء ، فقد كانوا يتمتعون بالقيم الاخلاقيـــة المبنيـــة على الوازع الدينى القويم • وكان احقاق الحق ومراعاة العدل ، من أوجب واجبات الملك نحو الرعية • وكان هذا الواجب فى المفهوم المصرى القديم نابعا من طبيعة الملك الالهية • ولعل الوثيقة الاولى التى تدلنا على عمـــق فكرة العدالة نجدها منقوشة على عتبة مقبرة رمنوكا بالجيزة • وقد ورد فى هذه الوثيقة ما يلى : « ••• ان الذى يحب الملك والاله أنوبيس Anubis الذى على قمة جبلى ، لا يأتى بأذى لمحتويات هذا القبر • أما من جهة هذا القبر الابدى فانى قد أقمته ••• ولم يحدث قط أنى اســـتوليت على أى شىء من أى انسان لهـــذا القبر لأنى أذكر يوم الحساب ••• وقد أقمته ••• مقابل أجور من الخبز والجعـــة التى أعطيتهـــا للعمـــال الذين أقاموه • تأمل !! لا نزاع فى أنى أعطيتهم أجورا من الكتان الذين يطلبونه ••• »[٢١] •

ومن المحتمل أن يكون المؤرخ ديودور صادقا فى قوله أن مصر عرفت فى البداية قوانين أوحت بها الآلهة [٢٢] • وقد كان طبيعيـــا اتفاقا مع فلسفة العقيدة الدينية لدى الانسان المصرى القـــديم ، أن تحقيق العدالة أمر تتطلبه الآلهة • ويستدل على ذلك من النقوش التى وجدت على أربعة توابيت خشبية فى البرشا ، حيث تشير تلك النقوش الى قول الاله الخالق « ••• خلقت الاربع رياح التى يستطيع كل انسان أن يستنشقها كزميله الذى يعيش فى عصره • هذا هو العمل

21) Hassan, S., With the Collaboration of Abdel Salam, A.S., Excavations at Giza, 1930-1931, Cairo, 1936, P. 173.

(٢٢) ديودور الصقلى فى مصر ، المرجع السابق ، فقرة ٩٤ ، ص١٦١ .

(الاول) ... وخلقت الفيضان الكبير حتى أن للرجل الفقير حقــوقه مثل الرجل العظيم . وهذا هو عمل (آخر) ... وخلقت كل انســان مثل زميله ... »[٢٣] .

ولما كانت العدالة تقتضى طاعة الاله فى تطبيق القانون ، ولما كان الملك بصفته الها ، فقد كان واجبه الاساسى هو تمكين العدالة على الارض . وقد جرت العادة فى الطقوس الدينية أن يقدم الملك للاله كل يوم دمية تمثل الماعت[٢٤] كدليل على قيــامه بوظيفته الالهية . وينجه بعض المؤرخين[٢٥] الى الاعتقاد بأن فكرة الماعت كانت فى وعى الانسان المصرى القديم منذ عصر ما قبل الاسرات ، ثم أخذت تلك الفكرة فى التبلور التدريجى حتى تم الاعتقاد فيها مع بداية النقــلة الى العصر التاريخى حيث كان الملك هو الذى يقوم بتفسير تطبيــق الماعت[٢٦] على الارض . وتبعا لذلك كانت كلمة الملك بمثابة القانون الذى تحكم به البلاد . ولذلك فان من اليسير أن نتبين الاسباب التى دفعت بالمصريين القدماء الى الاعتقاد بأن القانون كان تعبيرا صادرا من الآلهــة . وتأسيسا على ذلك ، كان من الطبيعى أن ينفــرد الملك بالسلطة التشريعية الخاصة باصدار القوانين باسمه كاله . وكان من جوهر الاختصــاص الملكى أن يعمــل على اقرار العــدالة واحترام

---

23) Wilson, J.A., «All men Created Equal in Opportunity», (in) A.N.E.F., PP. 7-8.

24) Wilson, J.A., Before Philosophy, The Intellectual Adventure of Ancient Man, U.S.A.; 1974; P. 94.

25) Wilson, J.A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975; P. 49.

26) Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1969; P. 51.

تطبيقها . الا أن ذلك لم يكن متيسرا من الناحية الواقعيه . لذلك كان الملك يفوض فى القيـام بسلطته القضائية بعـض الموظفين بدءا بمنصب الوزير فما دونه [٢٧] بصفتهم ممثلين عنه . وكان من الطبيعى، والعدل واجب على الملك ، أن يفرض التزامه على موظفيه وفى مقدمتهم الوزير . فالوزير بصفته كبـير القضاه ، من واجبه احقاق الحـق ، ومراعاة العدل ، ورفع الظلم ، واعطاء كل ذى حق حقه . وقد جرت العـادة أن يوجه الملك الفرعون بعـض التعليمات الى الوزير الذى يختـاره . ونستخلص ذلك من بعص الوثائق ومنهـا تعليمات الملك تحوتمس الثالث الى وزيره رخميرع « ... انظر ، عندما يأتى الشاكى من مصر العليا ومصر السفلى والبلاد بأكملها ، .... عليك أن تتأكد أن كل شىء يتم طبقا للقانون ... ان كل امرىء يحصل على حقه ... فالمسئول تتناقل الماء والريح كل ما يفعله ... ، ولا يمكن أن تبقـى أعماله خافية ... »[٢٨] . وقد سجلت بعض النصـوص ألوانا من

---

27) Hayes, W.C., «The Civil Service», (in) C.A.H., Vol 11; Part 1, Cambridge. 1973, P. 358.
and Hayes, W.C., A papyrus of the Late Middle Kingdom in the Brooklyn Museum, Brooklyn, 1955, PP. 140-141.
and Edgerton, W.F., «The Government and the Governed in the Egyptian Empire», (in) J.N.E.S., Vol. 6, Chicago, 1947, PP. 155 f.

28) Breasted, J.H., A.R., 11, § 667; P. 269.
and Wilson, J.A., «The Vizier of Egypt-The Installation of the Vizier», (in) A.N.E.T., P. 213.
and Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 22.

الرحمة وانصاف الضعيف وتقبل الشكاوى بصدر رحب • ومن أمثلة ما نقرأه من وصايا الملك الاهناسى خيتى لابنه مريكارع « ••• هدىء من روع الباكى ، ولا تظلم الارملة • ولا تحـــرم انسانا من ثروة أبيه • ولا تطرد موظفا من عمله ••• لا ترفع ابن الشخص العظيم على ابن الشـــخص المتواضــــع بل قرب اليك الانســـان حســـب كفاءته ••• »[٢٩] •

ونستطيع أن نتبين نفس الاتجاه فى نصائح بتـــاح حوتب [٣٠] Ptah-hotep حيث يشير النص « ••• اذا كنت ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكاواهم فكن رحميا عندما تستمع الى الشاكى • لا تعامله الا بالحسنى حتى يفرغ مما فى نفسه ، وينتهى من قول ما أتى ليقوله لك • ان الشاكى يعطى أهميته لاراحة ذهنه باسماع شكواه أكثر من تحقيق ما أتى لأجله ••• »[٣١] • ومن الدولة الحديثة ، يقول رخميرع فى نقوشه « ••• لقد رفعت العـــدالة الى عنـــان السماء ، وجعلت محاسنها تنتشر الى مدى اتساع الارض ••• »[٣٢] •

---

29) Wilson, J.A., «The Instruction for King Meri-Ka-Re», (in) A.N.E.T., P. 415.
and Gardiner, A.H., «New Literary Works From Ancient Egypt», (in) J.E.A., Vol. 1, London, 1914; PP. 26-27.

30) Gunn, B., The Instruction of Ptah-hotep and the Instruction of Kegemni, Wisdom of the East Series, London,1909.

31) Wilson, J.A., «The Instruction of the Vizier Ptah-hotep», (in) A.N.E.T., P. 413.

32) Wison, J.A., «The Vizier of Egypt-from the Autobiography of Rekh-mi-Re», (in) A.N.E.T., P. 213.

وفى ضوء ما أسلفنا يبدو أن تلك المبادىء التى تضع الحـــق فى نصابه ، وتأمر بالعدل والانصاف كانت من أهم الواجبات الملقاة على عاتق الوزير . ان مفاهيم العدالة لم تكن قاصرة على الوزراء فحسب، بل تخطتهم الى حكام الاقاليـــم الذين كانوا يتفاخرون فى نقـــوش مقابرهم بأنهم كانوا يحكمون بين الناس بالعدل .

ومن عصر الدولة الوسطى ، نشير الى نقوش مقبرة أمينى حاكم الاقليـــم السادس عشر Oryx nome [٣٣] فى عهـــد سنوسرت الاول « ... لم أظلم أية أرملة . ولم أعترض على أى فلاح . ولم أطرد راعيا ما . ولم يكن هناك رئيس ... أخذت منه عماله أثناء العمل . ولم يكن هناك فقير ... ولا جائع فى عصرى . وعندما حلت سنوات المجاعة ، حرثت جميع أراضى الاقليـــم ، من الحد الجنـــوبى حتى الشمالى . وأبقيت الاهالى أحياء ، وأعطيتهم طعـــاما حتى لم يوجد بينهم جائع واحد . وقد أعطيت الارملة كمـــا أعطيت المتزوجة ، ولم أوثر الكبير على الصغير ... »[٣٤] .

ويستوقف النظـــر بعـــض النصوص التى تشير الى أن مفاهيم العـــدالة أصبحت مســـتقرة كذلك فى نقـــوش الافراد . ويســـتدل

---

33) Newberry, P.E., Beni Hassan, Part 1, London; 1893; P. 11, Tomb No. 2.

34) Newberry, P.E., Ibid., P. 27.

على ذلك من نقوش نخبو [٣٥] Nekhebu حيث تشـــير النصـــوص الى قوله عندما كان رئيسا للصناع « ... لم أضرب انسانا وقع تحت يدى . ولم أستعبد أحدا هناك [٣٦] ... » . ويستدل عن مفهـــوم العدالة كذلك من بعض الفقرات التى وردت فى شـــكوى خون انبـــو (القروى الفصيح) « ... ان تحقيق العدالة هو مثل استنشـــاق هواء الانف ... هل تخطىء كفتا الميزان ... ؟ هل يتساهل تحوتى؟.. والآن فالعدالة باقية الى الابد وتصحب من يفعلها الى الجبانة وعندما يموت ويدفن لن يمحى اسمه من الارض . بل ستبقى ذكراه خالده بأعماله الطيبة ، هذا هو المبدأ الذى أمر به الاله ... »[٣٧] .

دعامات تحقيق العدالة :

بلغت مصر القديمة منذ بداية العصر التاريخى درجة كبـــيرة من الرقى والتقدم ، وتعددت المعاملات داخل المجتمع . مما دفع المصرى القديم بغريزته منذ القدم للبحث عن قواعد تنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع . فأقام العديد من المؤسسات والوظائف التى تهدف الى تحقيق العدل واقامة المساواة داخل الجماعة . وعلى الرغم من قلة الوثائق، الا أنه فى الامكان ملاحظة أن المصريين القدماء استخدموا فى سبيـــل تحقيق العدالة ، وسائل لا تختلف كثيرا عما وصلت اليه المجتمعـــات

35) Dunham, D., «The Biographical Inscriptions of Nekhebu in Boston and Cairo», (in) J.E.A., Vol. 24, London, 1938, PP. 1-8.

36) Dunham, D., Ibid., P. 5.

37) Wilson, J.A., «The Protests of Eloquent Peasant», (in) A.N.E.T., PP. 409-410.

الحديثة • فقد عرفوا مجموعة من القواعد القانونية التى تهدف الى تنظيم العلاقة بين الناس وتحقيق العدل بينهم • كما أقاموا نظاما للتقاضى يهدف هو الآخر لتحقيق العدل باعطاء كل ذى حق حقه : واجراءات للتقاضى يتساوى أمامها الجميع •

ولهذا يمكن القول بأن قدماء المصريين قد عرفوا دعامات ثلاثة لتحقيق العدالة من الناحية الواقعية • فقد آمن المصرى منذ القدم ايمانا راسخا ، بأنه لا يكفى معرفة ما هو عدل أو خير ، بل يجب أن يطبق هذا العدل فى كل تصرفاته وفى علاقاته مع الآخرين •

أولا : الدعامة الاولى ـ القواعد القانونية :

اتفق المؤرخون على أن جزءا من القوانين التى كانت لها أهميه فى مجال التطبيق القضائى كان يرجع الى أصل الهى • حيث تشير احدى الوثائق من عصر الدولة الحديثة الى أن المجرم يكون عقوبته الاعدام طبقا لأوامر الآلهة «افعلوها له» حيث أن ذلك قد نص عليه فى «كتابات الكلمات الالهية»[٣٨] • ويحدثنا ديودور [٣٩] بأن القانون المصرى كان يفرض عقوبة الاعدام على الذين يرتكبون جريمة القتل عمدا ، سواء أكان القتيل رجلا حرا أم عبدا • وعدم التفريق فى العقوبة بين الحر والعبد تعتبر مساواة ذات دلالة لم يعرفها نظام من النظم القديمة التى عرفت الرق • ونستطيع القول بأن القوانين

---

(٣٨) أدولف ارمان ، وهرمان رانكة ، مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص١٤٢ •

(٣٩) ديودور الصقلى فى مصر ، المرجع السابق ، فقرة ٧٧ ، ٧٨ ، صص ١٣٦ ، ١٣٩ •

الاغريقية والرومانيـة فى أزهى عصورها كانتا متخلفتين عن مصر فى هذه الناحية • كما أن حلف يمين الزور كان يعرض فاعله الى الموت لأنه يعتبر جريمة ضد الآلهة ، وضـد البشر فى نفس الوقت • ومن مظاهر الانسانية فى النظم المصرية القديمة تأجيل عقوبة الاعدام على المرأة الحامل الى ما بعد الوضع • ويذكر ديودور [٤٠] أن الاغريق قد أخذوا عن المصريين هذا القانون لاستشعارهم الظلم اذا ما شارك الجنين البرىء أمه المذنبه • كما كانت عقوبة البلاغ الكاذب ، الاعدام اذا كانت الجريمة المبلغ عنها كذبا [٤١] عقوبتها الاعدام • وفى هذا سمح المشرع المصرى لفكرة المعاملة بالمثل والاخذ بالثأر أن تجد لها مجالا للتطبيق • وقد كان الملك يستطيع أن يستبدل عقوبة الاعدام بالاشغال الشاقة لأنهـا على حد قول ديودور [٤٢] كانت أجدى على الهيئة الاجتماعية وأنفع لها من الاعدام ، على نحو ما كان يفعل الملك شاباكا Shabaka أحد ملـوك الاسرة الخامسة والعشرين • ويحدثنـا ديودور [٤٣] بأن القانون المصرى كان يحتم على الذين يريدون احتراف السرقة تسجيل أنفسهم لدى كبـير اللصوص وتسليمه ما يسرقون • وبأنه كان على الذين يسرق منهم شىء ، الاتصال بهذا الشخص لابلاغه بزمان ومكان السرقة • وبهذه الطريقـة ، كان يعثر على المسروقات وكان على أصحابها قبل استردادها دفع ربع قيمتها • ويفسر ديودور الدافع لاصدار هذا القانون بأنه كان يتعذر منع الناس جميعـا من السرقة •

---

(٤٠) نفس المرجع ، فقرة ٧٧ ص١٣٧ •
(٤١) نفس المرجع ، فقرة ٧٧ ، ص١٣٦ •
(٤٢) نفس المرجع ، فقرة ٦٥ ، ص١١٨ •
(٤٣) نفس المرجع ، فقرة ٨٠ ، صص١٤٠ ، ١٤١ •

وهذه الرواية التى أوردها ديودور حول السرقة يستبعد صحتها حيث أنه من غير المعقول أن يتهاون المشرع فى حد السرقة بينما يهتم بالملكية الفردية ويحيط بها الضمانات العديدة لحمايتها • ثم أن الكثير من الوثائق القضائية ملىء بالمحاكمات عن السرقات ، وكانت العقوبات فيها قاسية • كل هذا يحمل على الاعتقاد بخطأ الرواية التى أوردها ديودور اذ أنه من غير المعقول أن السرقة التى تحرمها كافة الشرائع يمكن أن يتهاون فى تجريمها المشرع المصرى القديم •

والى جانب تلك القوانين القديمة ، كانت توجد قوانين يرجع أصلها الى العصور التاريخية المختلفة • ويشير ديودور (٤٤) الى قوانين سنها بعض الملوك المشرعين أمثال منى الذى لم يقتصر جهده على توحيد البلاد ، بل وحد أيضا القوانين (٤٥) •

وثانى المشرعين هو ساسوخيس (*) Sasychis الذى أضاف الى القوانين السارية قوانين جديدة • وثالث المشرعين هو سيسوسيس (**) Sesoosis الذى سن تشريع الطبقة المحاربة • ورابعهم هو الملك باكن رنف (بوخوريس) الذى نظم شئون البلاد ، كما وضع تشريعات للمعاملات • وخامسهم أحمس الثانى (أمازيس) الذى ركز فى تشريعاته على تنظيم حكومة الاقاليم ، ونظم الادارة •

---

(٤٤) نفس المرجع ، فقرة ٩٤ ، ٩٥ ، صص ١٦١ ، ١٦٢ •
(٤٥) محمود السقا ، معالم تاريخ القانون المصرى الفرعونى ، القاهرة، ١٩٧٠ ، ص٢٤٣ هامش ٢ •

(*) يرى البعض أنه الفرعون شبسسكاف .
ديودور الصقلى فى مصر ، ص١٦٢ هامش ١ •
(**) وهو الارجح سنوسرت الثالث .
نفس المرجع ، ص١٠١ ، هامش ١ •

وبجانب هؤلاء الملوك المشرعين ، نستطيع أن نلمس أن منتوحوتب Mentuhotep وزير سنوسرت الاول والذى كان يشغل بجـانب عمـله كوزير « ••• وظيفة القاضى الأعلى ، فم نخن ، كاهن ماعت (الهة العدل) ••• » • كان يتفاخر بأنه «سن القوانين ••• » [٤٦] • ومن المحتمل أن تعود أقدم مجموعة من النصوص القانونية الى عصر الاسرة الثانية عشرة [٤٧] ، وأن الاربعين ملفا من البردى التى كانت توضع أمام الوزير رخميرع فى قاعة العدل ، كانت تحتـوى فى الحقيقة على مجموعات قانونية [٤٨] • ولو أن بعض المؤرخين [٤٩] يرى أنها لم تكن سوى أربعين سيرا من الجلد ، ترمز الى سلطة الوزير فى التأديب • ويروى المؤرخ ديودور [٥٠] أنه كانت توضع على منصة القضاة ثمانية مجلدات بها القوانين المصرية • أما ولسون [٥١] فيعتقد أنه لا يوجد دليـل على وجود قانون مصرى مدون حتى عصر الملك باكن رنف فى الاسرة الرابعة والعشرين ، وأن ما طبقه رخميرع لم يكـن سـوى القانون المعتاد الذى كان يتفق مع أوامر الملك الاله التى كانت تستند الى صفاته الالهية • ويزيد ولسون على ذلك بقوله بأنه على الرغم من

---

46) Breasted, J.H., AR, 1, § 531, P. 255.

47) Hayes, W.C., «The Civil Service», (in) C.A.H., Vol. 11; Part 1, Cambridge, 1973, P. 357.

48) Faulkner, R.O., Review of N-de G. Davies, The Tomb of Rekh-mi Re at Thebes, (in) J.E.A., Vol. 31, London, 1945, PP. 114-115.

49) N. de G. Davies, The Tomb of Rekh-mi Re at Thebes, New York, 1944, P. 31.

(٥٠) ديودور الصقلى فى مصر ، المرجع السابق ، فقرة ٧٥ ، ص١٤٣ .

51) Wilson, J.A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, PP. 172-173.

وجود تشريعات ملكية صدرت فى ظروف معينة بالاضافة الى تواجد سوابق قضائية ، الا أن تلك القوانين لم تتطور الى مرحلة التدوين والتقنين كقوانين العراق القديم حيث كان القانون فى مصر مستمدا من سلطة الملك الاله (٥٢) .

مصادر القواعد القانونية :

أما فيما يتعلق بمصادر القانون المصرى القديم ، فيلزم القول بأنه على الرغم من تنوع مصادر القوانين القديمة واختلاف أهميتها من عصر الى آخر ، الا أنه يتضح أن المصادر الرئيسية تتبلور فى العرف والتشريع والسوابق القضائية .

وفيما يختص بالعرف ، فلا يوجد نص يدل على أن العرف كان مصدرا للقواعد القانونية فى مصر القديمة . ولكن لا يمكن للباحث أن يتجاهل دور العرف حيث أن النظم القانونية فى مصر القديمة أثناء العصور التاريخية لابد وأنها أغلب الظن كانت استمرارا لنظم معروفة فى عصر ما قبل الأسرات . وهذه كانت فى بادىء الامر عبارة عن مجموعة من النظم تعود الناس عليها ، واكتسبت مع الزمن قوة ملزمه كالتشريع .

أما بالنسبة للتشريع ، فيمكن القول بأن سلطة اصدار قواعد عامة ملزمة كان من حق الملك ، حيث كانت له سلطة اصدار ما نسميه الآن بالقوانين أو التشريعات . وتعطى بعض الوثائق ذات الصبغة القانونية صورة للتشريع المصرى من أواخر عصر الدولة القديمة . فقد عثر على

52) Wilson, J.A., Ibid., P. 173.

نقوش (٥٣) من عصر الاسرتين الخامسة والسادسة عبارة عن تخليدات حجرية لقــرارات ملكية (*) كانت فيما ســبق مكتــوبة على البردى « وختمت فى حضرة الملك نفسه » (٥٤) .

وفى الامكان الاشارة الى مرسوم الملك (**) نفرايركارع والذى أعفى كهنة أوزيريس بأبيدوس من أداء السخرة بالدولة . وقد قضى هذا المرسوم بتحريم استعمال كهنة المعبد من أداء السخرة أو أى عمل آخر ، وقرر لكل من يخالف أحــكامه عقــوبات تتفــاوت بين السجن والسخرة ، والعزل من الوظيفة ، ومصادرة الاملاك .

« ... وفيما يتعلق بأى رجل من الاقليم يأخذ أى كهنة موجودين بحقل الاله يؤدون عليه خدمة كهنوتية فى هذا الاقليم من أجل السخرة أو أى عمل (آخر) خاص بالاقليم ، سوف نودعه سجن المعبد ، سوف يوضع هو نفسه فى أى سخرة ، أو فى مكان الحرث ...

أى موظف أو قريب ملكى أو معــاون زراعى يعمل ضـــد هذه الاشياء التى قررتها سوف يعــزل ويقــدم الى المحكمة ، بينما المنزل

---

53) Hayes, W.C., «Royal Decrees From the Temple of Min at Coptus», (in) J.E.A., V. 32, London, 1946; PP. 3-23.

(*) يعتقد فخرى أن أقدم مرسوم ملكى يعود الى عهد الملك شبسسكاف من أواخر الاسرة الرابعة .
أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص١٣٤ ، هامش ٢ .

54) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 7.

(**) وجد منقوشا على لوحة عثر عليها فى أبيــدوس وموجودة حاليــا بمتحف بوسطن للفنون الرفيعة تحت رقم (03.1896)

والحقول والناس وكل شيء فى حيازته سوف يصادر ، ويوضع هو فى أى سخرة .

كانت الذات الملكية حاضرة عند وضع الختم .

الشهر الثانى من الفصل الثالث اليوم ١١ ... »[٥٥] .

وفى الامكان الاشارة الى فقرات من نص المرسوم الملكى الذى أصدره الملك ببى الاول بغرض اعفاء بعض الموظفين من خدمات معينة « ... أمر جلالتى بأن تعفى هاتان المدينتان (مدينتى هرمى سنفرو) الى الابد من أداء أى عمل للقصر ، ومن أى عمل بالقوة ... ومن أى سخرة يأمر بها أى انسان الى الابد ... »[٥٦] .

كما نشير الى مرسوم قفط الذى صدر فى عهد نوب خبر رع — انتف والى العقوبات القاسية على أى من الكهنة ممن يرتكبون جرائم الخيانة. « فليطرد من معبد أبى مين Min ، وحولوا بينه وبين وظيفته ، وكذلك أبناؤه ابنا بعد ابن ، ووريثا بعد وريث ... وامنعوا ذكر اسمه فى هذا المعبد ، فهذا ما يستحقه من كان مثله ، ثائرا على الاله وعدوا له . ولا تتركوا شيئا كتبه فى معبد مين ، سواء كان وثائق الخزانة ، أو أى وثيقة أخرى مماثلة »[٥٧] .

وكذلك نشير الى مرسوم سيتى الاول (*) من الدولة الحديثة

---

55) Wilson, J.A., «A Royal Decree of Temple Privilege», (in) A.N.E.T., Princeton, 1969, P. 212.

56) Wilson, J.A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, P. 99.

57) Breasted, J.H., A.R., 1, § 778; PP. 340-341.

(*) عثر على نسخة من مرسوم سيتى الاول منقوشة على صخرة فى نورى Nauri على مسافة قصيرة شمالى الجندل الثالث .
Faulkner, R., O., Internal Affairs Under Sethos I», (in) C.A.H., Vol. 11, Part 2A, Cambridge, 1975; P. 223.

لحماية وقف دينى فى أبيدوس من الحجز غير المشروع أو استعمال أمواله بواسطة موظفى الحكومة ، وقضى ذلك المرسوم بعقوبات قاسية لمن يخالف أحكامه (٥٨) .

ويلزم القول أن نشاط الفراعنة التشريعى لم يقتصر على اصدار تلك المراسيم ذات الهدف المحدود ، فقد لجأ بعض الملوك الى اصدار قوانين تتناول تنظيم العديد من المسائل . والبقية الوحيدة التى وصلت الينا من القوانين هى المنقوشة فوق ذلك النصب الذى أمر باقامته فى معبد الكرنك الملك حور محب ، وكان ذلك فى مستهل حكمه . وهى قوانين أراد بها اقرار النظام ، واشاعة العدل بين الناس . ومما يدل على أن الملك كان يباشر بنفسه سلطته التشريعية ، ما جاء فى مرسوم قانونه (**) بأن الملك كتبه « بعد أن سهر الليالى والايام يبحث عن حالات الظلم فى البلد » وأنه « جاء كاتب جلالته وأمسك لوحة ولفة (البردى) وكتب عليها طبقا لما أمر به جلالته » . وفى مرسوم حورمحب يوجد قسم خاص بالعقوبات « ... اذا أدين ضابط بالسرقة ، فان القانون سينفذ ضده وتجدع أنفه وينفى الى (حصن) ثارو ... » . وفى حالة الجندى المتهم بالاستيلاء على جلود الحيوانات ، فيجب أن يحقق فيها على هذا الاساس . وتشتمل عقوبة الجندى « ... وابتداء من اليوم سينفذ القانون ضده بضربه مائة جلدة وفتح خمسة جروح

---

58) Gardiner, A., «Some Reflections on the Nauri Decree», (in) J.E.A., Vol. 38, London, 1952, PP. 24-33.

(**) عثر على قانون حور محب منقوشا على نصب جرانيتى كبير فى معبد الكرنك بالقرب من الجناح الغربى من الصرح التاسع .
Aldred, C., «The Reigm of Horemheb», (in) C.A.H., Vol. 11, Part 2A, Cambridge, 1975, P. 75.

فى جسمه وتؤخذ منه بالقوة الجلود التى أخذها ... » . وتنص باقى التشريعات الخاصة بالعقوبات على الاجراءات التى تتخــذ فى حالة الظلم على بعض الفــلاحين وتلاعب موظفـــى الضرائب ، أو فى حالة القسوة أو كثرة العمل على الارقاء . كما تناول القانون عقوبة الرشوة، بالاضافة الى « ... والآن بالنسبة الى أى موظف أو أى كاهن يمكن أن يسمع عنه قائلا : انه يجلس لتنفيــذ القضاء بين هيئة الموظفــين المعينين للقضاء ويرتكبوا جريمة ضد العدالة فيه (فى مكان القضاء) فسوف يكون ذلك ... جريمة كبرى ... وقد عمل جلالتى هذا ليحسن قوانين مصر لكى لا يتسجع الآخرين على ارتكاب هذه الجرائم ... » . ولاشك أن عناية الملوك بان يتطلبوا فى القضاه نظافة اليد ، والبعــد عن الرشوة ، يعد من أهم الضمانات لتطبيق نظام قضائى عادل . وقد اختتم حور محب مرسومه بقوله « ... انكم تستطيعون رؤية هذه المراسيم التى أمر جلالتى باصدارها لأول مرة لاصلاح البلد بأكملهــا حيث تذكر جلالتى حالات الظلم التى كانت تحدث فى هذا البلد»[٥٩]. ويعتقد ولسون بأن مرسوم حور محب لم يكن سوى مجمــوعة من التعليمات التنظيمية أكثر من كونه مرسوما قانونيا [٦٠] .

وقد سار سيتى على سنة حور محب فى تشــديد العقوبات على النحو التالى : فكل من يعتدى على حرمة الاملاك التابعة للمعبد يعاقب بقطع أذنيه ، ويعمل كفلاح فى تلك الاملاك [٦١] . وفى حالة من يسلب

59) Breasted, J.H., AR, 111, §§ 45-67; PP. 22-33.
and Pflüger, K., «The Edict of King Haremhab», (in) J.N.E.S., Vol. V, Chicago, 1946, PP. 260-276

60) Wilson, J.A., Op. Cit., P. 237.

61) Griffith, El.l., Op. Cit., P. 202.

راعيا ممن يعملون لحساب المعبد ، وينتج عن ذلك هلاك فى الماشية ، فانه يعاقب بضربه مائتى عصا ، وتغريمه مائة ضعف الماشية المفقودة . أما فى حالة من يسرق ماشية تخص المعبد ، فانه كان يعاقب بقطع أنفه وأذنيه ، وبالعمل كفلاح فى الاراضى التابعة للمعبد بالاضافة الى استرقاق زوجتـه وأولاده . أما فى حالة الراعى الدى يسرق الماشية فانه كان يعاقب فوق خازوق وتسترق زوجته وأولاده . وعلى كل من يشترى الماشية المسروقة يرد مائة ضعف عنها [٦٢] .

وتتضارب الآراء حول مسألة القوانين والمراسيم ، فتذهب بعض الاراء [٦٣] الى أنه نظرا لتركيز السلطات جميعها فى يد الملك ، فانه من الصعوبة بمكان التفرقة بين القانون باعتباره المظهر الخارجى للسلطة التشريعية ، والمراسيم باعتبارها مظهرا لنشاط السلطة التنفيـذية . ونحن نعلم أن القانون كان فى بداية الامر يعتبر أمرا صادرا من الملك باسم الاله ، وكان الملك ملتزما بما أصدره من قوانين . ثم مع التطور أصبحت القوانين تصدر من الملك نفسه باعتباره الها صانعا للقانون . وكانت القوانين تتميز عن المراسيم الملكية من ناحيتى الشكل والموضوع فالأمر الملكى يعتبر قانونا اذا أدى الى احداث جديد فى النظام القانونى كاعفاء معبد من الضرائب . ومن ناحية الشكل ، كانت هذه القوانين تسجل فى دار العدالة (قاعة حوريس الكبرى) تحت اشراف الوزير الذى كان يحمل الختم الملكى . ولما كانت سجلات هذه الدار تجمـع بها قوانين الدولة ، ومن ثم فقد كانت التشريعات تصبح سارية من

---

62) Griffith, FLl., Ibid., P. 203.

(٦٣) محمود السقا ، المرجع السابق ، ص١٨٦ .

تاريخ تسجيلها (٦٤) .

أما المراسيم الملكية ، فبالرغم من أنها هى الاخرى جاءت تعبيرا عن ارادة الملك ، لكن موضوعها كان يتعلق بتنفيذ ما أصدره الملك من قوانين . وكانت تعبيرا أقل أهمية من القوانين اذ أنها لم تكن بحاجه الى تسجيل فى دار العدالة بل تصبح واجبة التنفيذ بمجرد توقيعها بخاتم الدولة على يد الوزير وفى حضرة الملك، اذا كانت تتعلق بتفسير أو تأكيد قانون . أما غير ذلك من المراسيم العادية ، فكانت تختم فى غير وجود الملك (٦٥) .

وبالنسبة للسوابق القضائية ، فقد كانت الاحكام التى سبق صدورها تؤخذ بعين الاعتبار عند النظر فى قضايا مماثلة لتلك التى صدرت بشأنها . وعلى ذلك ، يمكن القول بأن السوابق القضائية ، قد لعبت دورا معينا فى تفسير القواعد القانونية وتطبيقها .

ثانيا : الدعامة الثانية :

نظام التقاضى ــ أنواع المحاكم واختصاصاتها :

وفيما يتعلق بالهيئات القضائية ، فيلزم القول بأنه يترتب دائما على وجود نظم قانونية مصدرها التشريع ، وجود قضاء منظم ومحاكم مرتبة . غير أن البحث لم يكشف عن النظام التام للقضاء فى العصر الفرعونى . ومع ذلك ، فانه مما لا مجال للشك فيه ، أنه وجدت

---

(٦٤) نفس المرجع ، ص١٨٧ .

(٦٥) فخرى ابو سيف مبروك ، دراسات فى مراحل تاريخ القانون فى مصر ، ١٩٨٢ ــ ١٩٨٣ ، ص٩٩ .

أثناء العصر التاريخي هيئــات قضائية متــدرجة . ويميــل بعــض المؤرخين [٦٦] الى الاعتقاد بوجود محكمة تسمى جاجات فى عاصمة كل اقليم منذ العصر الثينى ، كانت تكلف بالمسائل القضائية ، مما يشــير الى وجود قانون مدنى . ومنذ عصر الدولة القديمة ، كان على رأس الهيئات القضائية المحكمة العليا التى كان يتولى رئاستها الوزير والذى كان فى الوقت نفسه كبيرا للقضاة بحكم وظيفته . وكان يتلقب بلقب قضائى يجعله كبير خمسة «دار تحوتى» منذ عصر الاسرة الرابعة . كما كان يلقب «خادم العدالة» «ورئيس الدواوين الستة الكبيرة» منذ عصر الاسرة الخامسة [٦٧] . وأن تلك الدواوين ربما كانت تعادل محاكم القضاء العليا [٦٨] .

ويحدثنا ديودور [٦٩] عن محكمــة تتألف من ثلاثين منــدوبا عن الهيئــات الكهنوتية الكبرى فى طيبــة ومنف وهليوبوليس يختار كل معبــد منها عشرة من الكهنة المتضلعين فى الشــئون القانونية لتــولى القضاء فيها . ويقول ديودور [٧٠] أنه كانت توضع على منصة القضاء ثمانية مجلدات بها القوانين المصرية .

ويلاحظ منذ عصر الاسرة الثامنة عشرة ، بأنه كانت هناك محكمة

---

(٦٦) ابتيين دريوتون وجاك فاندييه ، مصر ، عربه عبــاس بيومى ، وراجعه محمد شفيق غربال وعبد الحميد الدواخلى ، طبعة أولى ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص١٦٦ .

(٦٧) عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، مصر والعراق ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٣٠ .

(٦٨) نفس المرجع ، ص ١٣٠ .

(٦٩) ديودور الصقلى فى مصر ، المرجع السابق ، فقرة ٧٥ ص١٣٤ .

(٧٠) نفس المرجع ، ص١٣٤ .

فى طيبة وأخرى فى هليوبوليس يرأس كل منهمـا وزير • وأن هاتين المحكمتين وكذلك محاكم الاقاليم قد بدأ تشكيلها يختلف من وقت الى آخر ، كما أصبحت تضم بجانب أعضاءها من كبار المسئولين أعضـاء آخرين من ضباط الجيش والكهنة (٧١) • ومنذ عهد تحوتمس الرابع ، أصبح يرأس المحكمة الوزيران بجانب خمسة أعضـاء آخرين كانت مهمتهم اسداء المشورة القانونية بينما كان اتخـاذ القرار من سلطة ومسئولية أحد الوزيرين (٧٢) • ويتضح من قضية مس أنه كان هنـاك وزيران فى مصر خلال عصر الدولة الحديثة ، أحدهما يتولى شـئون الجنوب ومقره فى طيبة ، والآخر فى الشمال (٧٣) • وكانت محكمـة الجنوب تنعقد فى طيبة ، بينما المحكمة العليا الاخرى كانت تنعقد فى الشمال • ويشير جاردنر (٧٤) الى عبارة وردت فى مرسوم حور محب، تشـير الى وجود تلك المحكمتين فى عصره ، ولو أنه ليس من المؤكد قيامهما طوال حقبة الدولة الحديثة • فبينما تشير برديتى أبوت وماير الى انعقاد المحكمة العليا فى طيبة ، نجد نص «مس» يشير الى انعقاد المحكمة العليا فى هليوبوليس •

وبجانب تلك الهيئات القضائية ، لجأ بعض الفراعنـة فى بعض الاحيان الى تشكيل محاكم استثنائية للفصل فى الدعاوى ذات الخطوره

---

71) Hayes, W.C., «The Civil Service», (in) C.A.H., Vol. 11. Part 1, Cambridge, 1973, P. 358.

72) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 358.

73) Gardiner, A.H., The Inscription of Mes, A Contribution to the Study of Egyptian Judicial Procedure, Leipzig, 1905, P. 33.

74) Gardiner, A.H., Ibid., P. 34.

الجسيمة . وغالبا ما كانت هذه الدعاوى تتعلق بمؤامرات ضد الجالس على العرش . وقد حفظ لنا التاريخ ذكر قضيتين لجأ فيهما الفرعون الى تشكيل مثل هذه المحكمة الخاصة .

أما القضية الاولى ، فيرجع تاريخها الى عهد الاسرة السادسة وتتعلق بمؤامرة دبرها ضد الملك ببى الاول حريم قصره . واختار الملك لتحقيق القضية والفصل فيها أحد أتباعه المخلصين وهو المدعو أونى Uni وقد روى لنا أونى خبر هذه القضية ضمن تاريخ حياته المنقوشة على جدران (*) مقبرته بأبيدوس. ويشير النص « وعندما أقيمت دعوى قضائية سرية فى الحريم الملكى ضد الملكة امتس Imtes ، سمح جلالته لى بالدخول ، لكى أحقق وحدى . ولم يكن هناك رئيس قضاة أو وزير بالمرة ، ولا نبيل بالمرة ، ولكن كنت وحدى لأنى كنت عظيما ... ولأن جلالته أحبنى ، وقد كنت وحدى الذى يقوم بالكتابة ، ومعى قاضى واحد تابع لنخن ، على حين أن وظيفتى كانت رئيس أوقاف الفرعون . ولم يحدث قط من قبل أن فردا مثلى حقق أسرار الحريم الملكى. الا أن الملك أعطاها اياى لتحقيقها لأنى كنت ذا مكانة عظيمة فى قلب جلالته عن أى مسئول عنده ، عن أى نبيل عنده ، عن أى خادم عنده (٧٥) .

ويستدل من هذا النص على أن النظم القضائية فى مصر القديمة قد عرفت نظام المدعى العام الذى يباشر الاتهام أمام القاضى كممثل لولى الامر (٧٦) . ويتضح من ذلك وجود وظيفة نائب للملك الذى

(*) موجودة حاليا بمتحف القاهرة تحت رقم ١٤٣٥ .

(75) Breasted, J.H., AR, 1, § 310, P. 142.

(٧٦) حسن نشأت ، شرح قانون تحقيق الجنايات، ١٩١٨ ، فقرة ٢٨، صص١٩ ، ٢٠ .

يقوم بمقاضاة المجرمين وعمل التحقيقات كما فى حالة (أونى) فى تلك القضية . وعلى ذلك يكون المصريون القـدماء قد ميزوا بين سلطتى الاتهام والمحاكمة ، وهذا العمل جهله الرومان . وكان من سلطة نائب الملك احالة القضـايا بنفسه الى المحكمـة فى أغلب الاحيـان ، وهو ما يجرى عليه العمل حاليا فى كثير من الشرائع الحديثة .

أما القضية الثانية ، فترجع الى عصر الدولة الحديثة . وتشير برديـة تـورين القضـائية (٧٧) Judicial Papyrus of Turin الى مؤامرة دبرتها احدى زوجات رمسيس الثالث وتسمى «تى» Tiy للاستيلاء على العرش لصالح ابنها بنتاورة Pentewere واشترك معها بعض كبار البلاط . وقد قبض على المتآمرين وقدموا للمحاكمة . وكانت تهمتهم الرئيسية هى تدبير الثورة صد الملك . ويحدد النص قائمـة المتهمين الاولى « ... الاشخاص الذين أحضروا هذا بسبب الجرائم الكبرى التى ارتكبوها ووضعوا فى ساحة المحاكمة فى حضور كبـار المسئولين الخاصين بساحة المحاكمة ليحاكموا أمام المشرف على الخزانة منت ام تاوى Mentemtowe والمشرف على الخزانة بفروى Pefroi ... والمجرم الاول هو ببكامن Pebekkamen وقد أحضر لأنه كان متآمرا مع تى ونساء الحريم وقد تآمر معهن ... والمذنب الكبـير مسد سورع Mesedsure

أما فيما يختص بما فعلوا ، فانهم هم الذين فعلوا فلينزل ما فعلوه

---

77) Buck, A., «The Judical Papyrus of Turin», (in) J.E.A., Vol. XXIII, London 1937, PP. 152-164.
and Wilson, J.A., «Results of a Trial For Conspiracy», (in) A.N.E.T., PP. 214-215

على رؤوسهم فى الوقت الذى أتمتع فيه بالحصانة والخلود الابدى ، لأننى من بين الملوك الصالحين الذين يصاحبون الاله أمون رع ملك الآلهة ويصاحبون أوزير حاكم الابدية ... » . وانتهت تلك المحاكمة بتوقيع عقوبة الخيانة على بعض المتآمرين « لقد فحصوا أمرهم ووجدوهم مذنبين ، لقد تسببوا فى جعل الأحكام توقع عليهم فى ساحة المحاكمة فانتحروا ولم توقع ضدهم عقوبة ... » . كما حكم على قاضيين من هيئة المحكمة « وتوقعت عليهما عقوبة بجدع أنفيهما وصلم أذنيهما لأنهما أهملا التعليمات الصحيحة التى تلقياها ... » [٧٨] . لاتهامهما بتصرفات تخالف أصول السلطة القضائية .

ثالثا : الدعامة الثالثة :

اجراءات التقاضى :

حرص المصريون القدماء على تنظيم اجراءات التقاضى وتوفير الضمانات لكفالة العدالة . ويتضح هذا التنظيم فى كافة مراحل التقاضى بدءا بمرحلة الادعاء والى حين الفصل بحكم القضاء . ونستطيع التعرف على اجراءات المحاكمة من وثيقة قانونية عثر عليها فى طيبة (*) وهى تتعلق بمحاكمة سيدة تدعى أرى نفر Erenofre اتهمها جندى يدعى ناخى Nakhi بأنها استخدمت خطأ بعض المتاع الذى يخص سيدة أخرى

---

78) Breasted, A.R., IV, §§ 416-451, PP. 208-219.

(*) موجودة حاليا بمتحف القاهرة تحت رقم ٦٥٧٣٩ وتعود الى عصر الاسرة التاسعة عشرة .

Wilson, J.A., «From the Record of a Lawsuit», (in) A.N.E.T., P. 216

تدعى بكموت Bekmut ليتيسر لها شراء عبده وعبد(٧٩) . وكانت العادة المتبعة أن يتم تسجيل المحاكمة فى محضر يتضمن تاريخ انعقاد الجلسة ، واسم الفرعون الحاكم ، وأقوال الشاكى ، وحكم المحكمة ، وقائمة بأسماء القضاة والاشخاص الآخرين الحاضرين ومن بينهم اسم كاتب الجلسة . وفى هذا المجال ، يذكر ديودور (٨٠) أن اجراءات المحاكمة كانت كتابية حيث كان المصريون القدماء يعتقدون أن الخصوم يزيدون القضايا غموضا بخطبهم وأن فن الخطابة ودموع المتهم ، قد تدفع القاضى الى التغاضى عن القانون والحقيقة. وكان على المدعى أن يتقدم بشكواه مبينا فيها الوقائع المسنده الى خصمه ، فيرد الخصم اما بالانكار التام أو بعدم ارتكابه أفعالا اجرامية ، ثم يفند المدعى أقوال خصمه مستندا الى القانون ، فيرد عليه الخصم مرة ثانية (٨١) . وكان من اجراءات التقاضى كذلك سماع الشهود . وكانت الشهادة تتم فى المحكمة بعد حلف اليمين باسم الاله أو الملك ، كما كان يصاحب ذلك عادة وصفا للعقوبات فى حالة الشهادة الزور (٨٢) . وكان من وسائل التحقيق استجواب المتهم بعد أن يحلف اليمين أو بعد تعذيبه حيث كان التعذيب وسيلة قانونية للتحقيق . وفى الامكان الاشارة الى ما جاء

---

79) Gardiner, A.H., «A Lawsuit Arising From the Purchase of Two Slaves», (in) J.E.A., Vol. XXI, London, 1935, P. 141.

(٨٠) ديودور الصقلى فى مصر ، المرجع السابق ، فقرة ٧٦ ، ص ١٣٥.

(٨١) نفس المرجع ، فقرة ٧٥ ، صص١٣٤ ، ١٣٥ .

82) Wilson, J.A., «The Oath in Ancient Egypt», (in) J.N.E.S., Vol. 7, Chicago, 1948, PP. 129-156.

فى برديتى ماير (٨٣) عن محاكمة لصوص المقابر الذين ورد ذكر أسمائهم على ظهر بردية أبوت . وقد تضمنت تلك المحاكمات بعض الاجراءات المتبعة عند استجواب المتهمين « جيء باللص نس منتو واختبر بالضرب والعصا ، ووضعت القيود فى قدميه ويديه ، وأقسم باليمين الملكى ... وأخبر بأن يقول الصدق والا أعدم » (٨٤) .

أما فيما يختص باعترافات لصوص المقابر ، فيمكن ملاحظة ما جاء فى بردية أمهرست Amherst (٨٥) عن اعترافات ثمانيـــة من المتهمين سرقوا مقبرة سبك ــ ام ــ ســاف Sebekemsaf والملكـــة نوب خاس Nubkhas . وقد تم اختبار هؤلاء اللصوص كذلك بالضرب بالعصا ، كما أن أرجلهم وأيديهم كانت مقيدة (٨٦) .

أما عن القوانين التى كانت تسترشد بها المحاكم ، فاننا لا نعرف منها سوى النذر اليسير ، ولو أن عدم العثور على أى من القوانين الرسمية لا يعنى أن تلك القوانين لم تكن تسجل كتابة ، حيث يوجد

---

83) Breasted, J.H., A.R., IV, §§ 544-556, PP. 268-273.
and Peet, T.E., «The Great Tomb Robberies of the Ramesside Age, Papyri Mayer A and B», (in) J.E.A., Vol. 11, London, 1915, PP. 173-177 and 204-206.

84) Breasted, J.H., A.R., IV, § 54, P. 270:

85) Breasted, J.H., A.R., IV, §§ 536-541, PP. 264-267:
انظر :
Newberry, P.E., The Amherst Papyri, London, 1899, Pls. IV-VII.

86) Capart, J., Gardiner, A.H., and Van de Walle, B.; «New Light on the Ramesside Tomb-Robberies», (in) J.E.A., Vol. XX11, London, 1936, P. 172.

من الشواهد ما يدل على وجود ملفات كان يحتفظ بها فى دور القضاء للرجوع اليها عند الاقتضاء . فقد ذكر ايبوور فى وصفه لأحداث الثورة الاجتماعية الاولى التى عاصرها أن « ... قوانين قاعة العدل ألقى بها الى الخارج ، توطأ بالاقدام فى الميدان العام ، يمزقها العامة فى الطرقات ... »(٨٧) .

ومن ناحية أخرى تضمنت نقوش رخميرع رسما يظهر فيه الوزير جالسا فى قاعة المحكمة وأمامه « ... أربعون ملفا للقوانين ... »(٨٨) .

حقيقة قانون باكن رنف (بوخوريس)

يتشكك بعض المورخين (٨٩) فى صحة ما نسبه الاغريق الى الملك باكن رنف من اصداره لمجموعة قانونية خاصة بالعقود . ولا يخفى أن الاحكام التي نسبها الاغريق اليه وخاصة فى نظم الاحوال الشخصيه والمعاملات ، كانت هى نفسها التى طبقها الملوك البطالمة على رعاياهم المصريين (٩٠) أثناء الفتح المقدونى ، على أساس أن تلك القوانين كانت تمثل المرحلة الاخيرة التى وصل اليها تطور القانون المصرى القديم فى العصر الفرعونى .

ومن ناحية أخرى ، ينسب بعض العلماء الى باكن رنف ذلك التقنين الذى عثر على بردياته الديموطية فى تونة الجبل (٩١) بمصر

87) Wilson, J.A., «The Admonitions of Ipu-wer», (in) A.N.E.T., P. 442

88) Breasted, J.H., A.R., 11, § 712, P. 281

(٨٩) ابتين دريوتون وجاك نانديبه ، المرجع السابق ، ص٥٩٣ .

(٩٠) ابراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص٦٥٩ .

(٩١) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص٢٦٨ .

الوسطى . وبدراسة أحكام قانون بوخوريس ، يتضـح أنه تأثر فى تشريعه بقوانين بابل ولاسيما فيما يتعلق بالالتزامات والعقود ، واضفاء الصفة المدنية على القواعد القانونية (٩٢) .

ويعتبر من أهم ما جاء فى قانون بوخوريس فى مجـال الاحوال الشخصية ، تأكيد المركز الاجتماعى للمرأة المصرية القديمة مع قدر من الاستقلال لم يكن موجودا فى الشرائع الاغريقية (٩٣) .

أما فيما يختص بنظام المعاملات الشخصية فى قانون بوخوريس، فقد جعل المدين مسـئولا عن دينه فى ماله دون شخصه ، حيث كان القانون المصرى القـديم ينـص على اسـترقاق المدين اذا لم يف بدينه (٩٤) . كما استحدث هذا القانون بعض الاحكام لتنظيم عقـد القرض فجعل الحد الاقصى لفـائدة النقـود ٣٠٪ ، والحاصـلات الزراعية ٣٣ ١/٣٪ كما منع تقاضى فوائد على متجمد الفوائد ، وعدم جواز المطالبة بأكثر من ضعف الدين . ومما تجدر الاشارة اليه ، أن المشرع المصرى الحديث قرر نفس هذا الحكم فى المادة ٣٢ من القانون المدنى الجديد « أنه لا يجوز تقاضى فوائد على متجمد الفوائد ، ولايجوز فى أية حال أن يكون مجموع الفوائد التى يتقاضاها الدائن أكثر من رأس المال » (٩٥) .

---

(٩٢) عمر ممدوح مصطفى ، المرجع السابق ، ص٦٢ .
(٩٣) محمود السقا ، المرجع السابق ، ص٣٤٣ ، هامش ٢ .
(٩٤) ديودور الصقلى فى مصر ، المرجع السابق ، ص١٣٩ ، هامش١ .
(٩٥) شفيق شـحاته ، تاريخ القـانون الخـاص فى مصر ، ١٩٥٠ ، ص ٢٦٥ ، هامش ٤ .

وعلى أية حال يمكن القول بأنه ان لم يكن بوخوريس مجددا ومشرعا كما بدا فى نظر الاغريق ، فلا أقل من الاعتراف بأن تلك المجموعة من القوانين التى نسبت اليه ، كانت الصورة الاخيرة التى استقر عليها القانون المصرى القديم .

خاتمة :

على الرغم من أن بعض عناصر التقييم والمقارنة للنظم القانونية فى مصر القديمة مازالت تعوزنا حتى وقتنا الحاضر ، الا أن الدراسة التاريخية التى قدمتها عن تطور الوعى القانونى فى مصر القديمة قد تصلح أساسا لاعتبار تلك النظم متفوقة على نظائرها من الشرائع القديمة الاخرى ، ان لم تقف معها على قدم المساواة فى تفهمها لفكرة العدالة ، بالاضافة الى توفير الدعامات اللازمة لتحقيق تلك العدالة .

ان ما يراه البعض من أن النظم القانونية التى طبقت فى مصر القديمة قد استهدفت أساسا الحفاظ على أنظمة الحكم والحرص على التقاليد الدينية يعتبر من باب المغالاة فى توجيه الانتقادات الى تلك النظم . ويكفى تلك النظم أن اعتبارات العدل والانسانية كانت واضحة فيها بدليل أنها ساوت بين العبد والحر فى عقاب القتل ، كما أجلت اعدام الحامل الى حين الوضع . وفى سبيل تحقيق العدالة ، استخدم المصريون القدماء القواعد القانونية التى لا تختلف كثيرا عما وصلت اليه المجتمعات الحديثة . ولقد هدفت تلك القواعد القانونية الى تنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع وتحقيق العدل بينهم . هذا بالاضافة الى نظام التقاضى الذى اتبعوه لتحقيق العدل حيث أنهم

أقاموا محاكم متدرجة فى كافة أقاليم البلاد وعلى رأسها المحكمة العليا فى العاصمة • ولقد تولى مهمة الفصل فى القضايا قضاة متعددون • كما لوحظت العناية الفائقة فى اختيار القضاة حيث كان يشترط فيهم البعد عن الرشوة حتى يتسنى توفير قضاء عادل ، واجراءات للتقاضى يتساوى أمامها جميع أفراد المجتمع المصرى القديم •


الفصل السابع

أهمية الموقع الاثرى لمدينة الاسكندرية

لاشك أن الموقع الذى أنشئت عليه مدينة الاسكندرية ، كان له أكبر الاثر فى تعمير الاقليم الذى يحيط بها وكذلك فى نوعية العناصر البشرية القاطنة به . ومن الواضح أن اختيار أو اكتشاف ذلك المكان لم يكن بمحض الصدفة أو وحى الخاطر ، وانما هو موقع تم اختياره لما يتميز به من مزايا طبوغرافية وطبيعية وبشرية أعطته وضعا خاصا منذ أقدم العصور .

والواقع أن موقع الاسكندريه على الحدود الفاصلة بين غرب الدلتا والصحراء الغربية كما سبق القول، جعله مكانا لاستقبال المؤثرات القادمة من شمال غربى افريقيا منذ العصر الحجرى القديم . وكثير من العلماء يعتقدون أن المتحاربين المنقوشين على سكين جبل العركى ، من الليبيين [1] . كذلك يذكر هولشر أن اسم التحنو وهو أول اسم اطلق على الليبيين يظهر على جزء من لوح من حجر الشست للملك العقرب ، وكذلك على الاسطوانة العاجية للملك نعرمر [*] . ومع أن اسم التحنو [2] قد ورد فى أيام الاسرة الرابعة ، فان نقش من المعبد

1) Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicage, 1969, P.7

(*) لوح الملك العقرب معروض الآن بمتحف القاهرة ، واسطوانة الملك نعرمر فى متحف الاشموليان باكسفورد .

2) Gardiner, A., Egyptian Grammar Being An Introduction to the Study of Hieroglyphs, Third Edition, London, 1969, P. 601.

الجنزى للملك ساحورع هو الذى أمدنا باسم التحنو .

وقد أشارت بعض الآثار من أيام بيبى الاول ومرنرع وبيبى الثانى الى محاولات لدخول مصر من شعب ليبى جديد يتميز بالشقرة ، وهو شعب التمحو [٣] وهو شعب محارب أرهق ملوك الدولة الوسطى الذين عملوا على صد اعتدائه . ولكن خطر التمحو ازداد أيام الاسره التاسعة عشرة مما اضطر رمسيس الثانى الى اقامة تحصينات دفاعية [٤] امتدت على طول الشاطىء الشمالى غربى الدلتا . وقد أشارت احدى اللوحات التى عثر عليها فى العلمين من عهد رمسيس الثانى لأول مرة الى شعب الليبو وهو اسم استخدمه الاغريق للدلالة على افريقيا بأكملها . كذلك وردت الاشارة من عهد مرنبتاح الى اسم شعب ليبى جديد هو المشواش Meshwesh وقد خلد مرنبتاح انتصاره على هذه الشعوب الليبية النازحة الى شمال غرب الدلتا على لوحته المشهورة المعروفة باسم لوحة النصر أو لوحة اسرائيل [٥] Israel Stela ومع ذلك فنحن أكثر معرفة بتلك الحروب الطاحنة التى خاضها رمسيس الثالث ضد الليبيين والذين حاولوا وفشلوا تماما من الناحية الحربية . ففى العام الخامس من حكمه ، هجم جيش كبير من الليبيين والمشواش وحلفائهم

3) Gardiner, A., Ibid., P. 601.

4) Row, A., A History of Ancient Cyrenaica, (in) Ann. Serv., Suppl. Cahier, 12, Cairo, 1958, P. 4.

5) Wilson, J.A., «Hymn of Victory of Merne-Ptah», (The Israel Stela), (in) A.N.E.T., PP. 376-377.

من شعوب جزر البحر المتوسط على غرب الدلتا[٦]، ولكنهم هزموا قائدهم مشَشر Meshesher هزيمة منكرة ، ثم حدث بعد ذلك فى العام الثامن من حكمه معركة كانت دون شك من أخطر ما خاضته مصر من معارك ، اذ جاءت شعوب البحر برا وبحرا من الغرب والشرق ، ولكن المصريين نجحوا فى القضاء عليهم وتدمير اسطولهم ، وقد وصفت هذه الشعوب المعادية وصفا رائعا على جدران معبد مدينة هابو[٧] حين تبين كيف تم انقاذ مصر من خطر كبير . وفى العام الحادى عشر ، نجحت تجمعات هذه الشعوب فى تنظيم أنفسهم من حلفائهم الليبيين وخاصة شعوب المشواش ، ولكن مصر نجحت فى ايقاف هذا الغزو أيضا وكبدت الليبيين هزيمة كبيرة عند حدود الدلتا[٨] .

وقد دخل كثير من الاسرى فى الجيش المصرى مما أتاح للضباط الليبيين الوصول الى المناصب القيادية . كذلك أخذ الليبيون يهاجرون كمسالمين الى مصر . ويبدو أنه قد سمح لبعض القبائل الليبية بسكنى الاجزاء الشمالية الغربية من أرض مصر وخاصة اقليم مريوط . كذلك عاش شعب آخر فى هذه المنطقة وهم الاغريق

---

6) Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, Vol. 1, Oxford, 1947, P. 196.

7) Breasted, J.H., A.R., 111, PP. 580-586; Wilson, J.A.; «The War Against the Peoples of the Sea», (in) A.N.E.T., P. 262.

8) Breasted, J.H., A.R., 111, 569 ff.

الذين اعتمد عليهم بسمتك الاول مؤسس الاسرة السادسة والعشرين، ومن جاء بعده من الفراعنة وأفسحوا لهم مكانا فى أرض مصر، فامتلأ بهم غرب الدلتا وخاصة اقليم ماريا(*) حيث كثرت مستعمراتهم ومراكزهم الاقتصادية مثل نقراطيس (كوم جعيف) وكانوب(**). وكان لهم نشاطا تجاريا واسعا مع بلاد الاغريق .

والى جانب الليبيين والاغريق ، كانت هناك الحاميات المصرية المتمركزة فى تلك المناطق والتى تقوم بمهمة المراقبة على ساحل مصر الشمالى . كما كان يسكن المنطقة جماعات الصيادين والرعاة التى كانت تساعد الحاميات المصرية فى بلدة راقودة وفى غيرها من التحصينات العسكرية على أداء مهمتها .

وفى ضوء هذه الخلفية من التحركات البشرية ، كان هناك موقعان قديمان فى نفس المنطقة التى أنشئت عليها مدينة الاسكندرية لابد من التحدث عنهما ، وهما قرية راقودة القديمة ، وجزيرة فاروس .

(*) وهو أحد أقسام مصر السفلى الادارية الكبرى .

(**) كان لنهر النيل فرع اتجه غربا ثم يتابع سيره شمالا حتى يصب عند خليج ابى قير وهو ما عرف بالفرع الكانوبى . حيث كانت تقع عند التقائه بالبحر مدينة كانوب التى سبقت قيام الاسكندرية بزمن طويل لأن موقعها جعلها مخرجا لغلات مصر ، كما كانت على اتصال مستمر بجهات العالم الخارجى . أى أنها كانت تؤدى لمصر القديمة نفس المهمة التى تؤديها الاسكندرية الآن ورشيد فى العصور الوسطى . وقد أصبحت كانوب فى العصر اليونانى الرومانى مكانا يتردد عليه الناس للترفيه كما حدثنا سترابو .

سير هارولد بل ، الهيلينية فى مصر ، ترجمة زكى على ، القاهرة ١٩٥٩ .

أولا : قرية راقودة (رع كد) :

هى تلك البلدة الصغيرة التى رآها الاسكندر بعد عودته من رحلته الى معبد آمون بسيوه ، حيث توجه كهنة آمون ملكا على مصر ولقبوه بابن آمون . وكان اسم المدينة المصرية القديمة بناء رع أو البلدة التى أنشأها الاله رع .

وجاءت بالقبطية (راكوتا)	Rakota
وفى اليونانية (راكوتس)	Rakwtis

وكانت راقودة بلدة صغيرة يسكنها الصيادون ، وتقع فى اقليم ماريا ، وكانت لها أهمية كبيرة من الناحية العسكرية لأن أمر الدفاع عن مصر الغربية كان موكلا اليها (*) كما كان لراقودة مركزا خاصا بين هذه المواقع القائمة فى غرب الدلتا والساحل الشمالى . فالبحر حصنها الطبيعى من الناحية الشمالية ، وبحيرة مريوط تحميها من الجنوب . وكانت بلدة راقودة كما ذكر سترابو تقع على مرتفع من الارض . وقد اختلفت العلماء فى تحديد موقعه بالدقة ، فمنهم من قال بأنه مثل كوم الناضورة ، ولكن الرأى الارجح أنه المرتفع الذى يقوم عليه الآن عمود

(*) لم تكن راقودة المركز المصرى الوحيد فى منطقة الاسكندرية ، بل قام الى جانبها عدد كبير من المراكز مثل :

أولا : Taposeris أى ابو صير حاليا .

ثانيا : Agabus أى العجمى حاليا

ثالثا : Eleusis أى الحضرة وسيدى جابر حاليا .

رابعا : Nicopolis أى الرمل حاليا .

خامسا : Canopis أى منطقة ابى قير حاليا .

وقد كان لبعض هذه المراكز تاريخ قديم ، بل ان بعضها قد ظهر قبل راقودة نفسها بزمن طويل .

السوارى وهو مرتفع يعلو على كوم الناضورة ، ويشرف عليه • وربما يرجع السبب فى قيام راقودة على مرتفع من الارض ، هو أن سكان المنطقة الساحلية المحيطة بصفة عامة وسكان جزيرة فاروس بصفة خاصة ، كانوا يتعرضون لهجمات من البحر مما يضطرهم الى الالتجاء الى التلال المرتفعة براقودة حيث أقاموا معاقلهم •

وكان لراقودة أهمية تجارية خاصة لوجود جزيرة فاروس أمامها• ومما عزز موقعها التجارى ، قربها من الفرع الكانوبى • كما حدثنا نص لكاليثيس Calliethes عن مياه عذبة كانت تمتد من الفرع الكانوبى عند شيديا وتمد بالمياه العذبة راقودة وستة عشر قرية بالقرب منها[٩]• وقد كانت هذه الترعة تقوم مقام ترعة المحمودية الحالية ، وتيسر الاتصال بالبحر الاحمر وهو الطريق الرئيسى لنقل التجارة بين الشرق الاقصى والبحر المتوسط • وقد كان لراقودة ميناء على بحيرة مريوط يستقبل المنقولات الآتية عن طريق النيل من داخل البلاد ، ولكن الميناء الآخر كان على البحر المتوسط للاتصال بالعالم الخارجى وخاصة بلاد الاغريق • وقد دخلت مصر عام ٣٣٢ق•م• فى حكم الاسكندر الاكبر الذى توج ملكا على البلاد • وقد قام بزيارة معبد آمون (*) فى سيوه• وفى طريق عودته لفت نظره [١٠] بلدة راقودة والجزيرة التى تحميها من الامواج، والتى أطلق عليها فيما بعد اسم فاروس • ففكر فى انشاء مدينة فى تلك البقعة تحمل اسمه •• ولعل الاسكندر قد توخى من وراء

---

9) Calliethes, O.S., 1, Vol. 31, PP. 2-5.

(*) وهو المعبد الذى كانت له شهرة كبيرة ، وآمون بتنبؤاته معظم شعوب البحر المتوسط • وقد نودىٰ بالاسكندر فى ذلك المعبد ابنا لآمون ذلك تقديرا له ، اذ اعتبر مخلصا للبلاد من ظلم الفرس •

10) Bevan, E., A History of Egypt Under the Ptolemaic Dynasty, London, 1927, P. 6.

تشييد الاسكندرية أهدافا متعددة منها :

(١) انشاء مدينة اغريقية تكون مصـدرا لاشـعاع الحضـاره الاغريقية بين ربوع مصر • وكانت راقودة بلدة صغيرة متواضعة ليس لها مجد قديم فلا خوف اذا من أن تصطدم المدينة الجديدة بتقـاليد أو نظم موروثة • ومع ذلك فقد كانت لتلك البلدة بلاشك صلات تجارية ببلاد الاغريق خلال العصر الفرعونى • كمـا كانت بعيـدة نسبيا عن فلسطين وسورية مما يبعدها عن التأثير الفارسى •

(٢) قد تخلف المدينة الجديدة مدينة صور على الشاطىء الفينيقى فى المجال التجارى وخاصة ان مصر كانت رغم توثق علاقتها بالعـالم الاغريقى ، لم يكن لها ميناء كبير على شاطىء البحر المتوسط يربطها ربطا تجاريا قويا بالعالم الاغريقى •

(٣) اقامة قاعدة بحرية قوية تدعم سيطرة الاغريق على البحـر المتوسط بوجه عام وبحر ايجه بوجه خاص • ومن ثم كلف الاسكندر ، المهندس دينوقراطيس Dinocrates بتصميم المدينـة وتخطيطها وفقـا للنمط اليونانى • فكان أول ما قام به هو ربط جزيرة فاروس بالشاطىء بسد من الاتربة نشأ عنه ميناءين احداهما فى الشرق وكان يطلق عليه الميناء الكبير ، والآخر فى الغرب أطلق عليه اسم العود الحميد [11] •

وفى ضوء ذلك ، يمكن القول بأن الاسكندرية شأنها شأن كثـير من المدن الهيلينية ، لم تكن جدتها كاملة وانما هى بلدة قديمة كانت تدعى راقودة أعيد تأسيسها وبناؤها على نطاق واسع تغـيرت معه

---

(١١) محمد عواد حسـين وآخرون ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها ، الاسكندرية ١٩٦٣ •

جميع معالمها القديمة . ويدل على ذلك النص التالى الموجود بالمتحف المصرى « ... لقد شيد عاصمته ، أنها دار ملك الشمال والجنوب مرى آمون ستبن ان كارع ابن الشمس ، الاسكندر على شاطىء البحر المتوسط وعند مدينة راقودة القديمة ... »[١٢](*) .

هذه ترجمة لنص على لوحة تتحدث عن تشييد مدينة الاسكندرية وهى موجودة الآن فى المتحف المصرى . ولقد عثرت مصلحة الآثار على آثار مختلفة ترجع الى العصر المبكر من انشاء مدينة الاسكندرية ، ثم الى العصر السابق لها وخاصة فى السرابيوم حيث نجد نصا يقول :
« ... معبد السرابيوم ... الاله سرابيس فى راقودة ... »[١٣] .

ثالثا : جزيرة فاروس :

أما جزيرة فاروس فهى تمثل حاجزا طبيعيا يحمى السفن عند دخولها الى الميناء وخروجها . ولاشك أن ربط تلك الجزيرة باليابس بواسطة جسر الهبتاستاديوم Heptastadium قد خلق ميناءين للاسكندرية

---

12) Sethe, K., Hieroglyphische Urkunden der Oriechisch Romanschen Zeit, Leipzig, 1904-16, PP. 11-16.

(*) هناك مراجع متعدده تتحدث عن المدينة وتقسيمها الى شوارع مستقيمة ، تتقاطع فى زوايا قائمة ، ثم تقسيمها الى خمسة أحياء ، تحمل أسماء الاحرف الاولى اليونانية الهجائية . وكيف كانت العاصمة تزخر بوجود شتى بلاد العالم القديم . وان المتجول فى شوارعها يستمع الى كافة اللغات الافريقية والاسيوية ، الى جانب اليونانية بلهجاتها المختلفة . كذلك كان المنتمون لكل عنصر يقيمون فى حى من الاحياء الخاصة بهم ، مثل اليونانيين والمصريين واليهود .

13) Breccia, M.E., Les Fouilles Dans Le Serapeum d'Alexandria en 1905-1906 (in) Amitiés du Service des Antiquités de l'Egypte, Tome VIII, Le Caire, 1907, P. 62.

بدلا من ميناء واحد • وقد ذكر هوميروس أنها كانت جزيرة تقــع فى البحر أمام ساحل مصر وتبعد عن الأرض • ولابد من الوصول اليهــا من ركوب المراكب التى تندفع نحوها بقوة الريح • وكان بها مرفق بقصده التجار الذين يسافرون بالبحر ليتزودوا منه بالماء • والجزيرة التى يتحدث عنها هوميروس لاتوجد الآن على شكل جزيرة لأنها ارتبطت بالساحل بواسطة الرواسب• وهى الارض التى يتكون منها الان نتوء رأس التين • ولا يوجد فى المنطقــة من الآثار ما يدل على السكنى فى الجزيرة• ولكن قد كشف بعض الباحثين فى قاع البحر عند مكان جزيرة فاروس عن بقايا أرصفة وحواجز أمواج ومنشآت بحرية ضخمة، اعتقد البعض انها كانت جزء من ميناء الاسكندرية فى العصر اليونانى • وهناك من اعتقد انها اطلال ميناء يحمى مصر من الغارات البحرية • يقول العالم جونديه Jondet الذى قام بحفائر فى هذه المنطقة (١٤) فى الفترة من ١٩١١ ــ ١٩١٥ أن ضخامة أحجار هذه المنشآت البحرية تشــبه الابنية الفرعونية • وهنا تثار مشكلة كبيرة : هل كانت هذه الاطــلال جزءا من ميناء الاسكندرية فى العهد الاغريقى ؟ أم جزء من مينــاء أقدم عهدا من ذلك وعفا عليه الزمن قبل الفتح المقدونى ؟ أما جونديه فانه يميل الى الاعتقاد بأن رمسيس الثانى هو الذى أنشأ هذا الميناء المندثر ليحمى مصر من طغيان سكان البحر• ويستند جونديه الى ضخامة الاحجــار وتشــابهها لأحجار الابنية الفرعــونية • ويــــرى بعض المؤرخين أن سيادة كريت البحرية خلال الالف الثانى ق•م• امتدت

---

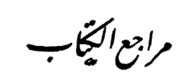
14) Jondet, G. Les Ports Submergés de l'ancienne ile de Pharos (Memoires Presentés à l'institut Egyptien), Vol. IX, Le Caire, 1916.

حتى شملت فى وقت ما هذا الجزء من الساحل المصرى ، وان هذه البقايا المغموروة تحت الماء ترجع الى ذلك العهد . ويعتقد بيفان Bevan ان هذا الميناء هو الميناء الذى ورد ذكره فى الاوديسا حين قال هوميروس بأن جزيرة فاروس مرفأ أمين [١٥] . ويبدو من أبحاث جونديه ان الثغر القديم كان طويلا وضيقا وأنه كان يمتد غربا حتى صخرة أبو بكر . وكان مدخل الثغر من جهة الجنوب، وأن طول الارصفة بلغ ٧٠٠ ياردة . والى القرب من صخرة أبو بكر يوجد حاجز أمواج مزدوج لحماية المنشآت من البحر ومن الرياح السائدة. ثم حاجز مزدوج آخر يمتد حتى يصل الى الحاجز الشرقى . كذلك يتضح من أبحاث جونديه [١٦] أن الميناء الأثرى كان يشتمل على ميناءين الاول وهو الميناء الرئيسى الذى يقع الى الشمال من حاجز الامواج الحديث ، والثانى وهو الميناء الخارجى ويقع الى الشمال من الميناء الرئيسى . هذا فضلا عن موانى أخرى صغيرة تقع فى أقصى شرق الميناء الأثرى والى الشمال من رأس التين الحالية وكانت تستخدم فى الاغراض التجارية . وفى هذا ما يدل على أن الميناء الاثرى انما أنشىء أساسا لاستخدامه فى الاغراض الحربية .

هكذا نشأت الاسكندرية على موقعين أثريين قديمين يرجعان الى عهد الفراعنة . هذا ومن المعروف أن بعض الآثار من عصر الاسرة الثلاثين قد وصلت الى اسكندرية [١٧] ، حيث عثر على تابوت حجرى ضخم على مقربة من جامع العطارين للملك نختانبو الثانى .

---

15) Bevan, S., OP. Cit., P. 6.
16) Jondet, G., Op. Cit.,
17) El Nadoury, R.S., The First Community of Alexandria Before its Establishment, Alex. Univ. Press, 1975, P. 13.


مراجع الكتاب

List of Abbreviations

مدلولات الاختصارات

A.N.E.T. = Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament, Third Edition with Supplement, Princeton, 1969.

Ann. Serv = Annales du Service des Antiquitiés de l'Egypte.

A.R. = Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, 4 Vols., Chicago, 1906.

C.A.H. = The Cambridge Ancient History, Cambridge, 1971, 1973 and 1975.

J.E.A. = The Journal of Egyptian Archaeology, London, 1914 —.

J.N.E.S. = Journal of Near Eastern Studies, Chicago.

L.A.E. = The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927, A Translation into English by Blackman, A.M., of Erman's die Literature der Aegypter, Leipzig, 1923.

S.A.O.C. = The Oriental Institute Studies in Ancient Oriental Civilization, Oriental Institute of the University of Chicago, Chicago, 1936.

أولا : مراجـــع عربيـــة :

- ابراهيم نصحى = تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٤٦ .
- أحمد بدوى = فى موكب الشمس ، فى تاريخ مصر الفرعونية من آخر الضحى الى أول الاصيل ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٥٠ .
- أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار = تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، الجزء الاول ، العصر الفرعونى ، القاهرة ١٩٧٤ .
- أحمد فخرى = دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، القاهرة ١٩٦٣.
- أحمد فخرى = مصر الفرعونية ، موجز فى تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق.م. ، القاهرة ١٩٦٠ .
- أحمد فخرى = مصر ومكانها فى العالم القديم ، تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى ، القاهرة .
- الكتاب المقدس = أى كتب العهد القـــديم والعهـــد الجـــديد ، القاهرة ١٩٦٣ .
- حسن نشأت = شرح قانون تحقيق الجنايات ، ١٩١٨ .
- رشيد الناضورى = المغرب الكبير ، العصـــور القديمة ، أسسها التاريخية ، الحضارية والسياسية ، الجزء الاول ، الاســـكندرية ١٩٦٦ .
- رشيد الناضورى= جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا ، بيروت ١٩٦٧ .

— ـــــــــ = المدخل فى التطور التاريخى للفكــر الدينى، بيروت ١٩٦٩ •

— سليم حسن = مصر القديمة ، عصر رعمسيس الثــانى وقيــام الامبراطورية الثانية ، الجزء السادس ، القاهرة ١٩٤٩ •

— سليم حسن = مصر القديمة فى عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الاهناسى ، القاهرة ١٩٤٠ •

— سليمان حزين = البيئة والانسان والحضــارة فى وادى النيــل الادنى — تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى القاهرة •

— سيد توفيق وآخرون = معــالم تاريخ وحضارة مصر من أقــدم العصور حتى الفتح العربى ، القسم الاول ، الطبعــة الثانية ، القاهرة ١٩٨٠ •

— شفيق شحاته = تاريخ القانون الخاص فى مصر ، ١٩٥٠ •

— عبد الحليم نور الدين = المرأة المصرية — ألقابها ووظائفها «رسالة ماجستير» •

— عبد العزيز صالح = التربية والتعليم فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٦٦ •

— عبد العزيز صالح = الشرق الادنى القديم ، مصر والعــراق ، ١٩٧٩ •

— عبد المنعم أبو بكر وآخرون = بلاد النوبة ، القاهرة •

- ــــــــــ = حضارة مصر والشرق القديم ، القاهرة .
- ــــــــــ = النظم الاجتماعية ، تاريخ الحضـــارة المصرية - العصر الفرعونى ، القاهرة .
- عمر ممدوح مصطفى = أصول تاريخ القانون ، الاسكندرية ١٩٥٨.
- فخرى أبو سيف مبروك = دراسات فى مراحل تاريخ القـــانون فى مصر ، ١٩٨٢ — ١٩٨٣ .
- محرم كمال = الاسرة والحياة المنزلية ، تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى ، القاهرة .
- محمد أنور شكرى = حضارة مصر والشرق القديم (الألف كتاب) ٥٩ ، القاهرة .
- محمد عواد حسين وآخرون = تاريخ الاسكندرية وحضارتهـــا ، الاسكندرية ١٩٦٣ .
- محمود السقا = معالم تاريخ القانون المصرى الفرعونى ، القاهره ١٩٧٠ .
- نبيلة محمد عبد الحليم ، مصر القديمة — تاريخها وحضارتهـــا ، الاسكندرية ١٩٨٧ .
- نبيلة محمد عبد الحليم = الحـــلى فى مصر القديمـــة — موادها وصياغتها والغرض منها (رسالة ماجستير) .
- نبيلة محمد عبد الحليم = الملكية الالهية فى كل من مصر وبلاد الرافدين (رسالة دكتوراه) .
- نجيب ابراهيم = مصر والشرق الادنى القديم — مصر من قيـــام الدولة الحديثة الى دخول الاسكندر ، الجزء الثانى ، القـــاهرة ١٩٦٢ .

ثانيا : مراجع مترجمة الى العربية :

- أ. لوكاس = المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكى اسكندر ومحمد زكريا غنيم ، ومراجعة عبد الحميد أحمد .
- أدولف ارمان = ديانة مصر القديمة ، نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة ، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى ، القاهرة .
- أدولف ارمان وهرمان رانكة = مصر والحياة المصرية فى العصور كمال ، القاهرة .
- الجغرافيا = الترجمة الفرنسية لأميديه ، المجلد الاول ، باريس ١٨٣٦ .
- ألن جاردنر = مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ، مراجعة عبد المنعم أبو بكر ، الاسكندرية ١٩٧٣ .
- ايتين دريوتون و جاك ڤاندييه = مصر ، ترجمة عباس بيومى ومراجعة شفيق غربال وعبد الحميد الدواخلى ، القاهرة ١٩٥٠ .
- بيير مونتيه = الحياة اليومية فى عهد الرعامسة ، ترجمة عزيز مرقس ومراجعة عبد الحميد الدواخلى ، القاهرة ١٩٦٥
- جون ولسون = الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخرى ، طبعة أولى ، القاهرة ١٩٥٦ .

- جيمس هنرى برستد = تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسى ، ترجمة حسن كمال وراجعه محمد حسنين الغمراوى، القاهرة ١٩٢٩ .
- ديودور الصقلى فى مصر = القرن الاول ق٠م٠ نقله من اليونانية وهيب كامل ، القاهرة ١٩٤٧ .
- صمويل كريمر = أساطير العالم القديم ، ترجمة أحمد عبد الحميد وعبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٧٤ .
- مرجريت مرى = مصر ومجدها الغابر ، ترجمة محـــرم كمال ، القاهرة .
- هارولد بل = الهيلينية فى مصر ، ترجمـــة زكى على ، القـــاهرة ١٩٥٩ .
- وولتر امرى = مصر وبلاد النوبة ، ترجمه للعربية تحفه حندوسة وراجعه عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٧٠ .

ثالثا : مراجـــع اجنبية :

— Abdel Halim, N., =The Problem of the Royal Placenta in Ancient Egypt, Reprint from the Book of 50th Anniversary of Archaeological Studies in Cairo University, Part III Special Issue from the Journal of Faculty of Archaeology, Cairo, 1978.

— Albright, W.F., = «The Amarna Letters», (in) ANET

— Aldred, C., = «The Reign of Horemheb, (in) C.A.H., Vol. 11, Part 2 A, Cambridge, 1975.

— Arkell, A.J., = «Varia Sudanica», (in) JEA, London, 1950.

— Ayrton, E.R. and Weigall, A.E.P., = Abydos, Part 11, The Egypt Exploration Fund, London, 1904.

— Beikie, J., = A History of Egypt, Vol. 1, London 1929.

— Ball, J., = The Geol. of South Eastern Egypt, 1912.

— Beck, H.C., = Classification and Nomenclature of Beads and Pendants, London.

— Beck, H.C., = Glass Before 1500 B.C., Ancient Egypt and the East, 1934.

— Bevan, E., = A History of Egypt Under the Ptolemic Dynasty, London, 1927.

— Blackman, A.M., = «Notices of Recent Publications» (in) JEA, Vol. X, London, 1924.

— Blackman, A.M., = «Some Notes on the Story of Sinuhe and Other Egyptian Texts», (in) JEA, London, 1936.

— Blackman, A.M., = The Stela of Shoshenk, Great Chief of the Meshwesh», (in) JEA, Vol. 27, London, 1941.

— Botti, G., = «Who Succeeded Ramesses IX, Neferkere», (in) JEA, Vol. XIV, London, 1928.

— Breasted, J.H., = A History of Ancient Egyptians, The Historical Series for Bible Students, Vol. V.

— Breasted, J.H., = A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest, London, 1906.

— Breasted, J.H., = Ancient Records of Egypt, Chicago, 1906.

— Brunton, G., and Thompson, G.C., = The Badarian Civilization, London, 1928.

— Breccia, M.E., = Les Fouilles Dans le Serapéum d'Alexandria en 1905-1906 (in) Amitiés du Service des Antiquités de l'Egypte, Tome VIII, Le Caire, 1907.

— Brunton, G. and Thompson, G.C. = The Badarian Civilization, London, 1928.

— Brunton, G., and Thompson, G.C., = Lahun, 1, The Treasure, London, 1920.

— Buck, A., = «The Judical Papyrus of Turin», (in) JEA, Vol. XXIII, London, 1937.

— Calliethes, O.S., = 1, Vol. 31.

— Capart, J., Gardiner, A.H., and Van de Walle, B., = «New Light on the Ramesside Tomb-Robberies», (in) JEA, Vol. XXII, London, 1936.

— Capart, J., = Primitive Art in Egypt, English Translation by Griffith, A.S., London, 1905.

— Carter, H., and Mace, A.C., = The Tomb of Tutankh Amen, 1, London.

— Carter, H., = Report on the Tomb of Zeser-Ka-Ra Amen-Hetep 1, Discovered by the Earl of Carnarvon in 1914 (in) JEA, Vol. III, London, 1916.

— Cerny, J., = Ancient Egyptian Religion, London, 1952.

— Cerny, J., = «Egypt : From the Death of Ramesses III, to the End of the Twenty First Dynastyy, (in) C.A.H., Vol. II, Part 2 B. Cambridge, 1975.

— Cerny, J., = Late Ramesside Letters, Brussels, 1939.

— Chicago University, Oriental Institute, Medinet Habu, Vol. 1, Chicago, 1932.

— Davies, N. de G., = The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes (Publications of the Metropolitan Museum of Art, XI, New York, 1934.

— De Morgan, J., = Fouilles à Dahchour, Mars-Juin, 1894.

— Drower, M.S., = «Syria C. 1500-1400 B.C.», (in) C.A.H:, Vol. 11, Part 1, Cambridge, 1973.

— Dunham, D., = «The Biographical Incriptions of Nekhebu in Boston and Cairo», (in) J.E.A., London, 1938.

— Edgerton, W.F., and Wilson, J.A., = «Historical Records of Ramses III», (in) S.A.O.C, 12, Chicago, 1936.

— Edgerton, W.F., = «The Government and the Governed in the Egyptian Empire», (in) J.N.E.S., Vol. 6, Chicago, 1947.

— Edgerton, W.F., = The Thutmosid Succession, Studies in Ancient Oriental Civilization, Chicago, 1933.

— Edwards, I.E.S., = «The Early Dynastic Period in Egypt», (in) C.A.H., Cambridge, 1964, 1971.

— Edwards, I.E.S., = The Pyramids of Egypt, Penguin Books, Great Britain, 1967.

— Emery, W.B., = «A Masterpiece of Egyptian Military Architecture of 3900 years ago : the Great Castle of Buhen in the Sudan», (in) Illustrated London News, Vol. 235, No. 6 267, 12-September 1959.

— Emery, W.B., = Archaic Egypt, (Penguin Books), Middlesex, 1961,

— Emery, W.B., = Great Tombs of the First Dynasty, Vol. II, Cairo, 1949, and Vol. II, London, 1954.

— Emery, W.B., = Hor-Aha, Cairo, 1939.

— ——————, = The Tomb of Hemaka, Cairo, 1938.

— Erman, A., = Die Marchen Des Papyrus Lescat, 2 Vols, Berlin, 1890.

— Erman, A., = The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927.

— Fakhary, A., = The Monuments of Sneferu of Dahshur, Vol. 1, 1959.

— Faulkner, R.O., = «Brief Communication Kégemni Once Again», (in) J.E.A., London, 1951.

— Faulkner, R.O., = «Egypt From the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III», (in) C.A.H., Cambridge, 1975.

— Faulkner, R.O., «Internal Affairs Uuder Sethos 1», (in) C.A.H., Vol. II, Part 2A, Cambridge, 1975.

— Faulgner, R.O., = «The Installation of the Vizier», (in) J.E.A., Vol. 41, London, 1955.

— Fischer, H.G., = «A God and a General of the Oasis on a Stela of the late Middle kingdom», (in) J.N.E.S., 16, Chicago, 1957.

— Frankfort, H., = Ancient Egyptian Religion, New York, 1948.

— Frankfort, H., = Kingship and the Gods, Chicago, 1969.

— Gardiner, A.H., Peet, T.E., and Cerny, J. = The inscription of Sinai, Vol. II, (E.E.S.), London, 1955.

— Gardiner, A.H., and Sethe, K., = Egyptian Letters to the Dead, London, 1928.

— Gardiner, A.H., = «A Lawsuit Arising From the Purchase of Two Slaves», (in) J.E.A., Vol. XXI, London, 1935.

— Gardiner, A., = Ancient Egyptian Onomastica, Vol. I, Oxford, 1947. .

— Gardiner, A., = Egyptian Grammar Being an Introduction to the Study of Hieroglyphs, London, 1969.

— Gardiner, A., = Egypt of the Pharaohs, Great Britain, 1962.

— Gardiner, A., = «New Literary Works From Ancient Egypt, Petersburg 1116 A and B, Recto», (in) J.E.A., 1, London, 1914.

— Gardiner, A., = «Some Reflections on the Nauri Decree», (in) J.E.A., Vol. 38, London, 1952.

— Gardiner, A., = «The Eloquent Peasant», (in) J.E.A., Vol. IX, London, 1923.

— Gardiner, A., = The Inscription of Mes, A Contribution to the Study of Egyptian Judicial Procedure, Leipzig, 1905.

— Gardiner, A., = «The Instruction Addressed to Kagemni and his Brethren», (in) J.E.A., Vol. 32, London, 1946.

— Gardiner, A., = The Royal Canon of Turin, Oxford, 1959.

— Garstang, J., = The Burial Customs of Ancient Egypt, London, 1907.

— Gauthier, H., = Le Livre de Rois d'Egypte, II, (Mem. Inst. Fr. Caire, 18) Cairo, 1912.

— Goetz, A., = «Hattusilis on Muwatalli's War Against Egypt», (in) A.N.E.T.

— Goetz, A., = «Plague Prayers of Mursilis», (in) A.N.E.T.

— Goetz, A., = «Suppiluliumas and the Egyptian Queen», (in) A.N.E.T.

Goetze, A., = «Treaty Between Hattusilis and Ramses II», (in) A.N.E.T.

Golenischeff, W., = Les Papyrus Hieratiques nos. 1115, 1116 A et 1116 B, de l'Ermitage Impérial à St. Petersbourg (St. Petersburg, 1913).

Greaves, R.M., and Little, O.H., = «The Gold Resources of Egypt», (in) Report of the XV International Geology Congress, South Africa, 1929.

Griffith, F.L.I., = Stories of the High Priests of Memphis, Oxford, 1900.

Griffith,F.L.I., = «The Abydos Decree of Seti 1 at Nauri», (in) J.E.A., Vol. XIII, London, 1927.

Griffith,F.L.I., = «The Teaching of Amenophis the Son of Kanakht, Papyrus B. M. 10474» (in) J.E.A., Vol. XII, London, 1926.

Gunn, B., and Gardiner, A.H., = «The Expulsion of the Hyksos», (in) J.E.A., Vol. V, London, 1918.

Gunn, B., = The Instruction of Ptah-hotep and the Instruction of Kegemni Wisdom of the East Series, London, 1909.

Hassan, S., With the Collaboration of Abdel Salam A.S., = Excavations of Giza, 1930-1931, Cairo, 1936.

— Hayes, W.C., A Papyrus of the late Middle kingdom in the Brooklyn Museum, Brooklyn, 1955.

— Hayes, W.C., = «Egypt : From the Death of Ammenemes III to Seqenenre II», (in) C.A.H., Vol. 11, Part 1; Cambridge, 1973.

— Hayes, W.C., = «Egypt : Internal Affairs From Tuthmosis I to the Death of Amenophis. III», (in) C.A.H., Vol. II, Part I, Cambridge, 1973.

— Hayes, W.C., = «Royal Decrees From the Temple of Min at Coptus», (in) J.E.A., Vol. 32, London, 1946.

— Hayes, W.C., = «The Civil Service», (in) C.A.H., Cambridge, 1973.

— Hayes, W.C., = «The Middle Kingdom in. Egypt, Internal History From the Rise of the Heracleopolitans to the Death of Ammenemes III», (in) C.A.H., Vol. 1, Part 2A, Cambridge, 1971.

— Hayes, W.C., = The Scepter of Egypt, New York, 1953.

— Hayes, W.C., = «Writing Palette of the High Priest of Amun Smendes» (in) J.E.A., Vol. 34, London, 1948.

— Herodotus, = Histories, Book II.

— Hölscher, W., = Libyer und Agypter Gluckstadt-Hamburg, New York, 1955.

— Hume, W.F., = Geology of Egypt, Vol. II, Part III, Cairo, 1937.

— Idewellyn, A., = (in) Bull. Inst. of Mining and Metallurgy, 1934.

— James, T.J.H., = «Egypt : From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I» (in) C.A.H., Vol. II, Part I, Cambridge, 1973.

— Jondet, G., = Les Ports Submergés de L'ancienne ile de Pharos (Memoires Presentés à L'institute Egyptien), Vol. IX, Le Caire, 1961.

— Junker, H., = «The First Appearance of the Negroes in History», (in) J.E.A., Vol. II, London, 1921.

— Kantor, J., = The Aegean and the Orient in the Second Millennium B.C., Bloomington, U.S.A., 1947.

— Langdon, M.A., Gardiner, A.H., and Litt, D.. = «The Treaty of Alliance Between Hattusili, King of the Hittites and the Pharach Ramesses II of Egypt», (in) J.E.A., London, 1920.

— Leo Oppenheim, A., = « Texts From Hammurabi to the Downfall of the Assyrian Empire », (in) A.N.E.T.

— Lesko, B.S., = The Remarkable Women of Ancient Egypt, U.S.A., 1977.

Lichtheim, M., = Ancient Egyptian Literature, Vol. 1, Berkeley, 1973.

— Lucas, A., and Harris, = Ancient Egyptian Materials and Industries, London, 1962.

— Lutz, H.E., = Egyptian Tomb Steles and Offering Stones of the Museum of Anthropology and Ethnology of the University of California, Leipzig, 1927.

— Mace, A.C., and Winlock, H.E., = The Tomb of Senebtisi at Lisht, New York, 1916.

— MacIver, R., and Mace, A.C., = El Amrah and Abydos, London, 1902.

— Matz., F., = «The Zenith of Minoan Civilization», (in) C.A.H., Cambridge, 1973.

— Mercer, S.A.B., = The Pyramid Texts in Translation and Commentary, New York, 1952.

— Mines and Quarries Department, = Report on the Mineral Industry of Egypt, 1922.

— Mond, R., and Myres, O.H., = Cemetries of Armant.

— Muller, W.M., = Egyptological Researches, Vol. 1, Washington, 1906.

— Murray, M.A., = «Queen Tety. Shery», (in) Ancient Egypt and the East, December, Part 11, London, 1934.

— Murray, M.A., = The Osireion at Abydos, London, 1904.

— Murray, M.A., = The Splendour that was Egypt, London.

— N. de G. Davies, = The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes, New York, 1944.

— Nassim, L., = «Minerals of Economic Interest in the Desert of Egypt», (in) Report of Congres International De Geog., Le Caire, 1925, 111, 1926.

— Naville, E., = The Temple of Deir El Bahari, Part 11, London, 1890.

— Newberry, P.E., = Peni Hassan, Part 1, London, 1893, Tomb, No. 2.

— Newberry, P.E., = «Brief Communications Co-regencies of Ammenemes 111, IV, and Sebknofru», (in) J.E.A., London, 1943.

— Newberry, P.E., = «Menes : The Founder of the Egyptian Monarchy» (in) Brunton, W., and Others, Great ones of Ancient Egypt, London, 1929.

— Newberry, P.E., = The Amherst Papyri, London, 1899

— ————————, = «The Petty kingdom of the Harpoon and Egypt's Earliest Mediterranean Period» , (in) Annals of Archaeology and Anthropology, 1, Liverpool, 1908.

— Newberry, P.E., = Ta Tehenu-Olive Land», (in) Ancient Egypt and the East, 1915.

— Nobleocut, C.D., = Tulankhamen, Tutankhaten and the Two Capitals, Penguin Books, Milan, 1965.

— Oliver, R. and Mathew, G., = History of East Africa, Addis Ababa-Lusaka, 1967.

— Peet, T.E., = «The Chronological Problems of the Twentieth Dynasty», (in) J.E.A., Vol. XIV, London, 1928.

— Peet, T.E., = «The Great Tomb Robberies of the Ramesside Age, Papyri Mayer A and B», (in) J.E.A., Vol. 11, London, 1915.

— Peet, T.E., = The Great Tomb Robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty, 2 Vols., Oxford, 1930.

— Peet, T.E., = «The Supposed Revolution of the High-Priest Amenhotpe», (in) J.E.A., 12, London, 1926.

— Petrie, W.M.F., = A History of Egypt During the XVIIth and XVIIIth Dynasties, 1896, with Addition to 1898, Third Edition, Vol. 11, London, 1899.

— Petrie, W.M., = Arts and Crafts of Ancient Egypt, London, 1909.

— Petrie, W.F., = Kahun, Gurab and Hawara, London, 1890

— Petrie,. W.M.F., = Prehistoric Egypt, London, 1920.

— Petri, W.M.F., Social Life in Ancient Egypt, London, 1923.

— Petrie, W.M.F., = Tell El Amarna, London, 1894.

— Petrie, W.M.F., = The Royal Officials in Ancient Egypt, 1925.

— Petrie, W.M.F., = The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, Part 11, London, 1901.

— Petrie, W.M.F., = The Royal Tombs of the First Dynasty, Vol. 1, London, 1900.

— Petrie, W.M.F., = Tombs of Courtiers and Oxyrhynkhos, London, 1925.

— Pflüger, K., = «The Edict of King Haremhab», (in) J.N.E.S. Vol. V, Chicago, 1946.

— Porter, B., and Moss, R.L.B., = «Nubia, The Deserts and Outside Egypt» (in) Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings, 7, Oxford, 1951.

— Quibell, J.E., = Hierakonpolis, Part 1, London, 1900.

— Quibell, J.E., and Green, F.W., = Hierakonpolis, Part 2 (E.R.A., 5th Memoir), London, 1902.

— Redford, D.B., = History and Chronology of the Eighteenth Dynasty of Egypt, Seven Studies, U.S.A., 1967.

— Reisner, G.A., = Arch. Survey of Nubia, Report for 1905, Cairo, 1907.

— Reisner, G.A., = Excavations at Kerma, 1-111, Cambridge, 1924.

— Reisner, G.A., History of the Giza Nicropolis, 11, Harvard University Press, 1955.

— Reisner G.A., = «The Tomb of Queen Hetep-Heres», (in) Bull. of Met. of Fine Arts, XXV, Boston, 1927.

— Row, A., = «A Discovery of the Famous Temple and Enclosure of Serapis at Alex.», (in) Supplement aux A.S.A.E., Cahier 2, Le Caire, 1946.

— Row, A., = «A History of Ancient Cyrenaica», (in) Ann. Serv. Suppl. (Cahier, 12), Cairo, 1958.

— Seligman, C.G., = «Egyptian Influence in Negro Africa», (in) Studies Presented to F. 11 Griffith London, 1932.

— Seligman, C.G., = Races of Africa.

— Sethe, K., = Das Hatshepsut — Problem noch Einmal Untersucht, Berlin, 1932.

— Sethe, K., = Hierogly Phische Urkunden der Oriechisch Romanschen zeit, Leipzig, 1904-16.

— Sethe, K., = Urkunden der 18-Dynastic, Historisch-biographische Urkunden, 4 Vols. Leipzig, 1906-1909.

— Smith, W.S., and Jones, F.W., = The Archaeological Survey of Nubia (Report For 1907-1908) Vol. 11, Report on the Human Remains, Cairo, 1910.

— Smith, W.S., = The Art and Architecture of Ancient Egypt, London, 1958.

— Smith, W.S., = «The Old Kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate Period», (in) C.A.H., Vol., 11, Part 2 A, Cambridge, 1971.

— Stubbings, F.H., = «The Rise of Mycenaean Civilization», (in) C.A.H., Cambridge, 1973.

— ————————, = «The Metropolitan Museum of Art, Glass, New York, 1936.

— ————————, = «The Tell El Amarna Tablets», (in) The British Museum, London, 1892.

— Thompson, C., = «The Neolithic Industry of the Northern Fayum Desert», (in) Journal Royal Anthropology Institute, LVI, 1926.

— Tigger, B.J., = Nubia Under the Pharaohs, Great Britain, 1976.

— Vercoutter, J., = «New Egyptian Texts From the Sudan», (in) Kush, 4, 1956.

— Vercoutter, J.J, = «Upper Egyptian Settlers in Middle Kingdom Nubia», (in) Kush, 5, 1957.

— Wainwright, G.A., = «Some Sea Peoples and Others in the Hittite Archives», (in) J.E.A., Vol. 25, London, 1939.

— Wainwright, G.A., = «The Meshwesh», (in) J.E.A., Vol. 48, London, 1962.

— Williams, C.R., = Catalogue of Egyptian Antiquities, Gold and Silver Jewellary and Related objects, New York, 1924.

— Wilson, J.A., = The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipzig, 1909.

— Wilson, J.A., = Before Philosophy, The Intellectual Adventure of Ancient Man, U.S.A., 1974.

— Wilson, J.A., = The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975.

— Wilson, J.A., = The Oath in Ancient Egypt, (in) J.N.E.S., Vol. 7, Chicago, 1948.

— Wilson, J.A., = «All men Created Equal in Opportunity», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «A Royal Decree of Temple Privilege», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «Campaigns of Seti 1 in Asia», (in) A.N.E.T

— Wilson, J.A., = «From Amen-hotep 111's Building Inscription», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «From the Record of a Lawsuit», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «Results of a Trial For Conspiracy», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Admonitions of Ipu-Wer», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., — «The Amada and Elephantine Stelae», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Asiatic Campaigning of Ramses 11», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Asiatic Campaigns Under Pepi 1», (in) A.N.E.T.

— Wison, J.A., = «The Expulsion of the Hyksos», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Hymn of Victory of Mer-ne-Ptah», The Israel Stela, (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Hymn of Victory of Thut-mose 111», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Hymn to the Aton», (in) N.A.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Instruction of Ani», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Instruction For King Merika-Re», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = The Instruction of King Amen-em-Het», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = The Instruction of the Vizier Ptah-hotep», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Israel Stela», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Memphis and Karnak Stelae», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Prophecy of Neferti», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Protests of Eloquent Peasant», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Story of Sinuhe», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Story of Two Brothers», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Theology of Memphis», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Vizier of Egypt From the Autobiography of Rekh-mi-Re», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The Vizier of Egypt-The Installation of the Vizier», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The War Against the Hyksos», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «The War Against the Peoples of the Sea», (in) A.N.E.T.

— Wilson, J.A., = «Treaty Between the Hittites and Egypt», (in) A.N.E.T.

— Winlock, H.E., = «On Queen Tetisheri, Grandmother of Ahmose 1», (in) Ancient Egypt, Part 1, Boston, 1921.

— Winlock, H.E., = «The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, New York, 1947.

— Winlock, H.E., = «The Tombs of the kings of the Seventeenth Dynasty at Thebes with Plates XII-XX1», (in) J.E.A., Vol. X, London, 1924.

— Winlock, H.E., = The Treasure of El-Lahun, New York, 1934.

— Winlock H.E., = The Treasure of Three Egyptian Princesses, New York, 1948.

— Worterbuch der Aegyptischen Sprache, Vol. 111.

فهرس اعـــــلام ابجـــدی

(آ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

ــ ف ــ

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

محتويات الكتاب

صفحة

الفصـــل الرابـــع

صفحة

الفصـــل الخامس

الفصـــل السادس

صفحة

صفحة

الفصـــل الســـابع

تصـــويب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
النص	النص	٢٢	٩
الـ سياسبة	السياسية	٢٦	١
مركر	مركز	٢٦	١
توت	نوت	٢٨	٢٣
االذى	الذى	٣١	١
جعلت	جعلته	٣١	١
المدائية	البدائية	٣٣	١١
باللعات	باللغات	٣٩	٧
ازووريس	أوزيريس	٥٤	٧
بهده	بهذه	٥٩	١٢
قيمهم	قيامهم	٧١	١٦
الرعم	الرغم	٧٣	١٦
كن	كان	٧٦	٦
رفد	وفد	٨٠	١٥
بمتابة	بمثابة	١٠٨	٤
تستى	تاستى	١٠٩	٢
المردسة	المدرسة	١٦٠	٧
بماله	بمالها	١٦١	٧
الرعبة	الرغبة	١٦٥	١٢
ديبيا	دينيا	١٦٦	١٤
اتحاه	اتجاه	١٦٩	٢
اللداقة	اللباقة	١٧٠	٢
حبز	حبل	٢٠٢	٧

رقم الايداع بدار الكتب ٨٨/٧٤٢٢
الترقيم الدولى ٣ ـــ ٤٥٥ ـــ ١٠٣ ـــ ٩٧٧

دار نشـــر الثقــــافة
١٣ شارع حسبو ـ منشا ـ محــرم بك
٤٩٣٢١٩٨/٤٩٢٠٦٢٥